اجاثا كريستي



جريمة الفندق

أجاثا كريستي
{1976 - 1890}

-الكاتبة التي ترجمت رواياتها إلى **103** لغات.

- بيع من كتبها أكثر من **900** مليون نسخة باللغة الإنجليزية وحدها.

- كاتبة روايات بوليسية، ولدت في إنجلترا، تتميز عن جميع الروائيين البوليسيين، مما نصَّبها ملكة عليهم جميعًا. تميَّزت أيضًا بأنّ أشخاص رواياتها أشخاص عاديون، ولكنّهم تعرضوا في الرواية لظروف أزالت القناع الحضاري عن الوحوش القابعة في أعماق كل إنسان. كذلك لم تلجأ الكاتبة العظيمة إلى عنصر الجنس في رواياتها، على عكس ما اتبعه الآخرون. ولم تهدف إلى الإثارة، ولا تلجأ إليها. ورواياتها تضمَّنت أيضًا أهدافًا إنسانية فحواها أنّ (الجريمة لا تفيد) وأنّ الخير هو المنتصر في النهاية.

جريمة الفندق
At Bertram's Hotel

أفْسَدَتْ ثَرْوَةُ "كلود" حَيَاةَ كُلِّ من له صِلَة بِهَا: "جوردون كلود" نفسه، وَزَوْجَتِهِ الجَمِيلَة الشَّابة، وَحَاشيتِهِ من الأقَارِب وَمِن العَالةِ المتَطَفِّلينَ، ومُحْتَال مُغَامِر يَحْمِلُ سرًّا خطيرًا يَعْرضُهُ للبيع. بَدأتْ لَعْنَة الثَّروةِ بَعْدَ ذَلِكَ تَقْتل .. فَوَجَدَ "هيركيول بوارو" العظيمُ نَفْسَهُ أمَامَ قَضِيَّة تَتَعلَّقُ بجَرِيمةِ قَتْل شَمَلَتْ عددًا كَبيرًا مِن المُشْتَبَهِ فِيهمْ، وعَدَدًا مَحْدُودًا مِنْ مَفَاتِيح اللُّغْز .. جَنْبًا إلى جَنْب مَعَ مُفَاجَآتٍ غَرِيبَة ومُخِيفَة!

ثمن الكتاب

لبنان	5000 ل.ل.	قطر	10 ريالات
سوريا	100 ل.س.	عُمان	1.5 ريال
الأردن	1.5 دينار	مصر	10 جنيهات
السعودية	10 ريالات	المغرب	30 درهما
الكويت	1 دينار	ليبيا	5 دنانير
الإمارات	10 دراهم	تونس	4 دنانير
البحرين	1.5 دينار	اليمن	400 ريال

ISBN 995338164-X
9789953381640

جريمة الفندق

بونارد الأسطه

يقدّم

الرواية المعربّة

جريمة الفندق
(02)

تاليف الكاتبة والأديبة العالمية

أجاثا كريستي

تعريب الأديب الراحل

عمر عبد العزيز أمين

الناشر

المركز الدولي للصحافة والنشر والتوزيع ش. م. م

الإدارة العامة والتوزيع

تليفون 666 212 9 961 00 فاكس 665 212 9 961 00

ص.ب 374 جونيه – لبنان

www.inter-press.org Email:info@inter-press.org

وكلاء التوزيع

دار ميوزيك – دار البشير

الاسم الأصلي للرواية

At Bertram's Hotel
(1965)

الغلاف بريشة الفنان

عبد العال

أهم الشخصيات

"هيركيول بوارو" : مخبر سرّي معروف.

"جوردون كلود" : المليونير المتوفَّى.

"روزالين كلود" : زوجة المليونير.

"جيريمي كلود" : محام، وشقيق المليونير.

"فرانسيس كلود" : زوجة المحامي.

"ليونيل كلود" : طبيب، وشقيق المليونير.

"كاثي كلود" : زوجة الطبيب.

"مارتشمونت" : شقيقة المليونير.

"لين" : ابنة **"مارتشمونت"**.

"رولي كلود" : صاحب مزرعة وابن شقيق المليونير.

"ديفيد هنتر" :شقيق **"روزالين كلود"**

"بورتر" : رائد سابق بالجيش.

"بياتريس ليبينكوت" : مستخدمة بالفندق

"سبينس" : مراقب شرطة.

"جريفز" : رقيب شرطة.

تبدأ القصة بزيارة سيدة شديدة الاضطراب إلى مكتب "هيركيول بوارو" تخبر فيها المخبر الرزين بأن صوتًا من عالم الأرواح قد أخبرها بأن رجلا ميتًا تبيّن أنه على قيد الحياة، وبأن وريثة ثريّة تُعتبر زائفة، وبأنه يجب الإلحاح على توفير الأدلة اللازمة. وبطبيعة الحال يصرف "بوارو" السيدة على اعتبار أنها فاقدة الصواب، وكان هذا التصرف هو أول خطإ ارتكبه هذا الرجل العظيم بشأن هذا اللغز المحيِّر.. لغز التهديد والوفاة المفاجئة...

مقدمة

- 1 -

لا يخلو نادٍ واحد من شخصية مضجرة ثقيلة الظل، ولم يكن نادي التتويج أو "الكورونيشن كلوب" استثناء من ذلك، كما لم تعطل الغارة الجوية - التي تمَّ شنها على المكان في ذلك التوقيت - شيئًا من السير الطبيعي للأمور. تصفّح الرائد "بورتر" - الرائد السابق بالجيش في "الهند" - الصحيفة التي معه بحفيف مسموع، ثم تنحنح. اجتنب جميع الحاضرين نظراته ولكن بلا جدوى. قال:

- أرى أنهم قد نشروا خبر وفاة "جوردون كلود" بصحيفة "التايمز". وبأسلوب حكيم أيضًا. "في اليوم الخامس من شهر تشرين الأول (أكتوبر) نتيجة لهجوم عدواني". دون ذكر أي عنوان. واقع الأمر أنه لا يبعد كثيراً عن بيتي الصغير؛ فهو أحد تلك المنازل الكبيرة القابعة على قمة جبل "كامبدن". أعترف بأن الخبر هزَّني إلى حدٍّ ما؛ فأنا قيِّم كما تعلمون. كان "كلود" قد عاد من "الولايات المتحدة" توًّا، كان موفداً إلى هناك كعضو في لجنة المشتريات الحكومية. تزوج وهو هناك أرملة شابة - صغيرة السن بما يكفي لأن تُعتبر ابنة له - هي السيدة "أندرهيي". واقع الأمر أنني تعرفت إلى زوجها الأول في أثناء خدمتي في "نيجيريا". توقف الرائد "بورتر" عن الحديث، ولم يبد أحد الحاضرين اهتمامًا أو طلب منه أن يواصل الحديث. كانت الصحف مرفوعة بحرص أمام الوجوه، ولكن لم يكن هذا كافيًا لأن يحمل الرائد "بورتر" على ان يكتفي بما قاله، فقد كان له تاريخ طويل في الرواية عن أناس لم يعرفهم أحد من مستمعيه. قال الرائد "بورتر" بنبرة حازمة مركزًا بصره - بشرود ذهن - في زوج حذاء جلدي مدبب المقدمة جدًّا، من نوعية الأحذية التي يرفضها بشدة:

- أمر مثير للاهتمام! كما سبق أن قلت، أنا قيِّم. أمره غريب هذا القصف، لا أحد يعلم عما سوف يسفر. نُسف ما تحت الطابق الأرضي، ومُزِّق السقف. بدا الطابق الأول وكأنه لم

يمسّ مطلقًا. كان بالمنزل ستة أفراد: ثلاثة من الخدم: زوجان وخادمة غير متزوجة و **"جوردون كلود"** وزوجته وشقيق الزوجة. كان جميعهم أسفل الطابق الأرضي باستثناء شقيق الزوجة – وهو عضو سابق في فرقة عسكرية بـ **"جنوب إفريقيا"** – فضّل البقاء بحجرة نومه المريحة بالطابق الأول، وبمشيئة الله نجا من الموت مصابًا ببضع كدمات. قُتل الخدم الثلاثة جميعا في الانفجار، وسقط **"جوردون كلود"** تحت الأنقاض. أخرجوه من تحتها، ولكنه فارق الحياة في الطريق إلى المستشفى، عانت زوجته الانفجار، ولم يبق على جسدها شريط واحد من الثياب! لكنها كانت على قيد الحياة. يعتقدون أنه يمكنها أن تسترد عافيتها، وتستعيد سلامة أعصابها. ستكون أرملة ثرية؛ إذ لابد من أن تكون ثروة **"جوردون كلود"** قد تجاوزت المليون. مرة أخرى توقف الرائد **"بورتر"** عن الحديث. كانت عيناه قد ارتفعتا عن زوج الحذاء الجلدي والبنطلون المشرّط والمعطف الأسود والرأس البيضاوي والشاربين الكثيفين. غريب بالتأكيد! وهذا ما يفسر ارتداءه هذا الحذاء. حدث الرائد **"بورتر"** نفسه متسائلاً عما عسى أن يتحول إليه هذا النادي، فلا يمكنه هو اجتناب الأجانب حتى في هذا المكان. جرت سلسلة تفكيره هذه جنبًا إلى جنب مع روايته، ولم يقلل ما بدا عليه هذا الأجنبي – من أن يوليه كل اهتمامه – من تحامله عليه بأي قدر كان. واصل روايته قائلاً:

– من غير الممكن أن يزيد عمرها على الستة والعشرين عامًا أو نحو ذلك. وهي أرملة للمرة الثانية. أو هذا على الأقل ما تعتقده... توقف عن الحديث أملاً في أن يثير الفضول أو أن يسمع تعليقًا وإذ به لم يتلق أي شيء من هذا القبيل، فواصل روايته مع ذلك بعناد!

– واقع الأمر أن لديّ فكرة عن هذا الموضوع. عملية غريبة! كما سبق أن ذكرت تعرّفت إلى زوجها الأول **"أندرهيي"**، وهو إنسان دمث الخلق كان مفوّض الحكومة بإحدى المقاطعات بـ **"نيجيريا"** في وقت ما. كان مخلصًا في عمله دقيقًا فيه، ذا شخصية من الدرجة الأولى. تزوّج هذه الفتاة في مدينة **"كيب تاون"** حيث كانت في جولة سياحية نظمتها إحدى شركات السياحة. كانت تواجه سوء الحظ والعجز التام عن التعامل مع الظروف. أصغت إلى **"أندرهيي"** وهو يتحدث عن الحي المملوك له، وعن مساحات الأراضي الواسعة المكشوفة فزفرت متعجبة:

– أليس هذا مدهشًا؟ وعبّرت عن مدى رغبتها في أن تبتعد عن كل شيء. تزوجته وابتعدت عن كل شيء، كان ذلك المسكين غارقًا في الحب، ولكن هذا الارتباط لم يكن ناجحًا منذ بادئ الأمر؛ فقد كانت تكره الأدغال وتخشى الأهالي، وعانت مللاً قاتلاً. كانت

فكرتها عن الحياة هي أن تتوجه إلى مسرح المدينة، وتلتقي جمهوره، وتتحدث معهم عن فن استخدام الأدوات والآلات. لم تكن الحياة مع زوجها بمفردهما في الأدغال تستهويها مطلقًا. لعلمكم الخاص، إنني لم ألتق بها ولا مرة واحدة، ولكنني سمعت كل هذا من صديقي "أندرهيي" المسكين. تأثر لذلك بعمق وتصرّف بنزاهة تامة؛ إذ بعث بها إلى بلدها ووافق على أن يطلقها. كان أن التقيتُ به بعد ذلك مباشرة. كان متوترًا تمامًا وفي حاجة إلى أن يتحدث مع شخص آخر. كان من النوعية العتيقة الطراز في بعض النواحي، كان يتبع طائفة الروم الكاثوليك، ولا يحب الطلاق، قال لي:

– هناك سُبل أخرى لإعطاء المرأة حريّتها، فقلت له:

– أصغِ إليّ يا صديقي، لا تقدم على فعل يتصف بالحماقة. ليس بالعالم كله امرأة تستحق أن تطلق الرصاص بسببها على رأسك، قال:

– إن هذا ليس ما أفكر فيه مطلقًا. أنا رجل وحيد ولا أقارب لي يهتمون بأمري أو يحزنون عليّ، فإذا بلغ بلدي نبأ وفاتي فسوف تصبح "روزالين" أرملة، وهذا ما تتطلع إليه. سألته:

– وماذا عنك؟ قال:

– حسنًا.. ربما أن هناك رجلاً اسمه "إينوك آردن" يظهر في مكان ما على بعد ألف كيلومتر أو نحو ذلك من هذا المكان، ويبدأ حياته من جديد، قلت محذرًا:

– ربما يتطلب هذا مزيدًا من الحذر في يوم ما، فقال:

– آه لا. لا يمكنني أن أحترز لذلك، ولابد من أن يموت "روبرت أندرهيي".

لم أفكّر في الموضوع بعد ذلك، ولكنني سمعت بعد ستة أشهر أن "روبرت أندرهيي" توفي على أثر إصابته بالحمى في مكان ما بالأدغال. كان أهل بلده مجموعة جديرة بالثقة، وعادوا إلى الوطن برواية تفصيلية محكمة وبضع كلمات وداع بخط يد "أندرهيي" قال فيها إنهم قد قاموا من أجله بكل ما كان يمكنهم، وإنه يخشى أن يكون محتضرًا، وامتدح رئيسه في العمل. كان هذا الرجل مخلصًا له وكذلك جميع الآخرين؛ كانوا على استعداد لأن يقسموا على أي شيء يطلب منهم أن يقسموا عليه مهما كان. وبهذا تم ما كان. ربما يكون "أندرهيي" قد ووري الثرى ببلد في وسط "إفريقيا" الاستوائية، وربما لا يكون قد دفن، وفي هذه الحالة الأخيرة لابد أن تتلقى السيدة "جوردون كلود" صدمة قاسية في يوم ما. وفي رأيي إنها تستحقها. لم ألتق بها قط، ولكنني أعرف صوت الصغيرة الباحثة عن الذهب! لقد

أفلستْ "**أندرهيي**" المسكين. إنها قصة مثيرة للاهتمام.

جال الرائد "**بورتر**" ببصره في أنحاء المكان طالبًا تعزيزًا لهذا التوكيد، فالتقى نظرتين ضجرتين وفاترتين؛ إحداهما نظرة السيد "**ميلون**" الشاب شبه المحوّلة عنه، ونظرة السيد "**هركيول بوارو**" التي تنم عن أدب الاهتمام. كان بعد ذلك حفيف صحيفة نهض على أثره رجل أشيب الشعر – ذو وجه معبِّر على نحو متفرِّد– بهدوء من فوق مقعده المجنَّح القريب من المدفأة وغادر المكان. فغر الرائد "**بورتر**" فاه دهشة، وأطلق السيد "**ميلون**" الشاب صفيرًا خافتًا، ثم قال:

– لقد فعلتها! هل تعلم مَن كان هذا؟ قال الرائد "**بورتر**" بقدر من الارتعاد:

– يا إلهي، من المؤكد أنني لا أعرفه عن قرب، ولكن سبق لنا أن تعارفنا. إنه "**جيريمي كلود**" شقيق "**جوردون كلود**" أليس كذلك؟ بشرفي كم أن هذا من دواعي سوء الحظ! لو كانت لديَّ أدنى فكرة... قاطعه السيد "**ميلون**":

– إنه محامٍ، ويمكنه مقاضاتك بتهمة ترويج الشائعات، أو الإساءة إلى سمعة الأسرة أو أي شيء من هذا القبيل. كان يستهوي السيد "**ميلون**" أن يثير الذعر والجزع في الأماكن التي لا يحظر فيها ذلك بمقتضى قانون حماية المملكة. واصل الرائد "**بورتر**" ترديد عبارة: "من دواعي سوء الحظ!" بصوت مرتعد قليلاً. وقال السيد "**ميلون**":

– سوف ينتشر الخبر في أرجاء "**وورمزلي هيث**" – بحلول هذا المساء – حيث يتواجد جميع آل "**كلود**". سوف يسهرون حتى ساعة متأخرة يناقشون معًا ما ينبغي لهم اتخاذه من إجراء قانوني، ولكن في تلك اللحظة دوَّت صفارة الأمان معلنة انتهاء الغارة، وكف السيد "**ميلون**" عن حديثه الشيطاني حيث اصطحب صديقه "**هيركيول بوارو**" إلى الشارع، وهو يقول:

– جوٌّ بشع، بهذه الأندية أكبر مجموعة من الشخصيات المملة، و "**بورتر**" هو أسوأ الجميع وبجدارة. وصفه لعبة الحبل الهندية يستغرق ثلاثة أرباع الساعة، ويعرف جميعَ الأشخاص الذين عبرت أمهاتهم "**البحر الأسود**" ولو مرة واحدة! كان هذا في خريف عام 1944، وكان في أواخر ربيع عام 1946 ان تلقّى "**هيركيول بوارو**" زيارة.

- 2 -

كان "هيركيول بوارو" في صباح أحد أيام شهر أيار (مايو) المشرقة – جالساً إلى مكتبه الأنيق عندما اقترب منه "جورج" ساعي مكتبه هامساً بأدب:

– هناك سيدة – يا سيدي – تطلب مقابلتك. سأل "بوارو" بحذر:

– من أية نوعية من السيدات؟ إذ كان يستمتع دائماً بشدة حرص "جورج" على أن يكون دقيقاً في الوصف.

– لابد من أنها تتراوح ما بين الأربعين والخمسين من العمر يا سيدي، مظهرها غير مرتب ويميل إلى أن يكون فنيًا، ترتدي حذاء مشيٍ جيد من نوعية البروغ أيرلنديّ الصنع، ومعطفًا من التويد وجونلة، ولكنها ترتدي قميصا من الدانتيل وعقداً من خرز مصري غريب وشملة من الشيفون الأزرق. اقشعر بدن "بوارو" بقدر طفيف وقال:

– لا أظن أنني أريد مقابلتها

– هل أخبرها يا سيدي بأنك متوعك صحيًا؟ نظر "بوارو" إليه متاملاً، ثم قال:

– يخيّل إليّ أنك قد أخبرتها بالفعل بأنني مشغول بموضوع مهم، ولا أريد أن يزعجني أحد؟ سعل "جورج" ثانية، وقال:

– لقد ذكرت يا سيدي أنها قد حضرت من الريف خصيصًا، ولن يضايقها أن تنتظر أية مدة. تنهد "بوارو" قائلاً:

– لا ينبغي للمرء أن يقاوم المحتوم، فمادامت سيدة في منتصف العمر ترتدي خرزًا مصريًا قد قررت لقاء "هيركيول بوارو" الذائع الصيت، وجاءت من الريف خصيصا لهذا الغرض فلا شيء من الممكن أن يثنيها، وسوف تظل منتظرة في البهو حتى تحصل على ما تريد، "جورج"، أدخلها. تراجع "جورج" إلى الخلف، ثم عاد ليعلن بأسلوب رسميّ:

– السيدة "كلود". دخل ذلك الشكل البشري – المرتدي المعطف التويد البالي والشملة المتطايرة – بوجه مبتسم. تقدمت من "بوارو" تمد يدها وجميع قلائدها المصنوعة من الخرز تتأرجح وتقعقع. بادرته بقولها:

– يا سيد "بوارو" لقد أتيت إليك بإرشاد روحي. طرف "بوارو" بعينيه قليلا وقال:

– حقًا يا سيدتي، ربما يكون من الأفضل أن تجلسي وتخبريني. لم يقل أكثر من هذا.

– من كلا المصدرين يا سيد "بوارو": الكتابة الذاتية ولوحة "الويجا". كان هذا في الليلة

ما قبل الماضية. كانت السيدة "**إلفاري**" - وهي سيدة مدهشة - وأنا نستخدم اللوحة، حصلنا على الحرفين الأولين أنفسهما من الاسم: هـ. ب - هـ. ب - هـ. ب، كان من الطبيعي ألا أفهم المغزى الحقيقي لهما على الفور؛ فهذا يستغرق بعض الوقت، فلا يستطيع المرء على هذه الأرضية الترابية أن يرى بوضوح فكددْتُ ذهني للتوصل إلى إنسان يبدأ اسمه بهذين الحرفين. علمت أنه لابد أن تكون له صلة بجلسة استحضار الأرواح الأخيرة، وكانت مثيرة للمشاعر جداً، ولكنني لم أهتد إليه إلا بعد انقضاء فترة من الزمن. وعندما اشتريت نسخة من الصحيفة المصورة؛ بإرشاد روحي أيضًا؛ لأنني أشتري دائمًا صحيفة "رجل الدولة الجديد" - كنت أنت بها - رأيت صورتك بها ونبذة عنك وعن إنجازاتك. إنه لمدهش ياسيد "**بوارو**" - ألا ترى ذلك؟ إن لكل شيء هدفًا معينًا. واضح أنك الشخصية التي عينها المرشدون لكشف غموض هذا الموضوع. تأملها "**بوارو**" مدققًا. وكان من الغريب أن الشيء الذي لفت انتباهه هو عيناها الثاقبتان ذواتا اللون الأزرق الباهت، المعبرتان عن أسلوب حديثها غير المترابط. قال مقطبًا:

- وماذا - يا سيدة "**كلود**" - هو ذلك الحق؟ يخيل إليّ أنني قد سمعت هذا الاسم منذ فترة. أومأت بحماس شديد، وقالت:

- إنه شقيق زوجي "**جوردون**" الواسع الثراء، شقيق زوجي، وعادة ما يرد اسمه بالصحف. لقي حتفه في الغارة الجوية منذ أكثر من عام - ضربة قوية لنا جميعًا. زوجي هو شقيقه الأصغر وهو طبيب اسمه "**ليونيل كلود**". أضافت خافضة صوتها:

- ليست لديه - بالتأكيد - أدنى فكرة بأنني قد أتيت إلى هنا لاستشارتك. فهو لا يوافق على ذلك. أرى أن للأطباء نزعة مادية جداً، ويبدو أن الروحانيات خافية عليهم على نحو غريب. يؤسسون إيمانهم على العلوم، ولكن ما أقوله هو: ما هي العلوم أو المواد العلمية؟ ومااللذي يمكنها أن تفعله؟ بدا لـ "**هيركيول بوارو**" أن لا إجابة عن هذا السؤال سوى وصف مجهد دقيق يتناول "**باستور**" و "**ليستر**"، ومصباح الأمان الذي ابتكره "**همفري ديفي**"، وأهمية الكهرباء بالبيت، وعدداً آخر من الأشياء ذات الصلة، ولكن من الطبيعي ألا تكون هذه هي الإجابة التي تنشدها السيدة "**ليونيل كلود**". في الواقع العلمي، إن سؤالها مثل عدد كبير من الأسئلة الأخرى لم يكن سؤالاً حقيقيًّا مطلقًا، بل لم يكن سوى إشارة بلاغية. اكتفى "**هيركيول بوارو**" بالاستفسار بأسلوب عملي:

– كيف – في تقديرك – يمكنني أن أساعدك يا سيدة "**كلود**"؟

– هل تؤمن بواقعية عالم الأرواح يا سيد "**بوارو**"؟ أجاب "**بوارو**" بحذر:

– أنا كاثوليكي متدين. طرحت السيدة "**كلود**" الإيمان الكاثوليكي جانبًا وبابتسامة إشفاق قالت:

– إيمان أعمى! الكنيسة عمياء – متحاملة وحمقاء – لا تقبل واقع العالم الكائن وراء هذا العالم ولا جماله. قاطعها "**هيركيول بوارو**" قائلا:

– في تمام الثانية عشرة لديّ موعد مهم. جاءت هذه الملاحظة في توقيت مناسب. انحنت السيدة "**كلود**" إلى الأمام وقالت:

– ينبغي لي أن أطرق صلب الموضوع على الفور. هل يمكنك يا سيد "**بوارو**" الاهتداء إلى شخص متغيب؟ ارتفع حاجبا "**بوارو**" قبل أن يجيب بحذر:

– نعم ربما يكون هذا ممكنًا. ولكن الشرطة يمكنها إنجاز هذه المهمة بأسلوب أكثر سهولة بكثير مما يمكنني؛ فلديهم جميع الإمكانات اللازمة. استبعدت السيدة "**كلود**" فكرة الشرطة بالأسلوب ذاته الذي استبعدت به الكنيسة الكاثوليكية، وقالت:

– لا يا سيد "**بوارو**"، تم إرشادي إليك بواسطة من هم خلف الحجاب. أصغِ إليَّ الآن. تزوّج "**جوردون**" شقيق زوجي قبل وفاته ببضعة أسابيع أرملة شابة كان اسمها السيدة "**أندرهيي**". أُعلن عن وفاة زوجها الأول في "**إفريقيا**" وحزنت عليه كثيرًا. بلد الأسرار والغموض "**إفريقيا**" هذه. قال "**بوارو**" مصوبًا:

– قارة الأسرار والغموض. هذا ممكن. أي بلد... وواصلت هي الحديث مقاطعة إياه:

– وسط "**إفريقيا**". موطن "الودّونية" (المشعوذين) و"الزومبي" – (الأفعى المؤلّهة في الديانة الودّونية).

– "الزومبي" في جزر "**الهند الغربية**". وواصلت السيدة "**كلود**" الحديث بلا توقف:

– موطن السحر الأسود، والممارسات الغامضة الغريبة، فهو بلد من الممكن أن يختفي فيه الرجل، ولا يُسمع خبر عنه أبدًا. قال "**بوارو**":

– ممكن.. ممكن، ولكن هذا ينطبق أيضًا على ما يجري في سيرك "بيكاديللي". تغاضت السيدة "**كلود**" عن هذه المعلومة، واستطردت تقول:

– في الآونة الأخيرة يا سيد "**بوارو**" بلغنا اتصال مرتين من إحدى الأرواح ذكر أن اسمه

هو "روبرت" . كانت الرسالة متطابقة في كلتا الحالتين: "ليس متوفّى" . تحيرنا، لم نعرف أحداً باسم "روبرت" ، عندما طلبنا مزيداً من الإرشاد تلقينا هذه الإجابة: ر. يو. ر. يو. ر. يو. وبعدها: أخبرْ ر. أخبرْ ر. سألنا. نخبر "روبرت"؟ لا. من "روبرت" . ر. يو. إلام يرمز الحرف "يو"؟ بعد ذلك يا سيد "بوارو" تلقينا أهم إجابة: الولد الصغير الأسمر. الولد الصغير الأسمر. ها ها ها!" هل فهمت؟ أجاب "بوارو" :

– لا، لم أفهم شيئًا! تأملت وجهه بإشفاق، وقالت:

– النشيد الذي يرددونه في رياض الأطفال: "الولد الأسمر الصغير تحت كومة القش مستغرق في نوم عميق" تحت القش – أي "أندرهيي" – فهمت؟ أومأ "بوارو" وتحاشى أن يسألها: لطالما أمكن أن يتهجّى اسم "روبرت" بوضوح، فلماذا لم يتم التعامل مع اسم "أندرهيي" بالأسلوب ذاته، ودون الحاجة إلى الخوض في كل هذه الألغاز الرخيصة التافهة؟ أكملت السيدة "كلود" عبارتها بنبرة انتصار قائلة:

– واسم زوجة شقيق زوجي هو "روزالين" . هل ترى كل هذا الخلط بين حرف الراء؟ ولكن المعنى واضح تمامًا: أخبروا "روزالين" بأن "روبرت أندرهيي" لم يمت.

– أه! وهل أخبرتها؟ بدا على السيدة "كلود" قدر من الدهشة، وقالت:

– حسنًا لا. ما أعنيه هو: أن الناس يرتابون، وأنا واثقة بأن "روزالين" لابد أن ترتاب، ثم إن مثل هذه المعلومة قد تصيب هذه المسكينة بالاضطراب، وإنها ستتساءل: أين كان، وماذا كان يفعل حيث كان؟

– فضلاً على بث صوته عبر الأثير؟ هذا صحيح. أسلوب غريب بكل تأكيد. ذلك الذي أعلن به عن سلامته؟

– آه يا سيد "بوارو" ، لست خبيرًا في هذه الأمور. وكيف لنا أن نعرف ظروفه. ربما يكون القائد "أندرهيي" أم انه الرائد "أندرهيي" سجينًا في مكان ما من المناطق الإفريقية الداخلية المظلمة، ولكن إذا أمكن العثور عليه يا سيد "بوارو" .. لو أمكن إعادته إلى زوجته الشابة العزيزة "روزالين" ، تصوَّر كم ستكون سعيدة! آه ياسيد "بوارو" ، لقد بعث بي إليك من المؤكد أنك لن تعصي أمرًا قادمًا من عالم الروحانيات. تأملها "بوارو" مفكرًا، ثم قال بصوت خافت:

– أتعابي باهظة. يمكنني القول بأنها باهظة إلى أقصى حدّ! والمهمة التي تعرضين عليّ

القيام بها لن تكون سهلة.

– يا إلهي! من المؤكد ان هذا من سوء الحظ. إن حالتنا المالية أنا وزوجي سيئة جداً. في الواقع إن المأزق الذي أنا فيه أسوأ مما يعرفه زوجي عني. فقد اشتريت عدداً من الأسهم – بإرشاد روحي – وخاب ظني فيها حتى الآن. اصبح وضعها مخيفًا. هبطت قيمتها بسرعة غير متوقعة، واصبحت الآن غير قابلة لأن تباع. رمقته بعينين زرقاوين حزينتين، وقالت:

– لم أجرؤ على أن أخبر زوجي، وقد أخبرتك بالوضع حتى أحيطك علمًا بمركزنا المالي، ولكن من المؤكد يا سيد "بوارو" أن جمع شمل زوجين شابين مهمة نبيلة.

– النبل يا سيدتي العزيزة لن يغطي لي أجور السفر بالبر والبحر والجو، كما انه لن يسدد لي نفقات البرقيات ومناقشة الشهود.

– ولكن إذا تم الاهتداء إليه، وإذا وجد القائد "أندرهيي" حيًّا، حسنًا، فعندئذ أعتقد أنه يمكنني القول بأنه عندما تتم مهمة الاهتداء إليه لن تكون هناك صعوبة في سداد أتعابك.

– آه. هو ثري إذن هذا القائد "أندرهيي"؟

– لا. لا. ولكنني أؤكد لك، أقسم لك بشرفي، إن الوضع المالي لن يمثل أية عقبة. هز "بوارو" رأسه ببطء وقال:

– آسف يا سيدتي. جوابي هو: لا. لم يجد صعوبة كبيرة في إقناعها بقبول هذه الإجابة. بعدما رحلت أخيراً وقف مستغرقًا في تفكير عميق مقطبًا حاجبيه. تذكر الآن السبب في أن اسم "كلود" بدا مألوفًا له. عاد إلى ذاكرته ذلك الحديث الذي جرى في النادي يوم الغارة الجوية، وذلك الصوت الممل المدوّي الذي واصل الرائد "بورتر" به تلك الرواية التي لم يكن أيٌّ من الحاضرين راغبًا في الإصغاء إليها. تذكر حفيف الصحيفة وفكّ الرائد "بورتر" الذي هبط إلى أسفل فجأة، وتعبيرات القلق التي لاحت بوجهه. أما ما أزعجه فكان محاولته أن يُكوِّن رأيًا عن تلك السيدة الشغوفة المتوسطة العمر التي كانت قد غادرت مكتبه توًّا. تلك الثرثرة العفوية عن الروحانيات والغموض، والشملة الهفهافة، والسلاسل والتمائم المتدلية حول عنقها، وأخيراً – وعلى نقيض طفيف من كل ذلك – ذلك البريق الماكر في عينين باللون الأزرق الباهت. قال محدثًا نفسه: "لماذا على وجه التحديد اتت إليّ أنا؟ وما ذلك الذي يجري في..." ألقى نظرة على البطاقة الموضوعة على مكتبه وقرأ: "وورمزلي فيل" – بعد ذلك بخمسة أيام على وجه التحديد رأى بإحدى الصحف بندًا صغيراً يعلن نبأ وفاة رجل

يدعى "**إينوك آردن**" – في "**وورمزلي فيل**" وهي قرية صغيرة قديمة على بعد حوالي خمسة كيلومترات من ملاعب جولف "**وورمزلي هيث**" الشعبية. حدّث "**هيركيول بوارو**" نفسه ثانية: "إنني أتساءل عما عسى أن يكون مجرى الأحداث في "**وورمزلي فيل**".

الجزء الأول

- 1 -

تتألف قرية "**وورمزلي هيث**" من ملاعب جولف، وفندقين، وعدد من الفيلات الحديثة الباهظة الثمن المطلّة على ملاعب الجولف، وصَفٌ من متاجر لبيع الكماليات، وكان ذلك قبل قيام الحرب، ومحطة سكك حديدية. عند الخروج من محطة السكك الحديدية وإلى اليسار طريق رئيسي يشق مساره إلى "**لندن**"، وإلى اليمين ممر صغير عبر الحقول يحمل علامة طريق كتب عليها ممر مشاة إلى "**وورمزلي فيل**". "**وورمزلي فيل**" هذه المختبئة وسط التلال المكللة بالغابات البعيدة الشبه تمامًا بـ "**وورمزلي هيث**" – كانت أساسًا مدينة تسوّق صغيرة عتيقة الطراز تراجعت الآن لتصبح قرية تضم: شارعًا رئيسيًّا شيدت منازله على الطراز الجورجي، وسبع حانات، وعددًا صغيرًا من المتاجر المتواضعة. تسود القرية أجواء عامة تشير إلى أنها تبعد عن "لندن" بمسافة مائتين وأربعين كيلومترا لا خمسة وأربعين كيلومترًا. يجمع سكان هذه القرية بلا استثناء على ازدراء زراعة المشروم المحببة (عيش الغراب) لأهالي "**وورمزلي هيث**"! على الحدود الخارجية للقرية عدد من المنازل الجميلة ذات الحدائق التقليدية القديمة. إلى أحد هذه المنازل – البيت الأبيض – عادت "**لين مارتشمونت**" في أوائل ربيع عام 1946 عندما تم تسريحها من فرقة الصَّعْو (اسم طائر صغير جدًّا) التي كانت مجنّدة بها. في صباح اليوم الثالث لعودتها أطلت من نافذة حجرة نومها عبر الرقعة غير المنظمة المكسوّة بالعشب على أشجار الدردار بالمرج الواقع إلى الخلف، واستنشقت الهواء بسعادة. كان ذلك الصباح غائمًا بدرجة طفيفة، وتفوح فيه رائحة التربة المبتلّة قليلاً.. تلك النوعية من الرائحة التي كانت تفتقدها طوال عامين ونصف العام. جميل أن تعود إلى البيت... ومدهش أن تكون هنا في حجرة نومها الصغيرة التي كثيرًا ما كانت تفكّر فيها وينتابها الحنين إليها عندما كانت خارج البلاد، وجميل أن تتخلص من الزي الموحّد، ويمكنها ارتداء جونلة من التويد مع سترة مناسبة حتى لو كان العث قد نشط في إتلافها في خلال سنوات الحرب! جيد أن تكون

خارج هذه الفرقة العسكرية وتعود امرأة حرّة مرة ثانية على الرغم من أنها قد استمتعت بخدمتها عبر البحار إلى حد بعيد. فقد كان العمل مثيراً للاهتمام بدرجة معقولة، وكانت هناك حفلات وقدر كبير من اللهو، ولكن كان هناك أيضًا ملل الروتين والإحساس بأنها فرد في قطيع يُساق معًا، وكان هذا يثير فيها رغبة ملحّة في الفرار في بعض الأحيان. كان عندئذ في فصل الصيف الطويل الحارق في الشرق أن فكّرت باشتياق شديد إلى "وورمزلي فيل"، وإلى البيت البارد المتواضع المريح، وإلى والدتها العزيزة. كانت "لين" تحب والدتها، وتتضايق منها في الوقت ذاته. عندما كانت بعيدة عن البلاد جداً كانت تحتفظ لها بالحب، وقد نسيت ضيقها منها أو تذكرته فقط بألم. أمها العزيزة التي تدفع بها إلى الجنون! ماذا كان عساها ألا تعطي في مقابل أن تسمع والدتها تنطق بإحدى عباراتها المألوفة بذلك الصوت الحلو الشاكي. آه – أن تعود إلى البيت ثانية وألا تضطر إلى أن تغادره ثانية! والآن ها هي خارج الخدمة تتمتع بحريتها، وقد عادت إلى البيت الأبيض. كانت قد عادت منذ ثلاثة أيام. وكان قلق وعدم رضا غريب قد بدأ يتسلل إليها. كان كل شيء على حالته الأولى قبل سفرها – كاد أن يكون مطابقًا لحالته السابقة تماما – المنزل والأم و "رولي" والمزرعة والأسرة. الشيء الوحيد الذي حدث به اختلاف وما كان يجب أن يختلف هو شخصها. دوّت صيحة السيدة "مارتشمونت" بصوتها الرفيع إلى أعلى الدرج:

– حبيبتي! هل أحضر لابنتي صينية الفطور في الفراش؟ صاحت "لين" بصوت حاد:

– لا بالتأكيد. فأنا آتية إليك. تساءلت: "ولماذا قالت أمي "ابنتي"؟" شيء سخيف جداً! أسرعت إلى الطابق السفلي، ودخلت حجرة المائدة. لم يكن الفطور جيداً جداً. بدأت "لين" تتبين ذلك القدر غير المناسب من الوقت ومن الاهتمام الذي كانت تستغرقه عملية البحث عن الطعام. باستثناء امرأة غير جديرة بالاعتماد عليها تأتي أربعة أيام في الأسبوع صباحًا. كانت السيدة "مارتشمونت" بمفردها بالمنزل تقوم بأعمال إعداد الطعام والنظافة. كانت في حوالي الأربعين من العمر عندما وضعت "لين" ولم تكن بصحة جيدة. تبينت "لين" أيضًا – بقدر من الانزعاج – كيف تغير وضعهم المالي. فالدخل الصغير الثابت الذي كان مناسبًا لحياة كريمة قبل قيام الحرب قد هبط إلى النصف تقريبا بفعل ارتفاع الضرائب. ارتفعت كذلك أسعار السلع والنفقات وأجور العمال. حدثت "لين" نفسها بكآبة: "يا له من عالم جديد قوي!" استقر بصرها على بعض أعمدة الصحيفة اليومية: "ضابط سابق يطلب عملاً

يحتاج إلى المبادرة وسرعة تصريف الأمور". "مجندة سابقة تطلب عملاً يتطلب قدرات تنظيمية ونفوذًا". حب المغامرة والمبادرة والضبط والربط – هذه هي الإمكانات المعروضة. لكن ما هو المطلوب؟ أفراد يمكنهم القيام بأعمال الطهي والنظافة والاختزال. من لهم علم بأحد الأعمال الروتينية ويمكنهم أداؤها بإتقان. لم تتأثر بما قرأت على أية حال؛ لأن طريقها إلى المستقبل واضح أمام عينيها: الزواج بـ"**رولي كلود**" ابن خالها. كانت خطبتهما قد أعلنت منذ سبع سنوات قبل قيام الحرب مباشرة، وكانت تعتزم دائمًا – على حد ذاكرتها – الزواج بـ"**رولي**" كانت قد وافقت فورًا على اختياره حياة الفلاحة والمزرعة. رأت أنها حياة كريمة، ربما لا تكون مثيرة وتنطوي على قدر كبير من العمل الشاق، ولكن كليهما أحبًّا الهواء الطلق والعناية بالحيوانات. ولا يعني هذا أن تطلعاتهما كانت إلى ذلك دائمًا؛ لأن الخال والعم "**جوردون**" كان واعدًا إياهما دائمًا. جاء صوت السيدة "**مارتشمونت**" مقاطعًا بنبرة حزن في الاتجاه المعاكس:

– كانت هذه صدمة قاسية لنا جميعًا يا حبيبتي "**لين**"، كما كتبت إليك، لم يكن قد انقضى على وصول "**جوردون**" إلى "**إنجلترا**" سوى يومين. لم يتسنَّ لنا حتى رؤيته. لو لم يكن قد مكث في "**لندن**". لو كان قد أتى إلى هنا مباشرة.

– نعم لو أن... صدمت "**لين**" في البلد الغريب، وحزنت عندما تلقت نبأ وفاة خالها، ولكن المعنى الحقيقي لوفاته بدأ الآن يتبلور في ذهنها؛ لأنه على حد ذاكرتها كانت حياتها، بل حياة جميع أفراد العائلة واقعة تحت سيطرة "**جوردون كلود**"؛ لأن هذا الرجل الواسع الثراء الذي لا ذرية له قد احتوى جميع أقربائه تحت جناحيه كلية. حتى "**رولي**" – كان "**رولي**" قد بدأ مشاركة مع صديقه "**جوني فافاسور**"، في هذه المزرعة برأس مال صغير، ولكنهما كانا ممتلئين أملاً وطاقة. ووافقهما "**جوردون كلود**" على هذا المشروع. أما لها فقد قال المزيد: "لا يمكنكم النجاح في الزراعة بدون رأس مال، إلا أن أول ما يجب تأكده هو ما إذا كان هذان الشابان يتوفر لديهما قوة الإرادة والطاقة اللازمان لنجاح المشروع. إذا قدمت لهما رأس المال اللازم الآن فلن أعلم ذلك – ربما بعد بضع سنوات. أما إذا تأكدت أنهما جادًّان متحمسان للمشروع، وكنت مطمئنًا إلى ذلك من جانبهما فعندئذ يا "**لين**" لن يكون لديك أدنى سبب للاهتمام أو القلق. سأقوم بتمويلهما على النطاق الصحيح، بناء على ذلك لا تستهيني بتطلعاتك يا بنتي. أنت – على وجه التحديد – الزوجة التي يحتاج "**رولي**" إليها،

ولكن احتفظي بما قد قلته لك سرًا بيننا" . حسنًا – وقد فعلت ذلك إلا أن "**رولي**" كان يستشعر اهتمام عمه بصالحه واستعداده لمساعدته، وأن عليه أن يثبت للرجل أنه وصديقه "**جوني**" أهل لأن يستثمر فيهما ماله. نعم. كان الجميع يعتمدون على "**جوردون كلود**"، ولا يعني هذا أن أيًا من الأقارب كان مستغلاً أو عاطلاً. فقد كان "**جيريمي كلود**" شريكا رئيسيًا في مؤسسة محاماة، و "**ليونيل كلود**" طبيبًا ممارسًا، ولكن من وراء حياة العمل كان هناك في الخلفية الارتياح المترتب على الاطمئنان إلى وجود المال. فلم تكن هناك قط حاجة إلى الاقتصاد أو التوفير. كان المستقبل مؤمَّنًا. كان "**جوردون كلود**" الرجل الأرمل الذي لم ينجب وريثًا يتولى أمره. وكان قد أكّد لهم جميعًا ذلك أكثر من مرة. كانت شقيقته الأرملة "**أديلا مارتشمونت**" قد واصلت الحياة بالبيت الأبيض بينما كان يمكنها الانتقال إلى بيت صغير لا يتطلب كل هذا القدر من العمل والعناية به. تعلَّمت "**لين**" في مدارس الدرجة الأولى. ولولا قيام الحرب كان يمكنها أن تتلقى أي نوع تريده من التدريب الباهظ التكلفة. وكانت الشيكات ترد من خالها "**جوردون**" بانتظام مريح وفَّر للأسرة الاستمتاع بترف الحياة إلى حدٍّ ما. كان كل شيء مستقرًا بما يوفر الأمان اللازم: عندئذٍ كان زواج "**جوردون كلود**" غير المتوقع على الإطلاق. استطردت "**أديلا**" :

– فأصاب الذهول الجميع بالتأكيد يا عزيزتي؛ لأنه لو أن شيئًا واحدًا بدا موثوقًا به فهو عدم إقدام "**جوردون**" على الزواج ثانية. فلم يبد الأمر وكأنه مفتقر إلى الكثير من الروابط الأسرية.

نعم.. هكذا حدثت "**لين**" نفسها.. عائلة كبيرة بل وربما أنها كبيرة بأكثر مما يلزم. واصلت السيدة "**مارتشمونت**" حديثها قائلة:

– كان عطوفًا دائمًا وإن كان شديد التحكم في بعض الأحيان القليلة. لم يتقبل قط عادة تناول العشاء فوق مائدة براقة، بل كان يصر دائمًا على الالتزام بمفارش المائدة التقليدية. وعندما كان في "**إيطاليا**" بعث إليّ بعدد من هذه المفارش الرائعة، فقالت "**لين**" معلّقة بنبرة جافة:

– إسهامًا منه في تلبية رغباته بالتأكيد. ثم ما لبثت أن أضافت بقدر من الفضول:

– وكيف التقى هذه الزوجة الثانية؟ لم تخبريني بذلك في خطاباتك قط.

– آه يا حبيبتي، على متن سفينة أو طائرة أو شيء من هذا القبيل. قادمة من "**أمريكا**

الجنوبية" ومتجهة إلى "**نيويورك**" على ما أظن. بعد كل هذه السنوات! وبعد كل هذا العدد من السكرتيرات والناسخات على الآلات الكاتبة ومدبرات المنزل وما إلى ذلك. ابتسمت "**لين**" فمنذ أن توفرت لها الذاكرة كانت سكرتيرات "**جوردون كلود**" ومدبرات منزله ومستخدمو مكتبه يخضعون جميعًا لأدق الفحوص والبحوث. سألت بنبرة فضول:

– جميلة كما أفترض؟ قالت "**أديلا**":

– حسنًا يا عزيزتي، أرى أنها ذات وجه سخيف!

– لست رجلاً يا أمي! واصلت السيدة "**مارتشمونت**" حديثها قائلة:

– من المؤكد أن هذه الفتاة المسكينة أصيبت بصدمة في تلك الغارة، وبدت مريضة بشكل مخيف ورأيي أنها لم تتجاوز تلك الصدمة تمامًا، تبدو كمًّا من الأعصاب – لو كنت تفهمين ما أعنيه – كما تبدو في بعض الأحيان محدودة الذكاء بحق. أشعر بأنها لم تكن نعم الرفيقة لـ "**جوردون**" المسكين. ابتسمت "**لين**". كانت تشك في أن "**جوردون كلود**" اختار أن يتزوج امرأة تصغره سنًّا بكثير للتوافق الفكري فحسب. استطردت السيدة "**مارتشمونت**" بصوت خافت تقول:

– ثم يا عزيزتي، لا أحب أن أقول ذلك، ولكن من المؤكد أنها ليست سيدة راقية!

– يا له من تعبير يا أمي! وما قيمة هذا في هذا الزمان؟

– لا تزال له أهمية في الريف يا حبيبتي، ما أعنيه ببساطة هو أنها ليست كواحدة منا تمامًا!

– يا لها من شيطانة صغيرة مسكينة!

– في الواقع يا "**لين**" لا افهم ما تعنين. لقد توخينا جميعًا بالغ الحرص على أن نتعامل معها بدفء وأدب، وأن نرحب بها بيننا مراعاة لمشاعر "**جوردون**". سألت "**لين**" بفضول:

– تقيم في "**فاروبانك**" إذن؟

– نعم. هذا طبيعي. إلى أين غير هذا المنزل كانت ستذهب بعدما غادرت دار الرعاية؟ أوصى الطبيب بأن تعيش بعيداً عن "**لندن**"، لذلك تقيم في "**فاروبانك**" مع أخيها. سألت "**لين**":

– كيف يبدو؟

– شابًا بشع الطلعة. توقفت السيدة "**مارتشمونت**" قليلاً، ثم أضافت بقدر كبير من التوكيد:

– وقحًا! لاحت بذهن "لين" لمحة إشفاق. حدثت نفسها: "اراهن على أنني ساكون أكثر وقاحة منه". سألت:

– ما اسمه؟

– "هنتر". "ديفيد هنتر". ايرلندي على ما أعتقد. من المؤكد أنهما فردان لم يسمع عنهما أحد من قبل. كانت أرملة اسمها السيدة "أندرهيي". لا أحب أن أكون قاسية المشاعر، ولكن لا يسعني سوى أن اتساءل: أية نوعية من الأرامل تلك التي من المحتمل أن تتجول سفرًا من "أمريكا الجنوبية" في زمن الحرب؟ لا يسعني سوى الإحساس بأنها كانت تبحث لها عن زوج ثري! وقالت "لين" معلّقة:

– وفي هذه الحالة لم يبؤ بحثها بالفشل. وتنهدت السيدة "مارتشمونت":

– يبدو هذا الأمر غريبًا جدًا. دائمًا ما كان "جوردون" رجلاً ذكيًا، ولم يكن السبب – ماأعنيه – هو أن النساء لم يحاولن. فتلك السكرتيرة الخاصة ما قبل الأخيرة على سبيل المثال كانت جريئة جدًا في محاولة لفت الأنظار إليها، وكانت على مستوى عالٍ من الكفاءة على حدٍّ علمي، ولكنه اضطر إلى التخلص منها. قالت "لين" بقدر من شرود ذهني:

– أعتقد أن هناك دائمًا الهزيمة الساحقة. قالت السيدة "مارتشمونت":

– في الثانية والستين – تلك السن الخطرة وفي ظل ويلات الحرب – أمر يدعو في تقديري إلى القلق وعدم الاستقرار النفسي، ومع ذلك لا يمكنني أن أصف لك الصدمة التي أصابتنا عندما تسلمنا خطابه الذي بعث به إلينا من "نيويورك".

– ما الذي جاء بالخطاب بالتحديد؟

– بعث به إلى "فرانسيس" – لا يمكنني أن اعرف لذلك سببًا؛ ربما يكون قد تصوّر أنها ستكون (على ضوء نشأتها) الأكثر تعاطفًا معه. قال إنه ربما ندهش عندما نعلم أنه قد تزوج، وأن كل شيء تم بصورة مفاجئة، ولكنه واثق بأننا جميعًا سرعان ما سوف نعجب بـ"روزالين". اسم مسرحي جدًا – الا ترين هذا يا حبيبتي؟ ما أعنيه هو أنه لابد من أن يكون اسمًا حركيًا مستعارًا. ذكر أنها عاشت حياة حزينة للغاية، وأنها كانت قد عانت الكثير على الرغم من حداثة سنّها، وأن أسلوبها في التصدي لتلك الصعاب كان مدهشًا. قالت "لين" متمتمة:

– حيلة معروفة.

– أعلم. وأتفق معك تماما. سمعنا عنها كثيرا، ولكنني كنت أعتقد أن "**جوردون**" بما له من خبرة في الحياة... ومع ذلك هذا ما كان. لها عينان واسعتان جداً – باللون الأزرق القاتم وكما لو كانتا مكحلتين بعناية فائقة.

– جذابة؟

– نعم. من المؤكد أنها جميلة جداً، وإن كانت فتنتها ليست من النوعية التي تعجبني. قالت "**لين**"، وقد ارتسمت ابتسامة ماكرة على شفتيها:

– ولن تعجبك أبداً.

– لا يا حبيبتي. حقيقة – الرجال – لكن لا تعويل على الرجال! – حتى أكثرهم اتزاناً يقترف الأخطاء الحمقاء التي يصعب تصديقها! استطرد خطاب "**جوردون**" يقول إنه لا ينبغي أن نعتقد لحظة واحدة أن هذا من الممكن أن يعني أي ارتخاء في الروابط الراسخة. لم يزل يعتبرنا جميعاً مسؤوليته الشخصية. سالت "**لين**":

– ولكنه لم يكتب وصية بعد زواجه؟ هزت السيدة "**مارتشمونت**" راسها، وقالت:

– كانت آخر وصية حررها في عام 1940. لا أعرف شيئاً عن تفاصيلها، لكنه أفهمنا آنذاك أنه قد اعتنى بنا جميعاً بمقتضاها لو حدث أن أصابه مكروه. وقد أبطل سريان هذه الوصية بزواجه. أفترض أنه كان سيكتب وصية جديدة عند عودته إلى البلاد، ولكن الزمن لم يمهله. قُتل في اليوم التالي لوصوله إلى هذا البلد مباشرة.

– وبناء على ذلك تحصل "**روزالين**" على كل شيء؟

– نعم؛ لأن وصيته الأولى فقدت صلاحيتها بزواجه. لزمت "**لين**" الصمت. لم تكن أكثر مادية من العدد الأكبر من أفراد العائلة، ولكنها ما كانت لتكون بشراً لو لم تكن رافضة هذا الوضع الجديد الذي كانت الأمور عليه. أحست بأن الوضع برمته ليس راجعاً إلى ما كان "**جوردون كلود**" ذاته يتصوره. كان يمكنه أن يترك القدر الأكبر من ثروته لزوجته الشابة، ولكن كان من المؤكد أن يحرص على أن ينص على أحكام معينة لصالح العائلة التي كان يشجعها على أن تعتمد عليه؛ إذ كان يلحّ عليهم المرة بعد الأخرى بألا يقتصدوا وبألا يعدوا العدة للمستقبل. كانت قد سمعته يقول لـ "**جيريمي**": "ستكون رجلاً ثرياً عند موتي". وكان دائماً يقول لوالدتها: "لا تهتمي يا "**أديلا**"؛ سأكون دائماً المسؤول عن رعاية "**لين**"،

أنت تعلمين هذا جيداً، ولا أحب أن تتركي هذا المنزل؛ لأنه بيتك. ابعثي إليَّ بجميع الفواتير المتعلقة بالصيانة والإصلاحات" . أما "رولي" فقد شجعه على احتراف الزراعة والفلاحة. و"أنتوني" ابن "جيريمي" أصر على أن يلتحق بالحرس الملكي وقد وفّر له راتبًا معقولاً دائمًا. و "ليونيل كلود" شجعه على متابعة البحث في مجالات معينة من فروع الطب لا تدر عليه مكاسب سريعة وأن يتوقف عن ممارسة مهنته كطبيب. قطعت سلسلة افكار "لين" عندما أتت السيدة "مارتشمونت" بمجموعة من الفواتير، وقالت بصوت مرتعش:

– انظري كل هذه. ما الذي يمكنني أن افعله بها؟ ماذا أفعل يا "لين" ؟ أرسل مدير البنك إليَّ خطابًا وصلني هذا الصباح فقط، اخطرني فيه بأن حسابي أصبح مدينًا. لا أدري كيف حدث هذا! كنت شديدة الحرص، ولكن يبدو أن استثماراتي لا تدر العائد الذي كانت تعطيه من قبل. يقول إن الضرائب قد زادت. وكل تلك الأمور الصفراء – التأمين ضد دمار الحرب أو شيء من هذا القبيل – ينبغي أن يعمل المرء على سدادها سواء رغب في ذلك أم لم يرغب. أخذت "لين" الفواتير وتصفحتها. لم يشر أي منها إلى لمحة إسراف أو تبذير. كانت عن ألواح حجرية استبدلت بسقف المنزل، وإصلاح أسواره، وشراء غلاية مستهلكة بالمطبخ، وماسورة مياه رئيسية جديدة. بلغ مجموع الفواتير مبلغًا كبيرًا. قالت السيدة "مارتشمونت" بنبرة تذلل:

– أرى أنه لابد لي أن أنتقل من هذا المنزل، ولكن إلى أين أذهب؟ لا يوجد منزل صغير في أي موقع كان. لا يوجد مثل هذا المنزل. آه – لا أريد تحميلك بكل هذه الهموم يا "لين" . وخصوصا أنك قد عدت إلى البيت مؤخرًا، ولكنني لا أدري ماذا عساي أن أفعل. لا أدري بحق. تأملت "لين" وجه والدتها. كانت قد جاوزت الستين عاما. ولم تكن امرأة قوية جداً في وقت من الأوقات. كانت في زمن الحرب تستضيف لديها المهجَّرين من بيوتهم في "لندن" . تقوم لهم بأعمال الطهي والنظافة، وتشارك في أعمال بعض الجمعيات، وتصنع المربى، وتساعد على إعداد الوجبات المدرسية. كانت تعمل مدة أربع عشرة ساعة يوميًا بعد أن كانت تعيش حياة سهلة سعيدة قبل الحرب، وأصبحت الآن – وفقًا لتقدير "لين" – على شفا انهيار تام... منهكة القوى خائفة من المستقبل. تولد غضب هادئ ببطء في نفس "لين" . وقالت بنبرة متباطئة:

– ألا يمكن لـ "روزالين" هذه أن تساعدنا؟ امتقع وجه السيدة "مارتشمونت"، وقالت:

– ليس لنا أي حق في شيء – في أي شيء على الإطلاق. أجابتها "**لين**" معترضة:

– اعتقد أن لك حقًّا معنويًّا. كان خالي "**جوردون**" دائم المساعدة لنا. هزت السيدة "**مارتشمونت**" رأسها قائلة :

– لن يكون هذا مستساغًا – يا حبيبتي – أن نطلب معروفا من امرأة لا نحبها كثيراً. وعلى أية حال لن يسمح لها شقيقها هذا بأن تُخرج بنسًا واحدًا! وحلّ الجبن النسائي فيها محل البطولة عندما أضافت قائلة:

– هذا لو كان هو شقيقها حقًّا!

- 2 -

نظرت "**فرانسيس كلود**" إلى زوجها عبر مائدة العشاء، وقد بدا عليها عمق التفكير. كانت "**فرانسيس**" في الثامنة والأربعين من العمر. كانت واحدة من النساء الشمطاوات النحيلات اللواتي يناسبهن ارتداء الملابس المصنوعة من أقمشة التويد. كان لوجهها قدر من الجمال من النوعية الموحية بالغطرسة، ولم تستخدم أية مستحضرات تجميل سوى لمسة من أحمر شفاه وضعت بغير اهتمام، وكان زوجها "**جيريمي كلود**" رجلاً نحيلاً أشيب الشعر في الثالثة والستين من العمر، ذا وجه جاف خالٍ من كل تعبير، وكان في ذلك المساء أقل تعبيراً أيضًا من أي وقت مضى. لاحظت زوجته هذا بنظرة تفهُّم سريعة. كانت هناك فتاة في الخامسة عشرة تطوف حول المائدة تقدم الأطباق. تركزت نظرتها الحزينة على "**فرانسيس**". إذا قطّبت "**فرانسيس**" فإن الأشياء تكاد تسقط من يدها، وإذا رمقتها بنظرة استحسان يشرق وجهها بالابتسام. كان هناك تعليق – لا يخلو من مشاعر الحسد – يتناقله أهل "**وورمزلي فيل**" بانه لو كان هناك أحد يستأجر خدمًا فهو "**فرانسيس كلود**". لم تقدم على رشوتهم بالأجور الباهظة، وكانت كثيرة المطالب فيما يتصل بدقة الأداء، ،ولكن قبولها محاولة التعلُّم، ونشاطها وطاقتها اللذين كان الخدم يتأثرون بهما جعل من الخدمة المنزلية شيئًا مبدعًا ومتميزًا. كانت قد اعتادت أن تُخْدم طوال حياتها حتى انها قد اعتبرت ذلك حقًّا طبيعيًّا لها دون أن تدرك ذلك. وكان لديها تقدير خاص للطاهية الماهرة أو للخادمة بالأسلوب ذاته الذي تقيِّم به مهارة عازف على البيانو. كانت "**فرانسيس كلود**" وحيدة اللورد "**إدوارد ترينتون**" والذي كان يحرص على تدريب خيله في مكان قريب من

"وورمزلي هيث" . وقد تبين المطلعون على بواطن الأمور أن الإعلان الأخير عن إفلاس اللورد "إدوارد" ليس إلا وسيلة أنيقة للهروب مما هو أكثر سوءاً. ترددت شائعات عن خيل اخفقت بشكل واضح في الصمود في أوقات غير متوقعة، وأخرى عن تحقيقات بواسطة مسؤولين عن نادي السباق، ولكن اللورد "إدوارد" كان قد نجا بسمعته بطريقة مقبولة إلى حد ما، كما كان قد توصل إلى ترتيبات مع دائنيه أتاحت له أن يعيش حياة مريحة إلى حد بعيد في جنوب "فرنسا" . كان الفضل في هذه النعم الجزيلة راجعًا إلى دهاء محامي "جيريمي كلود" وجهوده المضنية في هذا السبيل. كان "كلود" قد فعل أكثر مما يفعله أي محامٍ من أجل عميله بكثير. حتى أنه قدَّم الضمانات نيابة عنه. وكان قد أوضح أنه شديد الإعجاب بـ"فرانسيس ترينتون" ! وفي الوقت المناسب وبعد أن تمت معالجة أمور والدها على الوجه المرضي أصبحت هي السيدة "جيريمي كلود" . ما كان عليه إحساسها في هذا الصدد لم يعلمه أي إنسان قط، وكل ما كان من الممكن ان يقال هو أنها نفذت الجانب الخاص بها من الصفقة على نحو مثير للإعجاب. فكانت الزوجة الوفية الكفء لـ "جيريمي" والأم الرؤوم المعتنية بابنه، وعملت على النهوض باهتمامات "جيريمي" بكافة الطرق المتاحة، ولم تشر قط بالقول أو بالفعل إلى أي شيء سوى أن الصفقة كانت بدوافع الإرادة الحرة من جانبها. وفي المقابل كانت عائلة "كلود" تكن لـ "فرانسيس" عظيم الاحترام ومشاعر الإعجاب. كانوا فخورين بها يذعنون بحكمها، ولكنهم في الواقع لم يشعروا قط بالحميمية نحوها. أما ما كان من رأي "جيريمي كلود" في زيجته هذه فلم يعلم أحد عنه شيئًا؛ لأن أحداً لم يعرف في وقتٍ من الأوقات ما كان "جيريمي كلود" يعتقده أو يشعر به. "عصا جافة" كانت العبارة التي وصف الناس بها "جيريمي" . كان يتمتع بشهرة سامية جداً كرجل وكمحامٍ. لم تتورط مؤسسة "كلود وبرانسكيل" و "كلود" قط في أية أعمال قانونية مشبوهة. لم يكن من المفترض أن يكونوا حادّي الذكاء، ولكنهم كانوا يعتبرون أهلا للثقة اللامحدودة. ازدهرت المؤسسة وأصبحت الأسرة تعيش في منزل فسيح مشيد على الطراز الجورجي على قيد مسافة قصيرة من الشارع التجاري، ملحقة به من الخلف حديقة فسيحة مسوّرة عتيقة الطراز تشكل أشجار الكمثرى فيها في فصل الربيع بحراً من النوّار الأبيض. إلى حجرة مطلة على الحديقة بالجانب الخلفي من المنزل توجّه الزوجان بعدما نهضا من أمام مائدة العشاء. أدخلت "إدنا" – ذات الخمسة عشر عامًا – لهما القهوة هناك وهي تتنفس بانفعال وصعوبة؛ بسبب زوائد

لحمية بالأنف. سكبت "فرانسيس" قدراً ضئيلاً من القهوة في القدح. كانت مركّزة وساخنة. قالت لـ "إدنا" باستحسان:

– ممتازة يا "إدنا". أشرق وجه "إدنا" سروراً وغادرت الحجرة تتعجب – مغ ذلك – إزاء مايحبه بعض الناس. فالقهوة في رأي "إدنا" ينبغي أن تكون باللون القشدي الفاتح محلاّة قدر الإمكان، وقد أُضيف إليها كمٌّ كبير من الحليب (اللبن)! وفي تلك الحجرة المطلّة على الحديقة تناول الزوجان قهوتهما سوداء وبدون سكّر. كانا قد تحدثا في أثناء تناول العشاء بطريقة متقطعة عن معارف التقيا بهم، وعن عودة "لين"، وعن توقعات الزراعة في المستقبل القريب. أما الآن وهما بمفردهما فلزما الصمت. استندت "فرانسيس" إلى الخلف فوق مقعدها تراقب زوجها، لم يكن منتبها لنظراتها مطلقًا. مست يده شفته العليا. وعلى الرغم من أن "جيريمي كلود" لم يكن على علم بذلك إلا أن تلك الحركة كانت سمة مميزة له تتزامن مع الاضطرابات الداخلية. لم تلاحظ "فرانسيس" ذلك كثيراً. مرة عندما كان "أنتوني" ابنهما مريضًا جدًّا وهو طفل، ومرة عندما كان ينتظر نتيجة مشاورات المحلفين بشأن أحد الأحكام الخاصة بهم، وعند قيام الحرب وهو ينتظر سماع أخبار تنفي قيامها عبر الهاتف، وفي عشية رحيل "أنتوني" بعد قضاء إجازة من عمله بالبحر. كانت "فرانسيس" تفكّر قليلاً قبل أن تتكلم. كانت حياتهما الزوجية سعيدة، ولكنها لم تكن قط حميمة بمعنى الكلمة. احترمت تحفُّظ "جيريمي"، واحترم هو تحفظها. حتى عندما وصلت البرقية التي أخطرتهما بوفاة "أنتوني" في إحدى العمليات العسكرية لم يصب أي منهما بالانهيار. فتح البرقية، ثم نظر إليها، فسألته:

– هل... فأحنى رأسه، ثم رسم علامة الصليب، ووضع البرقية في يدها بناء على طلبها. وقفا صامتين برهة. قال "جيريمي" بعدها:

– ليتني أستطيع مساعدتك يا عزيزتي، فأجابته بصوت راسخ وبلا دموع تشعر فقط بالخواء البشع والألم.

– الأمر في مثل هذا السوء لك. فربت كتفها قائلاً:

– نعم، نعم. ثم توجه إلى الباب يمشي بصعوبة ولكن بصلابة؛ إذ تحوّل فجأة إلى رجل هرم يقول في أثناء السير:

– ليس ثمة ما يقال، ليس ثمة ما يقال.

أحست نحوه بعميق الاهتمام؛ لأنه كان مقدِّرًا مشاعرها كما ينبغي، وتمزقت هي إشفاقًا عليه؛ إذ رأته يصبح هرمًا على هذا النحو المفاجئ. مع فقد ابنها تحجّر شيء ما بداخلها جفت فيها مشاعر الرحمة العادية المعتادة. أصبحت أكثر كفاءة وأكثر طاقة عن أي وقت سابق، حتى أن البعض كانوا يخشوْن أحيانًا أسلوب تفكيرها العملي إلى حد اللامبالاة بالمشاعر. تحرّك إصبع "جيريمي كلود" فوق شفته العليا ثانيةً مترددًا باحثا، وجاء صوت "فرانسيس" جافًّا من الجانب الآخر من الحجرة.

– هل ثمة ما يزعجك يا "جيريمي" ؟ اضطرب حتى كاد قدح قهوته ينزلق من يده. استعاد سيطرته على أعصابه، وأعاد القدح إلى الصينية، ثم نظر إليها، وقال:

– ماذا تعنين يا "فرانسيس" ؟

– أستفسر منك عما إذا كان هناك شيء يزعجك.

– وماذا سيكون ذلك؟

– من الحماقة أن أحاول التخمين، وأفضل أن تخبرني أنت. قالت هذا بلا عاطفة بل بأسلوب مكتبي أيضًا فأجابها بنبرة خلت من الإقناع:

– "لا شيء"، ولم تقل هي شيئًا. من المؤكد أنها ظلت تنتظر مستفسرة؛ لأنه بدا عليها أنها قد طرحت إنكاره هذا جانبًا متجاهلة إياه. رمقها بنظرات التردُّد وعلى مدى لحظة سقط عن وجهه قناع رباطة الجأش، فرأت لمحة من أسى واضطراب كاد يكون صارخًا. لم يستغرق هذا سوى لحظة واحدة، ولكنها لم تشك فيما قد رأت. قالت بنبرة هادئة لا مشاعر فيها:

– أرى أنه من الأفضل أن تخبرني. أطلق تنهداً تعسًا عميقا قبل أن يقول:

– لابد لك من أن تعرفي.. عاجلاً كان أم آجلاً، ثم أضاف ما رأت أنه عبارة مثيرة للدهشة إلى حد بعيد:

– يؤسفني أنك قد عقدت صفقة خاسرة جدًّا يا "فرانسيس". تجاوزت حدود إلماع لم تفهم مغزاه لتناقش وقائع ملموسة، قالت:

– ماذا تعني؟ من حيث المال؟ لم تعلم لماذا وضعت المال أولاً، خاصة وأنه لم تكن هناك مؤشرات معينة على ضيق الحالة المالية باستثناء ما كان طبيعيًا في ظل ظروف ذلك الزمان. فقد كان المكتب يعاني نقصًا في عدد المستخدمين على الرغم من زيادة كم العمل إلى الحد الذي عنده لا يمكنهم مواجهة متطلباته، ولكن كان هذا هو الحال السائد في جميع

المؤسسات، وفي الشهر الماضي أمكنهم أن يستعيدوا عددًا من مستخدميهم السابقين المسرّحين من الجيش. ربما يكون مرضًا ما ذلك الذي يحاول إخفاءه عنها، فلم يكن لون وجهه على خير ما يرام في الآونة الأخيرة، كما أنه يعاني شدة الإرهاق بسبب كثرة العمل، لكن ومع ذلك اتجهت غريزة "فرانسيس" نحو المال وبدا أنها قد أصابت. أومأ زوجها، وقالت:

– فهمت. صمتت لحظة وبدأت تفكّر. لم يمثّل المال أدنى أهمية لها شخصيًا مطلقًا، ولكنها كانت تعلم أن "جيريمي" غير قادر على أن يتبيّن ذلك. كان المال يعني له عالمًا مربعا: الاستقرار – الالتزامات – المكان المحدد – صفة في الحياة. كان المال بالنسبة إليها لعبة يقذف بها إلى حجر المرء ليلهو بها. كانت قد نشأت في جوٍ من عدم الاستقرار المالي. كانت هناك أوقات مدهشة نتيجة لقيام الخيل بالمهمة المتوقعة منها على الوجه الأكمل، وكانت هناك أوقات صعبة كان التجار يرفضون فيها منح الائتمان اللازم مما كان يضطر اللورد "إدوارد" إلى وسائل مخزية يدرأ بها عن نفسه مطالبات الدائنين. عاشت الأسرة ذات مرة على الخبز اليابس مدة أسبوع كامل، وصرفوا جميع الخدم. وذات مرة عندما كانت "فرانسيس" طفلة ظلت سلطات التنفيذ تتردد على المنزل مدة ثلاثة أسابيع، وأحبت "فرانسيس" صحبة أحدهم واللعب معه؛ لأنه كان مليئًا بالقصص عن ابنته الصغيرة. فإذا افتقر المرء إلى المال يمكنه أن يقتّر أو يسافر أو يعيش على نفقة الأصدقاء أو الأقارب لفترة ما. أو يعينك أحدهم بإقراضك مبلغًا من المال، ولكنها عندما نظرت إلى وجه زوجها تبينت "فرانسيس" أن مثل هذه التصرفات غير متبعة في عالم آل "كلود". فلم يستجْدوا أو يقترضوا أو يعيشوا على نفقة غيرهم، وبالتالي لا تتوقع منهم أن يستجْدوا أو يقترضوا منك أو يعيشوا على نفقتك! أحست "فرانسيس" بشديد الأسف من أجل "جيريمي" وبقدر من تأنيب الضمير على أنها لا تشاركه هذا الاضطراب. فكانت دائمة اللجوء إلى الواقعية.

– هل سنضطر إلى أن نبيع كل ما لدينا؟ هل المؤسسة موشكة على الإفلاس؟ أجفل "جيريمي كلود"، وتبينت أنها قد تجاوزت الحدود المقبولة في واقعيتها. قالت بنبرة مترفقة:

– أخبرني يا حبيبي، من غير المعقول أن تتركني أخمّن على طول الخط. قال "كلود" بنبرة حادة:

– لقد مررنا بفترة حرجة منذ سنتين. تذكرين كيف أن الشاب "وليامز" تركنا ثم اختفى تمامًا. وجدنا صعوبة في استعادة وضعنا مرة أخرى، ثم كانت هناك تعقيدات معينة مترتبة

على الأوضاع في الشرق الأقصى بعد الذي حدث في "سنغافورة"، قالت مقاطعة إياه:

– لا عليك من الأسلوب والمبررات، فلا أهمية لها. كنت في ورطة ولم يمكنك الخروج منها، قال:

– كنت معتمداً على "جوردون". كان باستطاعته تصحيح الأوضاع. تنهدت بصبر نافد وقالت:

– من المؤكد انني لا أحب أن ألوم الرجل، فمن الطبيعي أن يفقد الرجل صوابه رغبة في امرأة جميلة. ولماذا لا ينبغي أن يتزوج مرة ثانية طالما كان راغبًا في ذلك؟ ولكن سوء الحظ متمثل في أنه قُتل في تلك الغارة الجوية قبل أن يتمكن من تسوية أموره أوكتابة الوصية الواجبة أو الترتيب لأي شيء. الحقيقة هي أن لا أحد يصدق للحظة واحدة – وبغض النظر عن المخاطر المحيطة به – أنه هو ذاته سوف يُقتل. فالقنبلة سوف تصيب شخصًا آخر دائمًا! قال الشقيق الأكبر لـ "جوردون كلود":

– إضافة إلى الخسارة الفادحة التي تكبدتها بوفاته؛ إذ كنتُ مغرمًا به جدًا وفخورًا به أيضًا جاء موته بمثابة كارثة لي. فقد حدث ذلك في لحظة. وتوقف عن الحديث، فسألت "فرانسيس" باهتمام تميز بالذكاء:

– هل سنصبح مفلسين؟ رمقها "جيريمي كلود" بنظرات كادت تنطق باليأس. كان من الأفضل له أن يعبِّر عن مشاعره بالدموع وعلامات الفزع.. ولكنها لم تتبين ذلك. أحس بهزيمة ساحقة أمام هذا الاهتمام الهادئ المجرد المتَّسم بالعملية. قال بصوت أجش:

– الوضع أسوأ من هذا بكثير. راقبها وهي تواصل الجلوس بسكون تام وتقلِّب ما قاله بذهنها. قال محدثًا نفسه: سوف أضطر في غضون الدقيقة التالية إلى أن أخبرها، وسوف تعرف ما أنا عليه. لابد لها أن تعرف. ربما أنها لن تصدق في بادئ الأمر. تنهدت "فرانسيس كلود" معتدلة في جلستها فوق مقعدها المجنَّح. قالت:

– فهمت. اختلاس. وإن لم يكن هذا هو التعبير الصحيح فهو شيء من هذا القبيل. مثلما فعل الشاب "وليامز".

– نعم، ولكنك لم تفهمي. في هذه المرة أنا المسؤول. مددت يدي إلى أموال وودائع عهد إليَّ بها، وقد تمكنت من تغطية آثار هذه التصرفات حتى الآن.

– ولكن كل هذا سوف يكتشف الآن؟

– ما لم أحصل على المبلغ اللازم وبسرعة. كان الخزي الذي استشعره هو الأسوأ الذي عرفه طوال حياته. وماذا سيكون الوقع عليها؟ تلقت كلامه بهدوء حاليًا. حدَّث نفسه بأن "فرانسيس" لن تجعل من هذا الظرف فضيحة. لن تعاتبه أو تؤنبه. قطبت واضعة يداً على وجنتها. وقالت:

– من الغباء ألا يكون لي مال خاص بي على الإطلاق. قال بنبرة جادة:

– هناك هبة زواجك ولكن... قالت بذهن شارد:

– ولكنني أفترض انها قد ذهبت أيضاً. صمت ثم قال بصعوبة بصوته الجاف:

– إنني آسف يا "فرانسيس"، وأكثر أسفًا مما يمكنني التعبير عنه؛ فقد أبرمت صفقة خاسرة. رفعت بصرها بطريقة حادة وقالت:

– قلت هذا من قبل. فما الذي تعنيه به؟ فأجاب "جيريمي" بنبرة جافة:

– عندما قبلت الزواج بي أصبح من حقك أن تتوقعي الكمال وحياة خالية من أسباب القلق المالي. رمقته بنظرات الدهشة التامة، وقالت:

– حقيقة يا "جيريمي"! ما الذي تعتقد أنني تزوجتك من أجله؟ ارتسمت على وجهه ابتسامة باهتة، وقال:

– دائمًا ما كنت – يا حبيبتي – زوجة وفيّة ومخلصة، ولكن لا يمكنني أن أجامل نفسي بالاعتقاد أنك كنت ستتزوجينني في... في ظروف مختلفة. دققت النظر إليه، ثم انفجرت ضاحكة وقالت:

– أيها الشخص الغريب! لابد أن لك مواهب روائية من خلف هذه الواجهة القانونية! هل تظن بحق أنني تزوجتك ثمنًا لإنقاذ والدي من الذئاب، أو من مسؤولي نادي الفروسية.. إلخ.. إلخ؟

– كنت مولعة بوالدك وشديدة الاهتمام به يا "فرانسيس".

– كنت مخلصة لوالدي وشديدة الإعجاب به. كان شديد الجاذبية والحياة معه ممتعة! ولكنني كنت على علم دائم بأنه ليس مثاليًا، وإذا كنت تظن انه كان من الممكن أن أبيع نفسي لحامي الأسرة؛ حتى أنقذ والدي مما كان من المتوقع أن يصيبه دائمًا فإنك لم تفهم قط أول شيء عني! دقّقت النظر إليه. رأت أنه من الغريب الا تفهم مايدور برأس زوجها طوال زواج دام أكثر من عشرين عامًا. والآن هل يمكنها أن تعرف ما إذا كان تفكيره مختلفًا تمامًا

عن تفكيرها؟ عقل رومانسي بلا شك متقن التمويه لكنه رومانسي في جوهره. كل هذه الصور لـ"ستانلي ويمانز" التي بحجرة نومه. كان يمكنني أن أعرف منها. هذا العزيز الأبله المسكين! ثم قالت بصوت مسموع:

– تزوجتك؛ لأني أحببتك بالتأكيد.

– أحببتني؟ لكن ما الذي أمكنك رؤيته فيَّ؟

– إذا سألتني عن ذلك يا "جيريمي" فأنا لا أعلمه.. كنت تمثل لي تغييرًا مثيرًا، فأنت مختلف تمامًا عن جميع المحيطين بأبي. فمثلا لم تتحدث عن الخيل قط، ولا تعلم كم أملّ الحديث عنها وعن التوقعات والاحتمالات بشأن الفوز بالكأس! وأتيت للعشاء معنا ذات ليلة – هل تذكر؟ – وكنت جالسة بجوارك، وسألتك عن معنى "نظام المعدنين" وأخبرتني، أخبرتني بالفعل! استغرق منك ذلك طول زمن العشاء المكون من ستة أصناف، كنا أثرياء آنذاك، وكانت لنا طاهية فرنسية! قال "جيريمي":

– لابد أن حديثي كان مملاً للغاية.

– كان مذهلاً! لم يكن أي إنسان قد تعامل معي على محمل الجد من قبل وكنت مهذبًا جدًا، ومع ذلك بدوْت وكأنك لا تنظر إليَّ مطلقًا أو ترى أنني ظريفة أو حسنة المنظر أو أي شيء. حثني ذلك على أن أبذل أقصى جهد ممكن. اقسمت على أن أجعلك تلاحظني. قال "جيريمي كلود" بنبرة كئيبة:

– بل لاحظتك جيداً. عدت إلى البيت في تلك الليلة، ولم يغفُ لي جفن. كنت ترتدين ثوبًا ازرق مزدانًا بزهور القنطريون العنبري. كان هناك صمت مدة دقيقتين أو نحو ذلك، ثم تنحنح "جيريمي" وقال:

– كل ذلك منذ زمن طويل. أسرعت تنقذه من مشاعر الإحراج فقالت:

– وأصبحنا الآن زوجين في منتصف العمر نواجه صعابًا، ونبحث عن افضل طرق الخلاص منها.

– بعد هذا الذي قلته لي يا "فرانسيس" تبدو الأمور أكثر سوءًا بمقدار الف مرة مما هي عليه... هذا الخزي... قالت مقاطعة إياه:

– لنستعرض الوضع بوضوح. أنت تشعر بالأسف؛ لأنك أتيت عملاً منافيًا للقانون. ربما تقدَّم للمحاكمة وتسجن. أجفل لسماع ذلك، واستطردت قائلة:

– لا أريد لذلك أن يحدث، سأحارب بكافة الوسائل حتى أمنع حدوثه، ولكن لا تسئ بي الظن أخلاقيًا. لسنا أسرة تحسب للأخلاق حسابًا – تذكّر هذا. أبي – على الرغم من شدة جاذبيته – لم يكن مستقيم الخلق، وهناك أيضًا "**تشارلز**" ابن عمي، تكتموا الأمر فلم تتم محاكمته، وعملوا على ترحيله إلى منطقة المستعمرات. وهناك أيضًا "**جيرالد**" ابن خالي – الذي قام بتزوير شيك في "**أكسفورد**"، ولكنه ذهب إلى القتال وحصل على نوط الاستحقاق بعد وفاته؛ لشجاعته النادرة وإخلاصه لبلده وقوة احتماله الاستثنائية. ما أعني قوله هو أن الناس هكذا: ليسوا سيئين كلية ولا صالحين تمامًا، وأنا شخصيًا لا أفترض في نفسي تمام الاستقامة، وقد سلكت باستقامة في هذه الفترة؛ لأنه لم يكن هناك إغراء بان أسلك بغير ذلك. ولكن ما لديَّ هو قدر كبير من الشجاعة ومن الإخلاص! وابتسمت له.

– يا حبيبتي! ونهض واقترب منها. انحنى وطبع قبلة على شعرها. ابتسمت ابنة اللورد "**ترينتون**" له قائلة:

– والآن ماذا سنفعل؟ نحصل على المبلغ بطريقة ما؟ تقلص وجه "**جيريمي**" وقال:

– لا أعرف كيف؟

– نحصل على رهن لهذا المنزل. آه – لا. سبق لنا أن فعلنا هذا. كم أنا حمقاء! من المؤكد أنك قد فعلت جميع الأشياء الواضحة والمعروفة. أصبح الحل الآن هو اللجوء إلى شخص ما؟ من الذي يمكننا أن نلجأ إليه؟ افترض أنه ليس هناك إلا إمكانية واحدة.. أرملة "**جوردون**"،

– "**روزالين**" الكئيبة! هز "**جيريمي**" رأسه بارتياب قائلا:

– المبلغ المطلوب كبير، ولا يمكن سحبه من رأس المال؛ لأنه مودع كوديعة للإنفاق عليها منها مدى الحياة.

– لم أعرف ذلك، ظننت أن الإرث حق خالص لها. وما هي كيفية التصرف فيه بعد وفاتها؟

– يؤول إلى أقرب أقرباء "**جوردون**"، بمعنى أنه يقسّم بيني أنا و "**ليونيل**" و "**أديلا**" و"**رولي**" بن "**موريس**". قالت "**فرانسيس**" ببطء:

– يأتي إلينا.. بدا وكأن شيئًا ما يعبر الحجرة – تيار هواء بارد – شبح فكرة. قالت "**فرانسيس**":

– لم تخبرني بذلك. ظننت أنه قد آل إليها بصفة نهائية حيث يمكنها أن تتركه لأي إنسان

تريد منحه إياه.

– لا؛ لأنه بمقتضى القانون الخاص بحالات الوفاة دون ترك وصية والصادر في عام 1925 . . .

لم تبد "**فرانسيس**" مصغية إلى تفسيره لهذا الوضع. وعندما توقف عن الكلام قالت:

– لن يفيدنا هذا القانون بصفة شخصية؛ لأننا سنكون قد توفينا ودفنّا قبل أن تبلغ هي منتصف العمر بفترة طويلة. ما عمرها؟ خمسة وعشرون، ستة وعشرون؟ من المحتمل أن تعيش حتى السبعين. قال "**جيريمي كلود**" بقدر من التردد:

– ربما يمكننا ان نطلب منها قرضًا على سند من العلاقات والروابط العائلية. ربما تكون فتاة كريمة الخلق، في الواقع إننا لا نعرف عنها الكثير، فقالت "**فرانسيس**" :

– على أية حال كنا مرحبين بها إلى حد معقول، ولم نكن حقودين أو ماكرين مثل "**أديلا**" . ربما تتجاوب معنا. قال الزوج محذرًا:

– يجب ألا تكون هناك أدنى إشارة إلى هذه الظروف الحرجة. قالت "**فرانسيس**" بصبر نافد:

– لا، بكل تأكيد! المشكلة هي أننا غير مضطرين إلى التعامل مع الفتاة نفسها؛ لأنها في قبضة ذلك الشقيق الذي لها. قال "**جيريمي كلود**" :

– شاب منفّر للغاية. أضاءت ابتسامة مفاجئة وجه "**فرانسيس**" وقالت:

– لا. لا. إنه جذاب وشديد الجاذبية أيضًا، ولا ضمير له على حد تقديري، ولكنني أيضًا لا أعاني صحوة الضمير! تلاشت ابتسامتها عندما رفعت بصرها نحو زوجها قائلة:

– لن نهزم يا "**جيريمي**" . لابد من أن تكون هناك طريقة لإنقاذ موقفنا حتى لو اضطررت إلى أن أسطو على أحد البنوك!

- 3 -

قالت "**لين**" :

– المال. وأومأ "**رولي كلود**" . كان شابًا طويل القامة قوي البنية أحمر البشرة ذا عينين زرقاوين متأملتين وشعر أشقر فاتح. كان ذا بطء بدا متكلفًا أكثر منه طبيعيًا. استخدم التأني والتروّي بقدر ما يستخدم غيره سرعة التفكير وحضور البديهة. قال:

– نعم. يبدو أن كل شيء متوقف على المال في هذه الأيام.

– ولكنني ظننت أن المزارعين قد حققوا مكاسب جيدة في أثناء الحرب.

– هذا صحيح، ولكنه لا يضمن للمرء استقراراً دائمًا، ففي غضون عام واحد سنعود إلى حيث كنا، ترتفع أجور العمال، ويرفض العمال العمل، وتسود الجميع حالة من عدم الرضا، ولا أحد يعلم أين هو من هذه الحياة ما لم يمكننا الزراعة على نطاق واسع. كان "**جوردون**" على علم بذلك. وفي هذه المرحلة كان يتاهب للتدخل. سألت "**لين**":

– والآن؟ ابتسم "**رولي**":

– والآن، تذهب السيدة "**جوردون**" إلى "**لندن**" وتنفق بضعة آلاف على شراء معطف من فراء المينك.

– هذا... هذا بشع!

– لا. إطلاقًا. توقف عن الكلام قليلاً، ثم أضاف قائلا:

– كنت أحب أن أهديك معطفًا من فراء المينك يا "**لين**".

– كيف تبدو هذه السيدة يا "**رولي**"؟ ارادت ان تحصل على فكرة معاصرة عنها.

– سوف تلتقين بها في هذه الليلة في حفل عمي "**ليونيل**" وزوجته "**كاثي**".

– نعم. أعلم ذلك، ولكنني أردت أن أعرف منك. تقول أمي إنها محدودة الذكاء. فكّر "**رولي**" لحظة ثم قال بعدها:

– حسنًا، لا يمكنني القول بأن الذكاء إحدى السمات المميزة لها، ولكنني أعتقد أنها تبدو محدودة الذكاء بسبب أنها حذرة إلى حد مخيف.

– حذرة؟! حذرة بشأن ماذا؟

– حذرة وحسب. حذرة بوجه خاص في تصوري بشأن لهجتها – فلهجتها غليظة أيرلندية كما تعلمين، أو بشأن نوعية الشوكة التي تستخدمها، أو بشأن أية إشارات أو إيماءات قد تجري من حولها.

– فهي غير متعلمة بحق إذن؟ ابتسم "**رولي**" وقال:

– ليست سيدة متحضرة، لو كان هذا ما تقصدينه. عيناها جميلتان وبشرتها رائعة. أعتقد أن هذا ماجذب عمي "**جوردون**" إليها. فضلا على مظهرها العام الغريب الذي ينم عن البساطة إلى حدّ السذاجة. لا أعتقد أنها مفتعلة، وإن كان ليس من الممكن تأكد ذلك تمامًا. تكتفي بأن تقف صامتة كالخرساء وتترك لـ"**ديفيد**" أمر توجيهها.

– "ديفيد"؟

– هذا هو اسم شقيقها، ثم أضاف قائلا:

– يمكنني القول بأنه ليس هناك شيء متعلق بالممارسات الجادة لا يعرفه! ولا يحب أحداً منا. سألت "لين" بنبرة حادة:

– ولماذا يحبنا؟ ثم أضافت عندما نظر "رولي" إليها دهشًا إلى حد ما:

– ما أعنيه هو أنك انت أيضًا لا تحبه.

– من المؤكد أنني لا أحبه، ولن تحبيه أنت أيضًا. إنه ليس من نوعيتنا.

– أنت لا تعرف من أحب ومن لا احب يا "رولي". رأيت من العالم كثيراً في خلال السنوات الثلاث الماضية – وأعتقد أن نظرتي إلى الأمور قد تغيرت واتسع أفقي.

– لقد رأيت من العالم أكثر مما رأيت أنا. هذا صحيح. قال ذلك بهدوء شديد، إلا أن "لين" رفعت بصرها نحوه بطريقة حادة. كان هناك شيء ما من خلف تلك النبرات الهادئة. أجاب نظرتها بمثلها ولم يبد على وجهه تعبير يذكر. تذكرت "لين" انه لم يكن من السهل عليها قط أن تتعرف ما يدور بذهن "رولي". قالت "لين" محدثة نفسها في صمت: "كم أن هذا عالم غريب بأوضاعه المقلوبة! كان الأمر المعتاد أن يذهب الرجل إلى الحرب وتبقى المرأة بالبيت، ولكن الوضع قد انعكس الآن. من بين الشابين "رولي" و "جوني" كان من الواجب ان يبقى واحد بالمزرعة. ألقيا قرعة على ذلك وكان الذهاب إلى الحرب نصيب "جوني فافاسور". وقُتل الشاب فور وصوله إلى "النرويج" تقريبًا. وعلى مدى سنوات الحرب كلها لم يبتعد "رولي" عن البيت بمسافة تزيد على كيلومتر واحد أو كيلومترين، و "لين" ذهبت إلى "مصر"، وإلى شمال "إفريقيا" وإلى "صقلية"، وكانت تحت القصف الجوي أكثر من مرة. وها هي "لين" قد عادت من الحرب وها هو "رولي" باقٍ بالبيت. تساءلت فجأة عما إذا كان هذا يضايقه. وأطلقت ضحكة مقتضبة مشوبة بالتوتر وقالت:

– تبدو الأمور في بعض الأحيان وكانها مقلوبة رأسًا على عقب، الا ترى ذلك؟

– آه، لا أدري. واتجهت نظرات "رولي" تمسح المشاهد الريفية من حوله وقال:

– هذا متوقف على الظروف. قالت مترددة قليلاً:

– يا "رولي"، هل ضايقك – أعني – أن "جوني"... احبطتها نظرته الفاترة المتحدية فقال:

– دعينا من "جوني" ! ها قد انتهت الحرب – وكنت سعيد الحظ !

– تعني أنك كنت سعيد الحظ؛ لأنك لم تكن مضطرًا إلى الذهاب؟

– حظ مدهش . . ألا ترين ذلك؟ لم تعلم ماذا يجب أن تعتبر هذا . كانت نبرته هادئة شابها قدر من الحدة . أضاف مبتسمًا فقال :

– ولكن من المؤكد أنكن يا فتيات الخدمة العسكرية ستجدن صعوبة في الاستقرار بالبيت . قالت بنبرة ضيق :

– لا تكن سخيفًا يا "رولي" . ولكن لماذا الضيق؟ لماذا ما لم تكن كلماته قد لمست وترًا حسَّاسًا من حقيقة في موضوع ما؟ قال "رولي" :

– حسنًا . أرى أنه من المناسب أن نفكر في الزواج ما لم تكوني قد عدلت عن الفكرة .

– من المؤكد أنني لم أعدل عنها، ولماذا أعدل عنها؟ قال بنبرة مبهمة :

– لا يمكن للمرء أن يعرف .

– هل ما تعنيه هو أنك تعتقد أنني . . . توقفت "لين" لحظة، ثم قالت :

– قد تغيرت؟

– ليس هذا على وجه التحديد .

– ربما تكون أنت قد غيرت رأيك؟

– لا . أنا لم أتغير . فالتغيير طفيف جدًّا هنا بالمزرعة كما تعلمين . قالت "لين" مستشعرة هبوطًا مفاجئًا في مستوى الحوار :

– حسنًا، لنتزوج إذن في التاريخ الذي تحدده .

– في شهر حزيران (يونيو) أو في وقت قريب من ذلك؟

– نعم . وساد الصمت بينهما، وتم الاتفاق بينهما . أحست "لين" – رغمًا عنها – باكتئاب شديد، ولكن "رولي" كان هو "رولي" الذي كان دائمًا، محبًّا غير عاطفي، مجتهدًا في التصريح المكبوح . أحب كل منهما الآخر . وكانا دائمًا يحب كل منهما الآخر . لم يتحدثا كثيرًا عن حبهما قط – فلماذا يبدآن هذا الآن؟ سوف يتزوجان في شهر حزيران (يونيو) ويعيشان في "لونج ويلوز" أو منطقة أشجار الصفصاف العالية . وهو اسم طالما أحبته، ولن ترحل عن الديار ثانية . ترحل بالمعنى الذي أصبحت هذه الكلمة تحمله لها من إثارة رفع المعابر وتسابق طاقم الباخرة، والابتهاج عندما تقلع الطائرة فوق الأرض وترتفع في السماء والمساكن من تحتها . مراقبة حدود الساحل الغريبة التي تتخذ لها قوالبَ وأشكالا مختلفة،

ورائحة الغبار الساخن والكيروسين والثوم وقعقعة ولغو الألسن الأجنبية، والزهور الغريبة وزهور البونسيتة المكسيكية الحمراء الباسقة بكبرياء من تربة حديقة غير مشذّبة، وحزْم الأمتعة وفضها، وإلى أين بعد ذلك؟ انتهى كل هذا. وانتهت الحرب. وعادت "**لين مارتشمونت**" إلى البيت وإلى الوطن. عاد البحّار إلى وطنه.. عاد من البحر... حدثت نفسها في صمت: "لكنني لست الفتاة "**لين**" ذاتها التي رحلت من هنا. رفعت بصرها فرأت "**رولي**" يراقبها.

- 4 -

كانت حفلات السيدة "**كاثي**" قريبة الشبه ببعضها البعض، وكانت لها لمحة الهواية الأخاذة التي تتسم بها هذه المضيفة. بدا الدكتور "**كلود**" كمن يتحكم في ذاته بصعوبة. تعامل مع مدعوّين بمستوى من التهذيب وحسن الضيافة، ولكن هؤلاء استشعروا أن هذه الضيافة عبء عليه. لم يكن "**ليونيل كلود**" من حيث المظهر مختلفًا عن أخيه "**جيريمي**". فكان نحيلاً أشيب الشعر ولكن لم تكن له رباطة جأش المحامي. كان أسلوبه يتصف بالفظاظة ونفاد الصبر حتى أن عصبيته قد أغضبت منه الكثيرين من بين مرضاه، فصرفت أنظارهم عن مهارته الفعلية وعن طيبة قلبه. كانت اهتماماته الفعلية تكمن في البحث، وكانت هوايته هي استخدام الأعشاب الطبية مدى العصور. اتسم بدقة التفكير ووجد صعوبة في التعامل مع أهواء زوجته وأوهامها بالصبر المفترض. وعلى الرغم من أن "**لين**" و "**رولي**" دائمًا ما أشارا إلى زوجة "**جيريمي كلود**" باسمها "**فرانسيس**" إلا أنهما كانا يدعوان زوجة "**ليونيل كلود**" بلقب العمة أو الخالة "**كاثي**" على اعتبار أنها زوجة عم "**رولي**" وزوجة خال "**لين**". كانا مولعيْن بها وإن كانا يعتبرانها مضحكة إلى حدٍّ ما. لم يكن هذا الحفل الذي تم الترتيب له ظاهريًا للاحتفال بعودة "**لين**" سوى اجتماعٍ عائليّ. رحبت الخالة "**كاثي**" بابنة شقيقة زوجها بحرارة قائلة:

– تبدين سمراء جميلة يا حبيبتي؛ بسبب إقامتك بـ "**مصر**" على ما أفترض. هل قرأت ذلك الكتاب عن نبوءات الهرم الذي أرسلته إليك؟ إنه مثير للاهتمام جدًّا ويفسر كل شيء. ألا تريْن ذلك؟ أنقذ "**لين**" من الإجابة عن هذا السؤال دخول السيدة "**جوردون كلود**" وشقيقها "**ديفيد**" في تلك اللحظة.

– هذه ابنة شقيقة زوجي "**لين مارتشمونت**" يا "**روزالين**". نظرت "**لين**" إلى أرملة

"جوردون كلود" بفضول مقنَّع.

نعم. إنها جميلة، تلك الفتاة التي تزوجت "جوردون كلود" من أجل ثروته. وكان صحيحًا ما كان "رولي" قد قاله عنها من انها تشيع من حولها جوًّا من البراءة. شعر أسود مصفَّف على هيئة تموجات طفيفة، وعينان أيرلنديتان زرقاوان كحيلتان، وشفتان شبه منفرجتين. وكل ما بقي منها باهظ الثمن بشكل ملحوظ: الثوب والمجوهرات واليدان المعتنى بهما إلى أقصى حد ممكن، والمعطف المصنوع من الفراء. قوام جميل ممشوق، ولكنها لم تكن لها دراية حقيقية بكيفية ارتداء الثياب الغالية. لم ترتدها كما كانت "لين مارتشمونت" سترتديها لو أتيحت لها نصف هذه الفرصة! ولكن صوتًا في عمق نفس "لين" نبهها إلى أن مثل هذه الفرصة لن تتاح لها أبدًا. قالت "روزالين كلود":

– تشرفت بمعرفتك، ثم التفتت مسرعة إلى الرجل الواقف خلفها قائلة بنبرة تردد:

– هذا... هذا أخي. قال "ديفيد هنتر":

– تشرفت بمعرفتك. كان شابًّا نحيلاً أسود الشعر والعينين. بدت الكآبة على وجهه إضافة إلى تعبيرات التحدي وقدر من الوقاحة. فهمت "لين" على الفور السبب في أن جميع أفراد آل "كلود" لم يحبوه بهذا القدر. كانت قد التقت برجال على هذه الشاكلة خارج البلاد، رجال لا مبالين وخطرين إلى حدٍّ ما، رجال لا يعتمد عليهم، رجال يسنّون قوانينهم الخاصة ويسخرون من الكون، رجال يساوون وزنهم ذهبا وقت الشدة أو الضيق، ويدفعون بقادتهم من الضباط إلى الجنون خارج خط النار! قالت "لين" من قبيل المحادثة مع "روزالين":

– وكيف تجدين الحياة في "فاروبانك"؟ اطلق "ديفيد هنتر" ضحكة خافتة، ثم قال:

– لقد أحسن "جوردون" المسكين الصنيع فلم يبخل على هذا المنزل بأية تكلفة. وكانت هذه هي الحقيقة. فعندما قرر "جوردون" أن يستقر في "وورمزلي فيل" – أو قرر بالأحرى أن يقضي جزءًا صغيرًا من حياته المليئة بالمشاغل هناك – اختار أن يبني له منزلاً. فقد كان متفردًا جدًّا بما لا يسمح له بالإقامة بمنزل يفوح منه تاريخ آخرين. استخدم مهندسًا شابًّا مهتمًّا بالحداثة وخوّله حرية التصرف. رأى نصف تعداد "وورمزلي فيل" أن "فاروبانك" منزل مروِّع؛ إذ لم يرق لهم لونه الأبيض مع شكله المربَّع، وأثاثه المبيَّت به، وأبوابه المنزلقة، ومناضده ومقاعده الزجاجية. أما الجزء الوحيد الذي أُعجبوا به بحق فهو الحمامات. شاب صوت "روزالين" قدر من الرهبة عندما قالت:

– إنه منزل مدهش! إلا أن ضحكة "ديفيد" جعلت وجهها يمتقع. قال "ديفيد" مخاطبًا "لين":

– انت المجندة العائدة، أليس كذلك؟

– بلى. مسحتها نظراته بإعجاب، ولسبب ما تورد وجهها خجلاً. ظهرت العمة "**كاثي**" فجاة مرة أخرى. كانت تتقن حيلة الظهور المفاجئ. ربما تكون قد استقتها من جلسات استدعاء الأرواح العديدة التي حضرتها. قالت بصوت أقرب إلى اللهاث:

– العشاء بسيط؛ لأنه ليس وليمة بالمعنى المتعارف عليه، فلا تتوقعوا الكثير، كل شيء أصبح غاية في الصعوبة أليس كذلك؟ أخبرتني "**ماري لويس**" بانها تعطي الصياد عشرة شلنات من قبيل الرشوة كل أسبوعين. أرى أن هذا عمل لا أخلاقيّ. أطلق الدكتور "**ليونيل كلود**" ضحكته المشوبة بالتوتر بينما كان يتحدث مع "**فرانسيس كلود**" قائلا:

– لا يا "**فرانسيس**"، من غير الممكن أن تتوقعي مني أن أصدق أنك تفكرين في هذا حقًّا. هيا لندخل. ودخل الجميع حجرة الطعام المشعثة إلى حد القبح. "**جيريمي**" و"**فرانسيس**" و "**ليونيل**" و "**كاثرين**" و "**أديلا**" و "**لين**" و "**رولي**". حفل عائلي لآل "**كلود**" ضم غريبين؛ لأن "**روزالين كلود**" على الرغم من أنها تحمل الاسم لم تصبح من آل "**كلود**" مثلما أصبحت "**فرانسيس**" و "**كاثرين**". كانَت هي الشخصية الغريبة المضطربة المتوترة الأعصاب، و "**ديفيد**"... "**ديفيد**" المحروم من أن يحمل هذا الاسم. بمقتضى الضرورة وبالاختيار. كانت "**لين**" تفكّر في هذه الأمور وهي تتخذ مكانها إلى المائدة. كانت في الجو موجات مشاعر، تيار كهربائي قوي من... ماذا كان؟ كراهية؟ هل من الممكن أن تكون هذه كراهية حقيقية؟ على أية حال كان هذا شيئًا مدمرًا. لاح بذهن "**لين**" فكر مفاجئ: "لكن هذا هو الحال في كل مكان. ولقد لاحظته منذ اللحظة التي عدتُ فيها. إنه الأثر الذي تركته الحرب. سوء النيَّة. ومشاعر الكراهية. إنها في كل مكان، في عربات السكك الحديدية، وفي الحافلات وفي المتاجر، وبين العمال والمستخدمين، وحتى بين عمال الحقول، وأعتقد أنها أسوأ بين عمال المناجم والمصانع. سوء النية، ولكنها هنا أكثر من ذلك، إنها هنا ذات صفة خاصة. إنها متعمَّدة!" ثم حدثت نفسها ذاهلة: "هل نكرههما إلى هذا الحد؟ هذين الغريبين اللذين استوليا عل ما نعتبره لنا؟ وثم... لا – ليس بعد. ربما – ولكن ليس بعد. لا. هما اللذان يكرهاننا". بدا لها أن هذا الاكتشاف ساحق حتى أنها ظلت صامتة تفكر فيه، ونسيت أن تتكلم مع "**ديفيد هنتر**" الجالس إلى جوارها. قال في تلك اللحظة:

– هل تفكرين في عمل شيء ما؟ كان لصوته وقع سار شابه قدر من الاهتمام، ولكنها

أحست بتأنيب الضمير. ربما كان يفكّر في أنها تحاول الإساءة إليه. قالت:
– آسفة. راودتني أفكار عن أحوال العالم. أجابها "**ديفيد**" بنبرة فاترة فقال:
– كم أنك غير مجدِّدة مطلقًا!
– نعم. هذا صحيح. جميعنا جادٌّ جدًا في هذه الأيام. ولا يبدو أن هذا يفيد بشيء أيضًا.
– الأمر الأكثر عملية في المعتاد هو تمني الإيذاء، وقد فكرنا في أداة عملية أو اثنتين على هذا الطريق في خلال السنوات القليلة الماضية، منها أسلوب المقاومة المعروف بالقنبلة الذرية.
– هذا ما كنت أفكر فيه – آه – لا أعني القنبلة الذرية، بل أعني سوء النية. سوء النية العملي المحدَّد. قال "**ديفيد**" بهدوء:
– سوء النية بالتأكيد، ولكنني أميل إلى الاختلاف معك بشأن كلمة العملية، فقد كانوا في العصور الوسطى أكثر عملية بشأنها.
– بأية كيفية تعني؟
– بالسحر الأسود على وجه العموم، التمنيات السيئة، والتماثيل المصنوعة من الشمع، والرُّقى مع دورات القمر، قتل ماشية الجار، قتل الجار نفسه! سألته "**لين**" غير مصدِّقة:
– لا تعتقد بحق أنه قد كان هناك شيء اسمه السحر الأسود؟
– ربما لا، ولكن على أية حال حاول الناس بجدٍّ، أما في هذه الأيام. هز كتفيه مستطردًا:
– فبكل سوء النية الذي في العالم لا يمكنك أنت وعائلتك أن تفعلوا بـ "**روزالين**" وبي الكثير. هل يمكنكم؟ اندفع رأس "**لين**" إلى الخلف جزعًا. بدأت فجأة تستمتع بوقتها. وقالت بنبرة مهذبة:
– الوقت متأخر من اليوم بما لا يسمح بذلك. ضحك "**ديفيد هنتر**"، وبدا هو أيضًا وكأنه مستمتع بوقته. قال:
– هل تعنين أننا قد فزنا بالغنيمة؟ نعم. موقفنا على خير ما يرام.
– وسوف تتخلوْن عنه!
– عن أن يكون لنا هذا المال الوفير؟ أراهن على أنه سوف يبقى لنا.
– لم أعنِ ما يتصل بالمال فقط. كنت أعني ما يتصل بنا نحن.
– أن نتخلى عن موقفنا بالحصول على الغنيمة دونكم؟ حسنًا. ربما كان جميعكم مطمئنين من جانب ثروة الرجل. اعتبرتموها في جيوبكم فعلاً. قالت "**لين**":
– ينبغي لك أن تتذكر أننا قد تعلمنا أن نعتقد ذلك على مدى سنوات. تعلمنا الا

نقتصد وألا نفكر في المستقبل، وتشجعنا على السير قدمًا بجميع أنواع الخطط والمشروعات. اتجه تفكيرها إلى "رولي" ... إلى "رولي" والمزرعة. قال "ديفيد" وقد لاحت على وجهه علامات السرور:

– شيء واحد – في الواقع – لم تتعلموه!

– وما هو؟

– لا أمان لأي شيء. هنا صاحت الخالة "كاثرين" منحنية نحو الأمام عند رأس المائدة:

– "لين"، أحد خُدَّام السيدة "ليستر" الروحانيين كاهن من الأسرة الرابعة. أخبرنا بأمور مدهشة. ينبغي أن نتحدث معًا طويلاً أنا وانت يا "لين". أشعر بان "مصر" لابد أن تكون قد أثرت فيك روحانيًا. قال الدكتور "كلود" بنبرة حادة:

– كان لدى "لين" أشياء يحتم عليها الواجب أن تضطلع بها، أفضل من هذه الخرافات والحماقات. أجابت زوجته:

– أنت متحامل جدًا يا "ليونيل". وابتسمت "لين" لزوجة خالها، ثم جلست صامتة تفكر فيما قاله "ديفيد": "لا أمان لأي شيء". هناك أناس يعيشون في مثل هذا العالم، أناس يرونْ الخطر في كل شيء. و"ديفيد هنتر" أحد هؤلاء. لم يكن هكذا العالم الذي نشأت فيه "لين"، ولكنه كان عالمًا ينطوي على جاذبية لها مع ذلك. قال "ديفيد" بالصوت الخافت ذاته الذي ينم عن مدى استمتاعه بهذا الحديث:

– ألا يزال من الممكن أن نتحدث معًا؟

– نعم. بكل تاكيد.

– حسنًا جدًا. وهل ما زلت تحقدين على "روزالين" وعلى شخصي بسبب استيلائنا على الثروة؟ قالت "لين" بحماس:

– نعم.

– رائع. وماذا عساك أن تفعلي بشأن ذلك؟

– أشتري قدرًا من الشمع، وأحاول ممارسة السحر الأسود! ضحك قائلا:

– لا. لن تفعلي هذا؛ لست واحدة من أولئك الذين يعوِّلون على الأساليب البالية. لابد لأساليبك أن تكون حديثة وربما عالية الفعالية أيضًا، ولكنك لن تكسبي.

– ما الذي يوحي إليك بانه سيكون هناك نزاع؟ الم يتقبل جميعنا المحتوم؟

– سلوككم جميعًا على قدر من الجمال، وهذا وضع مسلٍّ إلى أبعد حدٍّ. سألت "لين"

بصوت خافت:

– لماذا تكرهاننا؟ لاح شيء ما بتلكما العينين الغامضتين السوداوين:

– لم يمكنّي أن أجعلك تفهمين. قالت "**لين**":

– أعتقد أنه أمكنك. صمت "**ديفيد**" لحظة أو اثنتين، ثم سأل بنبرة حوارية خفيفة:

– لماذا ستتزوجين "**رولي كلود**". إنه ساذج. أجابته بنبرة حادة:

– أنت لا تعلم شيئًا عن هذا الموضوع ولا عنه هو. ومن المستحيل أن تكون قد بدأت تعلم شيئًا! وبدون أي تغيير في جو الحديث سأل "**ديفيد**":

– ما رأيك في "**روزالين**"؟

– فاتنة جدًّا.

– وماذا أيضًا؟

– لا يبدو أنها مستمتعة بحياتها. فقال "**ديفيد**":

– هذا صحيح تمامًا. "**روزالين**" غبية إلى حدٍّ ما. إنها خائفة دائمًا، وكانت تعاني الخوف دائمًا. تتحول إلى التفكير في بعض الأمور، ثم لا تدري شيئًا بما يجري فيها. هل أحدثك عن "**روزالين**"؟ أجابت "**لين**" بحسن ذوق:

– إذا ارتأيت ذلك.

– نعم، أرى ذلك. بدأت حياتها بميل شديد إلى المسرح وانتهى بها الأمر إلى خشبته. لم تكن ناجحة في هذا العمل بالتأكيد. التحقت بشركة سياحة من الدرجة الثالثة كانت توجه رحلاتها إلى جنوب "**إفريقيا**". انبهرت بسماع كلمة جنوب "**إفريقيا**". جنحت السفينة بهم في "**كيب تاون**"، وهناك تزوجت بموظف حكومي من "**نيجيريا**". لم ترقْ لها الحياة في "**نيجيريا**"، ولا أعتقد أنها كانت تحب زوجها بدرجة كبيرة. لو كان من النوعية التي تشرب الخمر، وتضرب الزوجة لما كان في ذلك بأس، ولكنه كان رجلاً مفكِّرًا جمع لنفسه مكتبة رائعة عن الغابات، وكان يحب الحديث عن خوارق الطبيعة. لهذا عادت إلى "**كيب تاون**" ثانية. تصرّف الرجل بأسلوب مهذّب جدًّا، وأعطاها مبلغًا مناسبًا من المال. كان من الممكن أن يطلقها ولكن لم يمكنه، ذلك؛ لأنه كاثوليكي، لكن – على أية حال – كان من حسن الحظ أنه تُوفي على أثر إصابته بالحمى، فحصلت "**روزالين**" على معاش متواضع. عندئذ قامت الحرب فاستقلتها سفينة متجهة إلى "**أمريكا الشمالية**". لم تحب الحياة هناك لهذا حولت مسارها إلى سفينة أخرى وعلى متنها التقت "**جوردون كلود**" وأخبرته بكل شيء

عن حياتها الحزينة. تزوجا في "نيويورك" وعاشا سعيدين هناك مدة أسبوعين، وبعد ذلك بفترة وجيزة قُتل في قصف بالقنابل تاركًا لها منزلاً كبيراً وقدراً كبيرًا من المجوهرات الثمينة ودخْلاً هائلا. قالت "لين":

- جميل أن تكون للقصة هذه النهاية السعيدة. قال "ديفيد هنتر":

- نعم. على الرغم من افتقار "روزالين" الكامل إلى العقل إلا أنها دائمًا ما كانت سعيدة، وهذا من حسن حظها أيضًا. كان "جوردون كلود" رجلاً قويًا طاعنًا في السن. كان في الثانية والستين من العمر، وكان من الممكن أن يعيش عشرين عامًا أخرى، وربما عاش مدة أطول من ذلك، وما كان هذا ليمتع "روزالين" الا ترين ذلك؟ كانت في الرابعة والعشرين عندما تزوجته، وهي الآن في السادسة والعشرين فقط. قالت "لين":

- تبدو أصغر سنًا من ذلك. نظر "ديفيد" عبر المائدة، وكانت "روزالين كلود" تعبث بقطعة الخبز التي أمامها. بدت مثل طفل متوتر الأعصاب. قال متأمّلا:

- نعم. هكذا تبدو. تجدينها شاردة الذهن تمامًا على ما اعتقد. قالت "لين" فجاة:

- مسكينة هي! قطّب "ديفيد" وسال بنبرة حادة:

- ولماذا الإشفاق عليها؟ سوف أعمل على رعايتها.

- أتوقع ذلك. أجفل قائلاً:

- أي إنسان يحاول المساس بـ "روزالين" سيجدني في مواجهته! وأعرف عددًا كبيراً من طرق شن الحرب، وليس جميعها قويمًا جدًّا. سألت "لين" بنبرة فاترة:

- هل أنا بصدد سماع تاريخ حياتك الآن؟ أجاب مبتسمًا:

- طبعة موجزة جدًّا. عندما قامت الحرب لم أر سببًا واحدًا يجعلني أحارب دفاعًا عن "إنجلترا". أنا أيرلندي، ولكنني كسائر الأيرلنديين أحب القتال. كان للمغاوير سحر لا يقاوم لديَّ. استمتعت معهم بعض الوقت، ولسوء الحظ تم تسريحي بعد إصابة بالساق. ذهبت بعد ذلك إلى "كندا"، واشتغلت بتدريب الأفراد هناك. كانت لديَّ بعض الأعمال غير المنجزة عندما تلقيت برقية "روزالين" من "نيويورك" التي أخبرتني فيها بأنها ستتزوج! لم تذكر بالفعل أنه سيكون هناك جزء من الغنيمة، ولكنني ماهر جدًّا في قراءة ما بين السطور. طرت إلى هناك، وانضممت إلى الزوجين السعيدين، وعدت معهما إلى "لندن". والآن (مبتسمًا نحوها بطريقة وقحة) عاد البحار إلى الوطن، عاد من البحر. هذا أنت! وعاد "هنتر" (الصياد) إلى الوطن من الجبال. ما الخطب في ذلك؟ قالت "لين":

– لا شيء. نهضت مع الآخرين وعندما دخلوا حجرة الاستقبال قال "**رولي**" لها:

– بدوتِ منسجمة مع "**ديفيد هنتر**" تماماً. عمَّ كنتما تتحدثان؟ فقالت "**لين**":

– لا شيء بالتحديد.

- 5 -

– "**ديفيد**" متى نعود إلى "**لندن**"؟ متى نذهب إلى "**أمريكا**"؟ رمق "**ديفيد هنتر**" "**روزالين**" بنظرة دهشة سريعة عبر مائدة الإفطار وقال:

– لا داعي إلى التسرع أليس كذلك؟ وما بال هذا المكان؟ ثم ألقى بنظرة استحسان في أرجاء الحجرة التي كانا يتناولان فطورهما بها. كان "**فاروبانك**" مقاما على جانب أحد التلال ومن نوافذه يمكن للمرء مشاهدة منظر مكتمل للريف الإنجليزي النائم. وعلى منحدر المرج غرست آلاف من نبتات النرجس البري. يكاد نوّارها أن يكون قد ذبل الآن إلا أن ملاءة من التوهج الذهبي لم تزل باقية. تمتمت "**روزالين**"، وهي تعبث بقطعة الخبز التي بطبقها قائلة:

– قلت إننا سنذهب إلى "**أمريكا**" فورا، وفور ما يتم الترتيب للسفر.

– نعم، ولكن الواقع أن الترتيب لن يتم بالسهولة التي تتصورينها، هناك أولويات، ولا أنت ولا أنا لدينا أسباب تتعلق بأعمال يمكننا تقديمها. دائماً ما تكون الأمور صعبة بعد الحرب. أحس بضيق طفيف من نفسه وهو يتحدث. فالأسباب التي ذكرها – على الرغم من أنها حقيقية بما يكفي – بدت وكأنها مبرِّرات لا أكثر. تساءل عما إذا كانت قد بدت كذلك للفتاة الجالسة قبالته. وعمّا كان سبب شوقها المفاجئ إلى السفر إلى "**أمريكا**". قالت "**روزالين**" متمتمة:

– قلت إننا لن نبقى هنا سوى فترة وجيزة ولم تذكر أننا سنعيش هنا.

– وما الضرر في "**وورمزلي فيل**" – و"**فاروبانك**"؟ اخبريني.

– لا شيء. الأمر يتعلق بهم جميعاً!

– آل "**كلود**"؟

– نعم. فقال "**ديفيد**":

– هذا بالتحديد هو مبعث سعادتي. أحب أن أنظر إلى وجوههم المكتئبة التي يأكلها الحسد والكراهية. لا تبخلي عليَّ بهذه المتعة يا "**روزالين**". قالت بصوت خافت مضطرب:

– أود لو لم تكن هذه هي مشاعرك، فأنا لا أحب ذلك.

– ابتهجي يا فتاة. كثيراً ما عانينا – أنا وأنت – بينما عاش آل "**كلود**" حياة الترف والنعيم اعتماداً على الشقيق الثري "**جوردون**". صغار البراغيث على برغوث كبير. إني أمقت هذه النوعية، ودائماً ما كنت أكرهها. قالت مصدومة:

– لا أحب كراهية الناس، فهذه خطيئة.

– الا تريْن انهم يكرهونك؟ هل تعاملوا معك بشفقة أو بودّ؟ قالت بنبرة المتشكك:

– لم يظهروا لي قسوة ولم يلحقوا بي أدنى أذى.

– ولكنهم تواقون إلى ذلك أيتها الساذجة، ويتمنوْنه، ثم أطلق ضحكة لا مبالاة، واستطرد قائلاً:

– لولا خوفهم على أرواحهم لكان قد عُثر عليك ذات صباح ومدية في ظهرك! ارتجفت وقالت:

– لا تقل هذه الأشياء المفزعة!

– حسنًا، ربما لن يستخدموا مدية لقتلك بل قدرًا من الـ "ستركنين" يضعونه في الحساء. دققت النظر إليه وفمها يرتعش، وقالت:

– أنت تمزح. عاد إلى الجدية ثانية وقال:

– لا تهتمي يا "**روزالين**"، سأعتني بك، وأعمل على حمايتك. أنا الذي سوف أتعامل معهم، واتصدى لهم. قالت متلعثمة:

– لو كان ما تقوله عن كراهيتهم إيانا وكراهيتهم إياي صحيحًا فلماذا لا نرحل إلى "**لندن**"؟ سنكون في أمان هناك بعيداً عنهم جميعًا.

– إن الريف مفيد لك يا فتاتي، والحياة في "**لندن**" سوف تمرضك.

– كان هذا عندما كان هناك قصف بالقنابل... القنابل. ارتعشت وأغمضت عينيها. وأردفت قائلة:

– لن انسى هذا أبدًا، أبدًا.

– بلى، سوف تنسينه. طوق كتفيها بحنان وهزها بلطف قائلاً:

– اخرجي من هذه الحالة يا "**روزالين**". اصبت بصدمة عنيفة، ولكنها انتهت الآن. لا مزيد من القنابل. لاتفكري في هذا الموضوع، وحاولي ألا تتذكريه. أوصى الطبيب بهواء الريف النقي وبالحياة في الريف مدة طويلة. لهذا السبب أريد إبعادك عن "**لندن**".

– هل هذا حقًّا السبب؟ هل هو يا "**ديفيد**"؟ لقد ظننت... أنه ربما..

– ماذا ظننت؟ أجابت "**روزالين**" ببطء:

– ظننت أنك ربما أردت البقاء هنا بسببها.

– من هي؟

– أنت تعلم من أعني.. الفتاة التي التقينا بها في تلك الليلة.. المجنَّدة السابقة. تحول وجهه فجأة إلى الصرامة واللون الداكن وقال:

– "**لين**"... "**لين مارتشمونت**"؟

– هل تعني لك شيئًا يا "**ديفيد**"؟

– "**لين مارتشمونت**"؟ إنها فتاة "**رولي**". "**رولي**" الشاب البيتي. العجِل الوسيم الأبله المتبلد.

– راقبتك وأنت تتحدث معها في تلك الليلة.

– بحق السماء يا "**روزالين**"!

– قابلتها ثانية، أليس كذلك؟

– قابلتها قرب المزرعة ذات صباح عندما خرجت للتريض على ظهر جوادي.

– وستقابلها مرة أخرى.

– من المؤكد أنني سأقابلها دائمًا! فهذه البلدة صغيرة جدًّا. لا يمكنك أن تسيري فيها خطوتين دون أن تلتقي بفرد من آل "**كلود**". أما إذا كنت تعتقدين أنني قد وقعت في غرام "**لين مارتشمونت**" فأنت مخطئة. فهي فتاة متكبرة مزهوة بنفسها وغير مريحة ولا مهذبة. أتمنى لـ "**رولي**" كل سعادة بها. لا يا "**روزالين**".. ليست هي من النوعية التي ابتغيها. قالت بنبرة عدم تصديق:

– هل أنت واثق بذلك يا "**ديفيد**"؟

– واثق بكل تأكيد. قالت شبه متخوِّفة:

– أعلم أنك لا تحب أن افتح أوراق اللعب، ولكنها تصدُقني. نعم هذا صحيح. أعلمتْني أن فتاة تجلب المتاعب والأسى، فتاة تأتي عبر البحر. وهناك غريب أسمر أيضًا يدخل حياتنا ويجلب معه خطرًا، وكانت هناك أيضًا ورقة الموت. قال "**ديفيد**" ضاحكًا:

– أنتِ وغرباؤك السُّمر! يا لك من كتلة خرافية. لا تتعاملي مع غريب أسمر... هذه هي نصيحتي لك. وغادر المنزل ضاحكًا، لكن عندما ابتعد عن المنزل قليلاً امتقع وجهه وقطَّب

متمتمًا لنفسه: يا لسوء حظك يا "لين"! تعودين من الخارج لتسببي المتاعب! ذلك لأنه قد تبين أنه تعمّد الخروج من المنزل في هذا التوقيت للتمشي أملاً في أن يلتقي الفتاة التي كان قد أنكر توًّا أي إعجاب بها. راقبته "روزالين" يبتعد عبر الحديقة ويخرج من البوابة الصغيرة المؤدية إلى ممر للمشاة عبر الحقول. صعدت بعد ذلك إلى حجرة نومها واستعرضت الملابس التي بداخل الخزانة. كان يمتعها دائمًا تحسُّس المعطف الجديد المصنوع من فراء المينك ولمسه.. أن يكون لها مثل هذا المعطف. لم يمكنها حتى الآن ان تستوعب هذا الحدث المذهل. كانت في حجرة نومها عندما جاءتها الخادمة؛ لتخبرها بأن السيدة "مارتشمونت" قد حضرت لزيارتها. كانت "أديلا" جالسة بحجرة الاستقبال ضامة شفتيها بإحكام وقلبها يخفق بمثلي سرعته المعتادة. ظلت تقوّي نفسها وتشجعها على مدى بضعة أيام حتى تأتي إلى "روزالين" بطلبها، ولكنها ظلت تسوِّف الزيارة؛ اتساقًا مع طبيعتها. كانت متحيرة أيضًا لأن تكتشف أن موقف "لين" قد تغير بلا سبب معلوم، وأنها أصبحت تعارض بشدة أن تلجأ والدتها إلى أرملة "جوردون" طالبة قرضًا يريحها من دواعي قلقها. إلا أن خطابًا آخر واردًا من مدير البنك في ذلك الصباح أملى على السيدة "مارتشمونت" أن تتخذ خطوة إيجابية فورية، فلم يصبح هناك مجال لمزيد من التأجيل.. كانت "لين" قد غادرت البيت في وقت مبكر، وكانت السيدة "مارتشمونت" قد لمحت "ديفيد هنتر" يسير على ممر المشاة، بهذا تكون الأجواء صافية. أرادت أن تتقابل مع "روزالين" بمفردها في غياب "ديفيد" تقديراً منها لأن ييسر ذلك مهمتها وقد أصابت التقدير. ومع ذلك أحست بعصبية شديدة بينما جلست تنتظر بحجرة الاستقبال المشمسة، ولكن مشاعرها تحسنت بقدر طفيف عندما دخلت "روزالين" الحجرة وعلى وجهها علامات الذكاء المتدني واضحة بأكثر من أي وقت سابق. حدثت "أديلا" نفسها في صمت قائلة: "إنني أتساءل عمّا إذا كان الانفجار هو المتسبب أم أنها هي التي كانت دائمًا على هذه الحال". قالت "روزالين" متلعثمة:

– صباح.. الخير. هل ثمة شيء. اجلسي. قالت السيدة "مارتشمونت" بنبرة مرحة:

– إنه صباح مشرق جميل. لقد تفتحت جميع زهور التيوليب بحديقتي. هل تفتحت زهورك؟ دققت الفتاة النظر إليها بذهن شارد وقالت:

– لا ادري. حدثت "أديلا" نفسها: "ما الذي يمكنني أن افعله مع فتاة لا تتحدث عن الحديقة أو عن الكلاب؛ الموضوعان الشائعان في الحوارات الريفية؟" ثم قالت محدثة مضيفتها عاجزة عن كبح لمسة المرارة التي دبّت في نبرة صوتها:

– من المؤكد أن لديك عدداً كبيراً من البستانيين الذين يعتنون بكل هذه الأمور.

– أعتقد انه ليس لدينا العدد الكافي. يقول "**مولارد**" العجوز إنه يحتاج إلى فردين إضافيين، ولكن يبدو أنه لا يزال هناك عجز في الأيدي العاملة. فارقت هذه الكلمات فاها بمثل نطق ببغاء، بل كانت هي أقرب إلى طفل يردِّد ما سمع من كبير يقوله. نعم. كانت مثل طفلة. تساءلت "**أديلا**": هل كان هذا مكمن سحرها؟ هل كان هذا ما جذب "**جوردون كلود**" رجل الأعمال الناجح ذا الرأي الصائب فأعماه عن غبائها وعن انحطاط نشأتها؟! لم يكن من الممكن أن يكون هذا راجعا إلى الجمال وحده. جميلات كثيرات أخفقن في جذب نظره إليهن. ولكن الطفولية قد تكون سببًا لجذب انتباه رجل في الثانية والستين. وهل كانت– أو من الممكن أن تكون – حقيقية أم أنها متكلفة تكلفًا رابحًا فأصبح طبيعة ثانية لها؟ كانت "**روزالين**" تخاطبها قائلة:

– "**ديفيد**" ليس موجوداً للأسف. نبَّهت هذه الكلمات السيدة "**مارتشمونت**" واستعادتها من تفكيرها. قد يعود "**ديفيد**". إنها فرصتها الآن، ولا ينبغي أن تتجاهلها أو تضيعها. التصقت الكلمات بحلقها، ولكنها أخرجتها:

– إنني أتساءل. عمّا إذا كان لك أن تساعديني.

– اساعدك؟! بدت "**روزالين**" دهشة غير مدركة وقالت:

– تعلمين كيف أن الظروف عصيبة، وأن وفاة "**جوردون**" قد اثرت بشدة في حياتنا جميعًا. قالت "**أديلا**" محدثة نفسها: "ايتها البلهاء الغبية، هل لابد من أن تواصلي فغر فيك في وجهي هكذا؟ تعلمين ما أعنيه! لابد من أنك تفهمين ما أعنيه؛ لأنك – على أقل تقدير– كنت فقيرة قبل الزواج". اشتدت كراهيتها لـ"**روزالين**" في هذه اللحظة. كرهتها؛ لأنها هي – "**أديلا مارتشمونت**" – كانت جالسة هناك تستجدي مالاً. قالت محدثة نفسها: "لا يمكنني... لا يمكنني أن أحتمل هذا على أي حال". على مدى لحظة وجيزة لاحت بذهنها تلك الساعات الطويلة من التفكير والهموم والتخطيط الغامض. هل تبيع المنزل؟ ولكن إلى أين تذهب؟ لم تكن هناك منازل صغيرة متاحة، ومن المؤكد أنه لا وجود لمنازل رخيصة الثمن. هل تستضيف بمنزلها أفرادًا؟ ولكن لا عمالة متوفرة للخدمة، وليس باستطاعتها القيام بمثل هذه الأعباء، فلا يمكنها القيام بأعمال الطهي وما يتطلبه ذلك من أعمال منزلية إضافية. لو أمكن "**لين**" أن تساعدها؟ ولكن "**لين**" على وشك أن تتزوج "**رولي**". هل تنتقل لتعيش مع "**رولي**" و "**لين**"؟ لا. لن تقدم على شيء كهذا أبداً.. هل

تحصل على عمل؟ أي عمل هذا الذي يقبل امرأة كبيرة مستنفدة القوى وغير مدربة على تخصص ما؟ سمعت نفسها تقول بصوت مشاكس؛ لأنها احتقرت نفسها في تلك اللحظة.

– ما أعنيه هو المال. سألتها "**روزالين**" :

– مال؟ بدت الدهشة واضحة في نبرات صوتها كما لو كان المال هو آخر شيء تتوقع ذكره. استطردت "**أديلا**" بعناد تخرج الكلمات:

– حسابي بالبنك أصبح مدينًا، وأنا مدينة له بقيمة فواتير وكمبيالات عن إصلاحات أجريت بالمنزل، ولم أقم بسداد الفواتير عنها بعد، وقد هبط دخلي إلى النصف، بسبب ارتفاع نسبة الضرائب. اعتاد "**جوردون**" مساعدتنا في الإنفاق على المنزل. كان يتحمل نفقات الإصلاحات والسقف والطلاء وكل هذه الأشياء. وكان يعطينا راتبًا أيضًا. كان يقوم بتحويله إلى حسابي بالبنك. دفعة كل ثلاثة أشهر. كان يقول لي دائمًا ألا أهتم. ومن الطبيعي ألاّ أهتم أبدًا. ما أعنيه هو أن كل شيء كان على خير ما يرام طوال حياته. أما الآن... توقفت مستشعرة خجلاً، ولكنها أحست بالارتياح في الوقت ذاته فقد انقضى القدر الأسوأ من المهمة، فإذا رفضت الفتاة فلترفض وتكون هذه هي نهاية المحاولة. بدت "**روزالين**" على قدر كبير من القلق وقالت:

– يا إلهي! لم أكن لأعلم. لم أعتقد قط – حسنًا – بالتأكيد سأسال "**ديفيد**". قالت "**أديلا**" في محاولة مستميتة وهي تمسك بجانبي المقعد:

– ألا يمكنك أن تحرري لي شيكًا الآن؟

– نعم. نعم. أظن أنه يمكنني. بدت "**روزالين**" جزعة عندما نهضت وتوجهت إلى المكتب. بحثت في عدد من الأرفف حتى اهتدت إلى دفتر الشيكات، ثم سألت:

– هل... كم تريدين؟

– خمسمائة.. خمسمائة.. وصمتت "**أديلا**".

– خمسمائة جنيه. وحررت "**روزالين**" الشيك بهذا المبلغ طائعة. وسقط عبء ثقيل عن كاهل "**أديلا**". وكانت المهمة سهلة على أية حال! حزنت؛ إذ تبينت أن إحساسها كان استهزاء بسهولة النصر أكثر منه عرفانًا! من المؤكد أن "**روزالين**" بسيطة بدرجة غريبة. نهضت الفتاة من أمام المكتب وتقدمت منها مقدمة لها الشيك بطريقة غريبة، وقد بدا الإحراج الآن من جانبها كلية، وقالت:

– أرجو أن يكون هذا هو المطلوب. وإني آسفة جدًّا. أخذت "**أديلا**" الشيك. مرت اليد

الطفولية غير المدربة فوق الورقة الوردية.

– السيدة "**مارتشمونت**". خمسمائه جنيه – "**روزالين كلود**".

– هذا حسن منك جدًا يا "**روزالين**". اشكرك.

– آه – أرجوك – أعني كان من الواجب أن أفكّر..

– حسن منك جدًا يا عزيزتي. أحست "**أديلا مارتشمونت**" بعدما وضعت الشيك في حقيبة يدها بأنها امرأة أخرى. وكانت الفتاة طيبة بحق في هذا الشأن. أحست بأنه من المحرج أن تطيل مدة الزيارة، ودعتها ورحلت. مرت بـ "**ديفيد**" على الممر. حيّته بنبرة سارة وأسرعت في طريقها.

– 6 –

فور دخول "**ديفيد**" المنزل سأل:

– ماذا كانت هذه المرأة "**مارتشمونت**" تفعل هنا؟

– آه يا "**ديفيد**"، كانت تحتاج بشدة إلى مبلغ من المال، لم أكن أتصور ذلك قط.

– وأفترض أنك قد أعطيتها إياه. رمقها بنظرات يأس مضحكة وقال:

– لست أهلاً للثقة بمفردك يا "**روزالين**".

– آه يا "**ديفيد**". لم يمكنّي أن أرفض. فعلى أقل تقدير..

– على أقل تقدير ماذا؟ وكم أعطيتها؟ تمتمت "**روزالين**" بصوت خافت قائلة:

– خمسمائة جنيه. كان من دواعي ارتياحها أن ضحك "**ديفيد**" قائلاً:

– ليست سوى لدغة برغوث!

– لا يا "**ديفيد**"، إنه مبلغ كبير.

– ليس بالنسبة إلينا في الوقت الحالي يا "**روزالين**". لا يبدو على الإطلاق أنك قد استوعبت فكرة أنك أصبحت امرأة ثرية جدًا. ومع ذلك طالما قد طلبت خمسمائة جنية كان من الممكن أن تبرحنا راضية تمامًا بمبلغ مائتين وخمسين جنيها. يجب عليك أن تتعلمي لغة الاقتراض! قالت متمتمة:

– إنني آسفة يا "**ديفيد**".

– يا فتاتي العزيزة، إنه مالك على كل حال.

– ليس كذلك. ليس حقيقة.

– والآن لا تبدئي هذا القول من جديد. تُوفي "**جوردون كلود**" قبل أن يتاح له الوقت لعمل وصية. هذا ما يعرف بحظ اللعبة، وقد فزنا أنا وأنت وخسر الآخرون.

– لا يبدو هذا حقًّا ولا صوابًا.

– هيا الآن يا شقيقتي الحبيبة "**روزالين**".. ألست مستمتعة بكل هذا؟ منزل كبير وخدم ومجوهرات؟ أليس هذا حلمًا تحقَّق؟ أليس هو كذلك؟ الحمد لله وحده، أتصور في بعض الأحيان أنني سوف أستيقظ، وأجد أن كل هذا كان حلمًا. شاركته الضحك وإذ راقبها بدقة أحس بالرضا. كان يعرف كيفية التعامل مع فتاته "**روزالين**". رأى أنه من غير المناسب أن يكون لها ضمير، ولكنه موجود.

– هذه هي الحقيقة يا "**ديفيد**"، إنه أشبه بحلم، أو شبيه بشيء في الأفلام السينمائية، وإنني مستمتعة بكل شيء تمام الاستمتاع، فقال محذرًا:

– لكن ما لدينا ينبغي لنا المحافظة عليه. لا مزيد من الهبات لآل "**كلود**" يا "**روزالين**". مالدى أي فرد منهم يزيد على ما كان لك أو لي طوال العمر.

– نعم. أعتقد أن هذا صحيح. سألها:

– أين كانت "**لين**" هذا الصباح؟

– أعتقد أنها ذهبت إلى "**لونغ ويلوز**". إلى "**لونغ ويلوز**" للقاء "**رولي**" – ذلك الأبله – الريفي الأخرق! تبدّد عنه حسن المزاج. مصرَّة على الزواج بهذا الإنسان. أليست كذلك؟ غادر المنزل مكتئبًا من خلال البوابة الصغيرة الكائنة بأعلى الجبل. من هذه البقعة انحدر الممشى إلى سفح الجبل على مسافة من مزرعة "**رولي**". بينما كان "**ديفيد**" واقفًا هناك لمح "**لين مارتشمونت**" قادمة من المزرعة. تردد لحظة، ثم ثبت فكّه على نحو موحٍ بالمشاكسة وهبط الجبل حتى يلقاها. التقيا في نقطة عند منتصف منحدر الجبل. قال "**ديفيد**":

– صباح الخير متى سيكون الزفاف؟ أجابته:

– سبق لك أن طرحت هذا السؤال، وتعلم جيدًا متى سوف يكون. في شهر حزيران (يونيو).

– ستُتمِّمينه؟

– لا أعرف ما الذي تعنيه يا "**ديفيد**".

– بل تعلمين، ثم أطلق ضحكة هازئة مستطردًا:

– **رولي**". ماذا يكون "**رولي**"؟ فقالت بنبرة مرحة:

– رجل أفضل منك. امسسْه إذا جرؤت على ذلك.

– لا شك في أنه رجل أفضل مني، ولكنني أجرؤ بالتأكيد. وأنا على استعداد لتحدي أي شيء من أجلك يا "لين". صمتت لحظة، ثم قالت أخيراً:

– ما لا تفهمه هو أنني أحب "رولي".

– إنني دهش! فقالت بحماس:

– إني أحبه. أقول لك ذلك، وأؤكد لك أني أحبه. تأملها "ديفيد" مدقِّقًا النظر إليها وقال:

– جميعنا نرى صوراً لأنفسنا وفقًا لما نريد ان نكون. أنت ترين نفسك تحبين "رولي" ومستقرة مع "رولي" وتعيشين هنا راضية بـ "رولي" ولا تريدين الابتعاد عن هنا أبداً، ولكن ليست هذه هي أنت الحقيقية – هل هذه أنت يا "لين"؟

– وما هي أنا الحقيقية؟ وما هو أنت الحقيقي بهذه المناسبة؟ وما الذي تريده؟

– كان من الممكن أن أقول إنني أريد الأمان والسلام بعد العاصفة، والراحة بعد البحار الهائجة، ولكنني لا أدري. إنني أشك في بعض الأحيان يا "لين" في أن كلينا – أنا وأنت – ننشد المتاعب، ثم أضاف بنبرة كآبة:

– أتمنى لو لم تكوني قد أتيت إلى هنا قط. كنت سعيداً إلى حد بعيد قبل أن تأتي.

– ألست سعيداً الآن؟ نظر إليها فاستشعرت إثارة بداخلها. تسارع تنفسها. لم تكن قد شعرت قبل الآن بجاذبية "ديفيد" الكئيبة الغريبة بمثل هذه القوة. مد يداً أمسك بها كتفها وأدارها حول نفسها. ثم وبالسرعة نفسها أحست بقبضته ترتخي. ظل ينظر من فوق كتفها إلى أعلى الجبل. أدارت رأسها لترى ما الذي لفت انتباهه. شاهدت امرأة كانت تدخل من البوابة الصغيرة التي فوق الجبل إلى "فاروبانك". سأل "ديفيد" بنبرة حادة:

– من هذه؟ وقالت "لين":

– يبدو أنها "فرانسيس". قال مقطباً:

– "فرانسيس"؟ وما الذي تريده "فرانسيس"؟

– ربما تكون قد أتت لزيارة "روزالين".

– يا عزيزتي "لين"! من يريدون شيئًا – دون سواهم – هم الذين يأتون لزيارة "روزالين"، وقد حضرت والدتك لزيارتها هذا الصباح بالفعل.

– والدتي؟! وقطبت "لين" متراجعة إلى الوراء وقالت:

– وماذا أرادت أمي؟

– ألا تعلمين؟ مالاً.

– مالاً؟! وتوترت "لين". قال "ديفيد":

– وقد حصلت عليه. كاد يبتسم الآن، فقد ارتسمت على وجهه تلك الابتسامة القاسية الفاترة التي تناسبه جداً. كانا منذ لحظة أو اثنتين قريبين من بعضهما البعض، وأصبحا الآن تفصل بينهما كيلومترات، ويفرق بينهما عداء مستحكم. صاحت "لين":

– لا. لا. لا! فقال مقلّداً:

– نعم. نعم. نعم!

– لا أصدق هذا! كم المبلغ؟

– خمسمائة جنيه. تنفست بصعوبة. قال "ديفيد" مستغرقًا في التفكير:

– وإني أتساءل عن المبلغ الذي سوف تطلبه "فرانسيس". في الواقع إنه من غير المعقول أن تُترك "روزالين" بمفردها مدة خمس دقائق! لا تعرف هذه الفتاة المسكينة كيف تقول لا.

– هل كان هناك آخرون... من أيضًا؟ ابتسم "ديفيد" ساخراً وقال:

– كانت العمة "كاثي" مدينة ببعض المبالغ – لم يبلغ مجموعها رقمًا كبيراً – تمت تغطيتها بمبلغ مائتين وخمسين جنيها، ولكنها كانت تخشى أن يبلغ هذا الخبر أذنيْ الطبيب! لأنه ربما يختلف معها في الرأي؛ إذ كان المبلغ موزعًا على أقساط، ولكنها لم تعلم بكل تأكيد أن الطبيب ذاته قد طلب منا قرضًا. قالت "لين" بصوت خافت:

– ماذا سوف يكون رأيك فينا... ماذا سوف يكون رأيك فينا! ثم فاجأته وقطعت المسافة هبوطًا من فوق الجبل إلى المزرعة عدواً. قطب وهو يراقبها تمضي. لقد ذهبت إلى "رولي"، طارت إليه مثل حمامة زاجلة وأزعجه هذا التصرف بأكثر مما يجب أن يعترف به. نظر إلى أعلى الجبل ثانية وقطّب. قال مغتاظًا: "لا يا "فرانسيس".. لا أظن ذلك. لقد اخترت يوم نحْس". ثم توجه بحماس إلى أعلى الجبل. دخل من البوابة، ومر بشجيرات الأزيلا، وسار عبر المرج، ودخل بهدوء من باب حجرة الاستقبال في اللحظة التي كانت "فرانسيس كلود" تقول فيها:

– أتمنى لو أنه يمكنني توضيح الموقف بقدر أكبر، ولكن للأسف يا "روزالين"، من الصعب جداً أن أشرحه لك. في هذه اللحظة جاء صوته من خلفها يقول:

– حقيقة؟ استدارت "فرانسيس كلود" بسرعة. فعلى النقيض من "أديلا مارتشمونت" لم تتعمد محاولة أن تتحين وجود "روزالين" بمفردها. وكان المبلغ المطلوب باهظًا بما يكفي

لئلا تعطيه "روزالين" بدون استشارة أخيها. في الواقع إنه كان من الأفضل أن تناقش "فرانسيس" الأمر مع "روزالين" و "ديفيد" معًا بدلاً من أن تُشعر "ديفيد" بأنها قد حاولت الحصول على المبلغ في أثناء غيابه عن البيت. لم تكن قد سمعته يدخل من الباب؛ إذ كانت مستغرقة في عرض مبرّر مقبول. جزعت لمقاطعته المفاجئة، وتبينت أيضًا أن "ديفيد هنتر" كان لسبب ما بحالة مزاجية بالغة السوء. قالت بارتياح:

– آه يا "ديفيد"، أنا مسرورة بأنك قد أتيت. كنت الآن أقول لـ "روزالين" إن وفاة "جوردون" قد تركت "جيريمي" في ورطة لا سبيل إلى الخروج منها، وأتساءل عما إذا كان يمكنها أن تمد يد العون. الوضع هو... وانطلق لسانها مسرعًا: المبلغ الكبير المطلوب، مساندة "جوردون"، وعوده الشفوية، والضوابط والتعليمات الحكومية، والرهونات، وتولّد قدر من الإعجاب بقتامة ذهن "ديفيد". كم كانت هذه المرأة الملعونة تتقن الكذب وتلفق هذه المبرّرات القوية! قصة مقبولة تمامًا ولكنها ليست الحقيقة. لا. إنه على استعداد لأن يقسم على ذلك. لا تمتّ إلى الحقيقة بأدنى صلة! تساءل: "ماذا عسى أن تكون الحقيقة؟ هل من الممكن أن يكون "جيريمي" غارقًا في الديون؟ لابد من أنه في وضع بائس لا يحسد عليه طالما سمح لـ "فرانسيس" بأن تأتي وتطرق هذا الباب.. خاصة وأنها هي ذاتها امرأة معتدّة بذاتها. قال:

– عشرة آلاف جنيه؟ وتمتمت "روزالين" بصوت فزع:

– هذا مبلغ كبير! فأسرعت "فرانسيس" تقول:

– أعلم هذا. وما كنت سآتي إليكما لو لم يكن من الصعب الحصول على مثل هذا المبلغ، ولكن ما كان "جيريمي" قد دخل طرفًا في هذه الصفقة لولا تشجيع "جوردون" له ولولا مساندته إياه. من دواعي سوء الحظ أن يُتوفى "جوردون" بهذه الصورة المفاجئة. قال "ديفيد" بنبرة سيئة:

– تاركًا إياكم في العراء بعد حياة كريمة تحت جناحه. اتقدت عينا "فرانسيس" بشعاع خافت وهي تقول:

– أنت تعبر عن الأوضاع بأسلوب تصويري متقن!

– إنك تعلمين أن "روزالين" لا يمكنها أن تتصرف في أي قدر من رأس المال، ولا تتمتع إلا بريعه، وتدفع منه ضريبة دخل تقدر بتسعة عشر شلنا وستة بنسات عن كل جنيه واحد.

– آه... أعلم كل ذلك. الضرائب باهظة في هذه الأيام، ولكن يمكن تدبير المبلغ. أليس

كذلك؟ وسوف نقوم بسداده.. فقال مقاطعًا:

– يمكن تدبيره ولكن هذا لن يكون! التفتت "**فرانسيس**" إلى "**روزالين**" بسرعة وقالت:

– "**روزالين**"، إنك امرأة كريمة.. قاطعها صوت "**ديفيد**" قائلا:

– ماذا تظنون "**روزالين**" يا آل "**كلود**"... بقرة حلوبًا؟ تأتون إليها جميعًا بالتلميح والطلب والاستجداء؟ ومن خلف ظهرها تهزؤون بها وتتعالوْن عليها وترفضونها وتكرهونها وتتمنوْن لها الموت. صاحت "**فرانسيس**" قائلة:

– إن ما تقوله ليس صحيحًا.

– حقيقة؟ أؤكد لك أنني قد مللتكم جميعًا! وقد ملّتكم هي أيضًا جميعًا. لن تأخذوا منا مالاً حتى تتوقفوا عن المجيء إلى هنا طلبا له. مفهوم. امتقع وجهه غضبًا، ونهضت "**فرانسيس**" من فوق مقعدها ووجهها جامد خالٍ من أي تعبير. ارتدت قُفَّازا من الجلد بطريقة لا إرادية، ولكنها كانت منتبهة تماما، كما لو كانت هذه الحركة متعمّدة ذات معنى خاص. قالت:

– لقد تحدثت بوضوح تام يا "**ديفيد**". فقالت "**روزالين**" متمتمة:

– إنني آسفة.. آسفة جدًّا. ولم تلتفت "**فرانسيس**" إليها كما لو لم تكن بالحجرة، واتخذت خطوة نحو الباب، ثم توقفت في مواجهة "**ديفيد**"، وقالت له:

– لقد قلت إنني أرفض "**روزالين**" وهذا غير صحيح. لم أرفض "**روزالين**"، ولكن من أرفضه هو.. أنت!

– ماذا تعنين؟ أجفل نحوها وقال:

– ينبغي أن تعيش النساء. وقد تزوجت "**روزالين**" رجلاً واسع الثراء يكبرها بكثير. ولم لا؟ أما أنت! فلا بد من أن تعيش عالة على أختك.. تعيش على رسم الأرض... حياة الترف على حسابها.

– إني أقف حائلاً بينها وبين الناهبين. وقفا ينظر كل منهما إلى الآخر. أدرك مقدار غضبها ولاح بذهنه أن "**فرانسيس كلود**" عدو خطير من الممكن أن يتخلى عن ضميره وعن مبالاته. عندما فتحت فاها لتتكلم استشعر خوفًا، ولكن ما قالته كان ملتبسًا إلى حدٍّ متفرِّد.

– سوف أتذكر دائمًا ما قلته يا "**ديفيد**"، ثم خرجت من الباب مرورًا به. تساءل عن سبب إحساسه الشديد بأن كلماتها هذه انطوت على تهديد. وبكت "**روزالين**" قائلة:

– "**ديفيد**" – "**ديفيد**" – ما كان ينبغي أن تقول لها كل ذلك؛ فهي الوحيدة بينهم التي

أظهرت لي وداً، فأجابها غاضباً :

– اصمتي أيتها الحمقاء، هل تريدين لهم أن يدوسوك بالأقدام ويستنزفوا كل مالك؟

– ولكن ما دام هذا المال ليس حقًّا لي . . . ثم تراجعت أمام نظراته قائلة :

– لم أعنِ هذا يا "**ديفيد**" .

– هذا ما أرجوه . رأى أن صحوة الضمير هي الشيطان الواقف ضده! فلم يكن قد حسب لضمير "**روزالين**" حساباً، سوف يسبب له المتاعب في المستقبل . المستقبل؟ قطب وهو ينظر إليها وأطلق لأفكاره العنان . مستقبل "**روزالين**" ومستقبله، كان دائماً يعلم ما يريده، وكان يعلم ذلك الآن . أما "**روزالين**" ، فاي مستقبل هناك لـ"**روزالين**" ؟ صاحت مرتعشة فجأة عندما رأت وجهه يزداد قتامة :

– إنني خائفة! قال متأملاً إياها بفضول :

– تفهمين إذن أن الأمر من الممكن أن ينتهي إلى ذلك؟

– ما الذي تعنيه يا "**ديفيد**" ؟

– ما أعنيه هو أن خمسة . . . ستة . . . سبعة أفراد تتوفر لديهم النيات لأن يبعثوا بك إلى القبر قبل الأوان! قالت بصوت جزع :

– لا، تعني . . قتلا . . هل تعتقد أن هؤلاء الناس من الممكن أن يقدموا على قتلي؟ لاأعتقد أن أناساً مهذبين من أمثال آل "**كلود**" من الممكن أن يفعلوا هذا!

– لست واثقاً تماماً بان الأناس المهذبين من أمثال آل "**كلود**" وحدهم هم الذين يمكنهم ارتكاب جرائم القتل، ولكنهم لن ينجحوا في اغتيالك طالما كنت هنا أرعاك وأحميك، سوف يضطرون إلى الخلاص مني أولاً ، ولكن إذا حدث أن نجحوا في إبعادي عن طريقهم، فسوف يكون عليك في هذه الحالة أن تحمي نفسك بنفسك!

– "**ديفيد**" ، لا تقل مثل هذه الأشياء البشعة .

– اسمعيني جيداً . وأمسك بذراعها وقال :

– إذا حدث أني لم أكن هنا، فانتبهي لنفسك يا "**روزالين**" ، إن الحياة ليست آمنة . تذكري أنها مليئة بالخطر . . بالخطر المؤكد، وأرى أنها خطر عليك بشكل خاص .

- 7 -

قالت "**لين**" لاهثة بسبب طول المسافة التي قطعتها عدواً، وقد شحب وجهها أيضًا وتوترت شفتاها:

- "**رولي**"، هل يمكنك أن تعطيني خمسمائة جنيه؟ قال بنبرة مهدئة أقرب إلى ما كان يحدث به فرسًا:

- اهدئي يا فتاتي. علام كل هذه الضجة؟

- أريد خمسمائة جنيه.

- لو كان معي لأمكنني استغلاله أنا شخصيًا.

- لكن يا "**رولي**" الأمر خطير. الا يمكنك إقراضي خمسمائة جنيه؟

- حسابي مدين بالفعل؛ بسبب هذا الجرار الجديد.. قالت طارحة التفاصيل الزراعية جانبًا:

- نعم. نعم، ولكن يمكنك الحصول على المبلغ بطريقة أو بأخرى إذا اضطرتك الظروف. اليس كذلك؟

- لماذا تريدين المبلغ يا "**لين**"؟ هل أنت في مأزق ما؟

- لأعطيه له. وأشاحت برأسها في اتجاه المنزل المربع الكبير القابع فوق الجبل.

- "**هنتر**"؟ لأي سبب؟

- بسبب أمي. اقترضت المبلغ منه... إنها... إنها في ضائقة مالية شديدة. قال "**رولي**" بنبرة تعاطف:

- نعم. نعم. أتوقع ذلك. عليها عبء كبير. اتمنى لو كان يمكنني المساعدة بشيء، ولكن ليس باستطاعتي.

- لا يمكنني أن أحتمل اقتراضها مالاً من "**ديفيد**"!

- تمالكي أعصابك يا فتاتي، "**روزالين**" هي من تعطي المال. ولم لا على أية حال؟

- ولم لا؟ هل قلت: ولم لا يا "**رولي**"؟

- لا أرى سببًا لئلا تمد "**روزالين**" يد العون بين الحين والحين. فقد وضعنا "**جوردون**" في مأزق شديد بانسحابه من الحياة بلا وصية. لو شُرح الوضع لـ "**روزالين**" بوضوح فلابد أن تتبين بنفسها أنه يشير إلى ضرورة أن تقدم المساعدات إلى الجميع.

- ألم تقترض منها؟

– نعم لم أقترض؛ لأن وضعي مختلف، فلا يمكنني أن أذهب إلى امرأة، وأطلب منها مالاً. لا أحب أن أفعل شيئًا كهذا.

– ألا يمكنك أن ترى أنني لا أحب أن أكون.. أن أكون مدينة لـ "**ديفيد هنتر**"؟

– ولكنك لست مدينة له؛ فالمال ليس ماله.

– إنه ماله في الواقع الفعلي؛ لأن "**روزالين**" في قبضته تمامًا.

– هذا صحيح، ولكن المال ليس ماله من الناحية القانونية.

– وأنت لن تقرضني، لن تستطيع أن تقرضني هذا المبلغ.

– اسمعيني جيدًا يا "**لين**"، لو كنت في مازق حقيقي – حالة ابتزاز أو ديون – فإنه يمكنني أن أبيع قطعة أرض أو ماشية، ولكن مثل هذا الإجراء يكلفني الكثير. كل ما يمكنني في الوقت الحالي هو أن أحتفظ برأسي فوق سطح الماء، هذا إضافة إلى جهلنا بما يمكن أن تفعله بنا هذه الحكومة المشؤومة بعد ذلك... معوقات في كل اتجاه ونماذج يتطلب استيفاء بياناتها السهر حتى منتصف الليل في بعض الأحيان، وهذا فوق طاقة البشر. قالت "**لين**" بنبرة لاذعة:

– أعلم كل ذلك! لو أن "**جوني**" فقط لم يلق حتفه.. صاح غاضبًا:

– دعينا من "**جوني**"! ولا تتحدثي عن هذا. دققت النظر إليه دهشة. كان وجهه قد احمرّ متوترًا. بدا منفعلا من شدة الغضب. استدارت "**لين**" بعيدًا عنه، وسارت عائدة إلى البيت الأبيض.

– ألا يمكنك إعادة المبلغ يا أمي؟

– في الواقع يا حبيبتي، إنني توجهت به إلى البنك مباشرة هذا الصباح، ثم سددت ديوني لـ "**آرثر**" و"**بودجهام**" و "**نبْويرث**". كان "**نبْويرث**" قد بدأ يضغط عليّ بشدة. كم أشعر بالارتياح يا حبيبتي! لم يمكنّي النوم على مدى ليالٍ وليالٍ. كانت "**روزالين**" مقدِّرة بحق، ولم تمانع في إعطائي المبلغ. قالت "**لين**" بنبرة مشوبة بالمرارة:

– وأفترض أنك ستذهبين إليها مرة ثانية وثالثة بعد ذلك.

– أرجو ألا تكون هناك حاجة إلى ذلك. سأحاول أن أكون مقتصدة قدر الإمكان، لكن كما تعلمين أسعار كل شيء مرتفعة في هذه الأيام. والحالة تزداد سوءًا يومًا بعد يوم.

– نعم، وسوف نصبح أسوأ فأسوأ بلجوئنا إلى أسلوب التسوّل. امتقع وجه "**أديلا**" خجلاً، وقالت:

– لا أرى أن هذا هو الأسلوب الصحيح للتعبير يا "**لين**" . كما سبق لي أن أوضحت لـ"**روزالين**" كنا دائمًا نعتمد على مساعدة "**جوردون**" لنا.

– ما كان ينبغي أن نعتمد عليه؛ فهذا موطن الخطإ. ما كان ينبغي، ثم أضافت:

– له كل الحق في أن يحتقرنا.

– من الذي يحتقرنا؟

– ذلك الشاب الكريه "**ديفيد هنتر**" . سألت السيدة "**مارتشمونت**" بكبرياء:

– لا أرى لرأي "**ديفيد هنتر**" أدنى أهمية. لحسن الحظ أنه لم يكن موجودًا بالمنزل في الصباح، وإلا لكان قد أثر في تلك الفتاة. فهو يحكم السيطرة عليها بكل تأكيد. تململت "**لين**" في وقفتها وقالت:

– ماذا كنت تعنين يا أمي مما قلته في الصباح الأول لعودتي "لو كان أخوها"؟ بدت السيدة "**مارتشمونت**" محرجة إلى حدٍّ ما وقالت:

– نعم. ترددت شائعات عن هذا الموضوع. لم يسع "**لين**" سوى أن تنتظر متسائلة. سعلت السيدة "**مارتشمونت**"، ثم قالت:

– تلك النوعية من الشابات – أعني النوعية المغامرة، التي خلبت لب "**جوردون**" – عادة ما يكون لكل منهن شابٌّ في الخلفية. لنفترض أنها أخبرت "**جوردون**" بأن لها شقيقًا – وتبرق إليه في "**كندا**" أو في أي مكان هو فيه، ثم يظهر هذا الشاب. كيف يمكن لـ"**جوردون**" أن يعرف ما إذا كان هو أخاها أو غير ذلك؟ و"**جوردون**" المسكين كان مفتونًا بها يصدِّق كل ما تقوله، وبذلك يأتي "أخوها" معهما إلى "**إنجلترا**"، و"**جوردون**" المسكين لا يشك في شيء. قالت "**لين**" بنبرة جافة:

– لا أصدق هذا... لا أصدقه! فرفعت السيدة "**مارتشمونت**" حاجبيها دهشة وقالت:

– حقيقة يا عزيزتي..

– ليس من هذه النوعية. ولا هي أيضًا. ربما تكون حمقاء، ولكنها فاتنة.. نعم. هي فاتنة جدًّا. إنها عقول الناس الفاسدة التي تخيلت ذلك، ولكنني أؤكد لك أنني لا أصدق هذا. قالت السيدة "**مارتشمونت**" بكبرياء:

– ليس هناك ما يدعو إلى الصياح.

- 8 -

حدث بعد ذلك بأسبوع أن دخل قطار الخامسة والثلث محطة "وورمزلي هيث" ونزل منه رجل طويل القامة، برنزي البشرة، يحمل حقيبة ظهر، وكانت على الرصيف المقابل مجموعة من لاعبي الجولف ينتظرون القطار العائد. سلم الرجل الملتحي الطويل القامة الذي كان يحمل حقيبة الظهر تذكرة سفره، وعبر إلى خارج المحطة. توقف مترددًا مدة دقيقة أو اثنتين، ثم رأى علامة الطريق: "ممر للمشاة إلى "وورمزلي فيل" " ووجّه خطاه إلى ذلك الطريق بتصميم شديد. كان "رولي كلود" في "لونغ ويلوز" قد انتهى توًا من إعداد قدح شاي لنفسه عندما وقع ظل على منضدة المطبخ جعله يرفع بصره. لو كان قد تصور للحظة واحدة أن الفتاة الواقفة بمدخل الباب مباشرة هي "لين"، فقد تحولت خيبة أمله إلى دهشة عندما رأى أنها "روزالين كلود". كانت ترتدي ثوبًا من نسيج قروي ذي أقلام عريضة زاهية باللونين البرتقالي والأخضر – تكلفت بساطته الزائفة مبلغًا ما كان "رولي" يتصور أنه ممكن. حتى تلك اللحظة كان يراها دائمًا في ثياب غالية حديثة ترتديها بسيماء مصطنعة أقرب – في رأيه – إلى عارضة أزياء تعرض ثيابًا ليست ملكًا لها، بل للمنشأة التي تستخدمها لهذا العمل. بدا فيما بعد ظهيرة ذلك اليوم وكأنه يرى بداخل تلك الأقلام العريضة ذات الألوان المبهجة "روزالين كلود" مختلفة تمامًا. بدا أصلها الأيرلندي أكثر وضوحًا، وشعرها الداكن المتموّج، وعيناها الزرقاوان الكحيلتان الجميلتان أكثر تأكيدًا، وصوتها أيضًا كانت له نبرة أيرلندية أخف وقعًا من تلك النبرات المتقطعة الحذرة التي كانت تنطق بها عادة. قالت:

– الطقس جميل جدًّا؛ لهذا خرجت للتمشي، ثم ما لبثت أن أضافت:

– توجّه "ديفيد" إلى "لندن". قالت ذلك بأسلوب كاد ينم عن إحساس بالذنب، ثم تورّد وجهها، وأخرجت علبة سجائر من حقيبة يدها. قدّمت واحدة إلى "رولي"، ولكنه هز رأسه ثم أخذ يبحث من حوله عن ثقاب ليشعل سيجارة "روزالين"، ولكنها كانت تحاول عبثًا إشعالها بقداحة ذهبية صغيرة تبدو غالية الثمن، أخذها "رولي" من يدها وبحركة قوية واحدة أشعلها، وبينما كانت تحني رأسها نحوه لتشعل سيجارتها لاحظ كم كانت أهدابها التي استقرت فوق وجنتيها – طويلة وداكنة! فحدّث نفسه في صمت قائلاً: "كان عمي "جوردون" على علم تام بما كان يفعله". تراجعت "روزالين" بمقدار خطوة إلى الخلف، ثم قالت بنبرة إعجاب:

– عجلة صغيرة جميلة هذه التي ترعى بالحقل العلوي. وإذ دهش "رولي" باهتمامها بدأ

يحدثها عن المزرعة. أدهشه اهتمامها بما قال، ولكنه بدا له حقيقيًا متأصلاً وليس مصطنعًا، ولشدة دهشته اكتشف أنها تعلم الكثير عن الفلاحة والأمور ذات الصلة بالمزارع، كصنع الزبد ومنتجات الحليب (اللبن)، وقد تحدثت عن مثل هذه الأشياء بنوع من الألفة. قال مبتسما:

– تصلحين لأن تكوني زوجة مزارع يا "**روزالين**". فارقت البهجة وجهها وهي تقول:

– كانت لنا مزرعة – في "**أيرلندا**" – قبل أن آتي إلى هنا.. قبل..

– قبل أن تلتحقي بالعمل بالمسرح؟ قالت بنبرة حزينة بدت له مشوبة بمشاعر الذنب:

– لم يكن هذا منذ زمن طويل جداً... أتذكر كل شيء جيداً، ثم أضافت بلهجة حيوية:

– يمكنني أن أحلب لك أبقارك يا "**رولي**"... الآن. كانت "**روزالين**" هذه مختلفة تمامًا. هل يسمح "**ديفيد هنتر**" بمثل هذه الإشارات العابرة إلى ماضٍ فلاحيٍّ؟ رأى "**رولي**" غير ذلك؛ لأن "**ديفيد هنتر**" كان يحاول الإيحاء بأنه من ملاّك الأراضي الأيرلنديين العريقين، ولكن "**رولي**" رأى أن ما أوحى به قول "**روزالين**" هو الأقرب إلى الحقيقة. حياة المزرعة البدائية، ثم إبهار المسرح، ثم الصحبة السياحية إلى جنوب "**إفريقيا**" والزواج، ثم حياة العزلة بوسط "**إفريقيا**"، والفرار، والفجوة، وأخيراً الزواج بالمليونير في "**نيويورك**". نعم، لقد قطعت "**روزالين هنتر**" شوطًا طويلاً منذ آخر مرة حلبت فيها بقرة أيرلندية من نوع الكيري، ولكن بالنظر إليها تصور أنها لم تبدأ مثل هذه الرحلة بعد. ارتسمت تلك التعبيرات البريئة غير الذكية على وجهها الأكثر لياقة بامرأة لا تاريخ ولا ماضي لها، وبدت صغيرة السن جداً – أصغر سنًا من تلك السنوات الست والعشرين. كانت لها جاذبية من نوعية خاصة.. تلك السمة المثيرة للشفقة التي للعجول الصغيرة التي كان قد ساقها في ذلك الصباح إلى القصاب. رمقها بالنظرات ذاتها التي كان قد رمق بها تلك العجول. يا لها من حيوانات بائسة صغيرة! ومن المؤسف أنها تساق إلى الذبح! لاحت في عيني "**روزالين**" نظرة جزع. سألت بعدم ارتياح:

– فيم تفكّر يا "**رولي**"؟

– هل تحبين أن تقومي بجولة تشاهدين فيها المزرعة ومعمل الحليب؟

– أحب ذلك جداً. وإذ أعجبه اهتمامها اصطحبها في جولة بجميع أرجاء المزرعة، ولكن عندما اقترح عليها في النهاية أن يعد لها قدح شاي نطقت عيناها بنظرات الجزع.

– آه. لا. أشكرك يا "**رولي**". أرى أنه من الأفضل أن أعود إلى البيت، ثم ألقت نظرة على

ساعة يدها وقالت:

– كم تأخرت! سيعود "**ديفيد**" بقطار الخامسة والثلث، وسوف يتساءل أين من الممكن ان أكون. لابد من أن أسرع في العودة، ثم أضافت بخجل:

– لقد استمتعت بوقتي معك يا "**رولي**". رأى أن تلك كانت حقيقة؛ فقد استمتعت بوقتها. استطاعت أن تكون طبيعية.. أن تكون على سجيتها الريفية البسيطة. كانت خائفة من أخيها "**ديفيد**"، هذا أمر واضح؛ لأن "**ديفيد**" هو العقل المفكّر في هذه الأسرة. على أية حال قضت بضع ساعات خارج المنزل، نعم، هذا ما كان، بضع ساعات في وقت ما بعد الظهيرة خارج المنزل؛ مثل الخادمة تمامًا! هذه السيدة الثرية أرملة "**جوردون كلود**". ارتسمت على وجهه ابتسامة كئيبة عندما كان واقفًا عند البوابة يراقبها تسرع إلى أعلى الجبل في اتجاه "**فاروبانك**". وقبل أن تبلغ المرقى مباشرة وصل إليه رجل ما – تساءل "**رولي**" عما إذا كان ذلك هو "**ديفيد**"، ولكنه كان أكبر حجمًا وأكثر بدانة. تراجعت "**روزالين**" إلى الخلف حتى تعطيه فرصة للمرور ثم تخطت المرقى برشاقة وخطواتها تكاد تكون عدوًا.

نعم. لقد قضت فترة ما بعد الظهيرة خارج البيت – و "**رولي**" أضاع ما يزيد على ساعة من وقته الثمين! حسنًا. ربما لم يضع هذا الوقت سدى، فقد بدا له أن "**روزالين**" قد أعجبت به، وربما تترتب على هذا فائدة له. إنها جميلة، نعم. والعجول الصغيرة كانت جميلة في هذا الصباح. يا لها من حيوانات صغيرة بائسة! وبينما كان واقفًا يفكّر أفزعه سماع صوت فرفع رأسه باندفاع. كان عندممر المشاة على الجانب الآخر من البوابة رجل قوي البنية يرتدي قبعة من الجوخ يحمل على كتفيه حقيبة ظهر.

– هل هذا هو الطريق إلى "**وورمزلي فيل**"؟ وبينما أطال "**رولي**" النظر إليه ردَّد الرجل السؤال، وبصعوبة استعاد "**رولي**" الذاكرة وأجابه:

– نعم. واصل السير على الممر –عبر الحقل التالي – ثم انعطف يسارًا عندما تصل إلى الطريق، وبعد ثلاث دقائق من السير تكون في القرية. كان بتلك الكلمات ذاتها قد أجاب عن هذا السؤال مئات المرات من قبل؛ إذ كان الناس يسلكون ممر المشاة عند مغادرتهم محطة القطار، ثم يواصلون الطريق إلى أعلى الجبل، ثم يعتقدون أنهم قد ضلوا الطريق عندما يهبطون على الجانب الآخر منه، ولا يروْن علامة تشير إلى الوجهة التي يريدونها؛ ذلك لأن أيكة "**بلاك ويل**" كانت تخفي "**وورمزلي فيل**" عن الأنظار؛ لأن هذه القرية كانت مختفية في شبه تجويف بحيث لم يظهر منها سوى الجزء العلوي لمنارة الكنيسة. لم يكن السؤال

التالي معتاداً جداً، ولكن "رولي" أجاب عنه بلا تفكير عميق.

- الـ "ستاج" أو الـ "بيلز آند موتلي". الـ "ستاج" ممكن وإن كان كلاهما جيداً أو سيئاً، أعتقد أنه يمكنك الحصول على غرفة بسهولة. دفعه هذا السؤال إلى أن يتأمل محدثه باهتمام أكبر؛ لأن المتبع في هذه الأيام هو أن يقوم الناس بحجز الحجرة مسبقاً بالمكان الذي يقصدونه. كان الرجل طويل القامة أسمر البشرة ذا لحية وعينين زرقاوين جداً. كان في حوالي الأربعين من العمر ولم يكن قبيح المنظر وإن بدا خشناً متهوراً بعض الشيء. ربما لم يكن وجهه مريحاً بصفة عامة. رأى "رولي" أنه - لابد - آتٍ من مكان ما عبر البحار. هل بنبرته خُنّة أهل المستعمرات أم لا؟ أثار هذا الوجه فضوله؛ إذ لم يبد له غير مألوف. أين رأى هذا الوجه أو وجهاً قريب الشبه به من قبل؟ بينما كان يحاول عبثاً حل اللغز فاجأه هذا الغريب بسؤاله:

- هل يمكنك أن تخبرني بما إذا كان في هذه الناحية منزل اسمه "فاروبانك"؟ أجابه "رولي" ببطء:

- أي. نعم. هناك فوق الجبل. لابد أنك قد مررت بمقربة منه، هذا لو كنت قد سلكت ممر المشاة من المحطة.

- نعم هذا ما فعلته، ثم استدار ونظر إلى ما فوق الجبل وقال:

- إنه هذا إذن... ذلك المنزل الأبيض الكبير الذي يبدو جديداً.

- نعم، إنه هو. قال الرجل:

- منزل كبير لابد أن إدارته وصيانته تتكلفان كثيراً. قال "رولي" محدثاً نفسه: "كثيراً جداً ومن مالنا الخاص". أنسته ثورة الغضب مدى لحظة أين كان. استعاد ذاكرته منتبهاً فجأة ليرى الرجل الغريب يتأمل المنزل القابع فوق الجبل بنظرات تقييم غريبة. سأل:

- من الذي يعيش هنا؟ هل هي سيدة باسم السيدة "كلود"؟ قال "رولي":

- هذا صحيح السيدة "جوردون كلود". رفع الرجل حاجبيه، وبدا في نظراته قدر من الرضا. قال:

- السيدة "جوردون كلود". منزل جميل جداً لها! ثم أومأ قائلاً:

- أشكرك يا صديق، ثم أصلح وضع حقيبة الظهر التي كان يحملها، وواصل السير في اتجاه "وورمزلي فيل". استدار "رولي" ببطء متجهاً إلى فناء المزرعة، ولم يزل عقله متحيراً بشأن شيء ما. أين بحق السماء سبق له أن رأى هذا الوجه من قبل؟ في حوالي التاسعة

والنصف في تلك الليلة أزاح "**رولي**" جانبا كومة من النماذج التي كانت فوق منضدة المطبخ ونهض، أخذ ينظر بذهن شارد إلى صورة "**لين**" الموضوعة فوق الرف، قطّب بعد ذلك وغادر المنزل. بعد عشر دقائق دفع باب مشرب البهو بفندق الـ "**ستاج**". حيّته "**بياتريس ليبينكوت**" بابتسامة ترحيب من خلف منضدة المشرب. كانت ترى في السيد "**رولي كلود**" رجلاً مهذبًا وسيمًا. أمام كوب من الجعة المرة تبادل "**رولي**" مع الجالسين من حوله الملاحظات المعتادة، وتناولت التعليقات غير المرضية الأداء الحكومي، وحالة الطقس، وعددًا من المحاصيل المعينة المتنوعة. استطاع "**رولي**" أن يرتفع في جلسته قليلاً، ويخاطب "**بياتريس**" بصوت خافت:

– هل لديكم نزيل غريب هنا؟ كبير الحجم وقبعة مائلة؟

– هذا صحيح يا سيد "**رولي**". حضر في حوالي الساعة السادسة. هل هو الشخص الذي تعنيه؟ أومأ "**رولي**" وقال:

– لقد مر بي بالمزرعة، وسأل عن الطريق إلى هنا.

– هذا صحيح. يبدو ذلك غريبًا.

– تساءلت عمن عسى أن يكون، ثم نظر إلى "**بياتريس**" وابتسم، وأجابت "**بياتريس**" ابتسامته بمثلها.

– هذا سهل يا سيد "**رولي**" إذا وددت أن تعرف. انحنت أسفل المشرب، وعادت حاملة سجلاً سميكا من الجلد مدونًا به أسماء النزلاء. فتحته على الصفحة التي تحمل أحدث البيانات فظهر بها الآتي:

("**إينوك آردن**". **كيب تاون**. بريطاني).

- 9 -

كان صباحًا منعشًا غردت فيه الطيور، ونزلت "**روزالين**" لتناول فطورها مرتدية ذلك الثوب الريفي الغالي الثمن تغمرها السعادة. بدا أن تلك المخاوف والشكوك التي كانت تصيبها بالكآبة قد تبددت عنها. وكان "**ديفيد**" بحالة مزاجية جيدة يضحك معها ويمازحها؛ فقد كانت رحلته إلى "**لندن**" في اليوم السابق موفقة. وكان الفطور جيد الإعداد وجيد التقديم. كانا قد انتهيا لتوهما من تناوله عندما وصل البريد. اشتمل على سبعة أو ثمانية خطابات موجهة إلى "**روزالين**".. تتضمن عددًا من الفواتير، وطلبات التبرع للأعمال الخيرية، وبعض

الدعوات إلى مناسبات محلية، ولا يوجد شيء ذو أهمية معينة. وضع "**ديفيد**" بعض الفواتير جانبًا ثم فتح الظرف الثالث. كان الخطاب مثل الظرف الخارجي مكتوبًا بأحرف مطبوعة:

"عزيزي السيد "**هنتر**". أرى أنه من الأفضل الاتصال بك بدلا من شقيقتك السيدة "**كلود**" تحسبًا لأن تكون محتويات هذه الرسالة بمثابة صدمة لها. الموضوع باختصار أن لديَّ أخبارًا عن النقيب "**روبرت أندرهيي**" ربما يسعدها أن تعرفها. أنا نزيل بفندق "**ستاج**"، فإذا زرتني هناك هذا المساء فسوف يسعدني الحديث عن الموضوع معك.."

المخلص

"إينوك آردن"

كان صوتًا مختنقًا ذلك الذي خرج من حنجرة "**ديفيد**". رفعت "**روزالين**" بصرها نحوه مبتسمة ثم تغيرت تعبيرات وجهها إلى الجزع وقالت:

- "**ديفيد**".. "**ديفيد**".. ما الخطب؟ قدم إليها الخطاب دون أن ينطق بشيء. أخذته من يده وقرأته، وقالت:

- ولكنني لا أفهم يا "**ديفيد**" ما يعنيه هذا.

- يمكنك أن تقرئي. أليس كذلك؟ رفعت نحوه نظرات تدل على الخوف الشديد وقالت:

- "**ديفيد**"، هل هذا يعني.. ماذا عسانا أن نفعل؟ كان "**ديفيد**" مقطّبًا، يخطط بسرعة بذهنه السريع البعيد النظر. وقال:

- لا بأس يا "**روزالين**". لا حاجة إلى الجزع. سأتعامل أنا مع الموقف..

- لكن هل هذا يعني أن..

- لا داعي إلى القلق يا عزيزتي. اتركي الأمر لي. اسمعي، هذا ما ينبغي لك أن تفعليه. أعدّي حقيبة على الفور وارحلي إلى "**لندن**". اذهبي إلى الشقة هناك وابقيْ هناك حتى أتصل بك. أتفهمين؟

- نعم، نعم أفهم بالتأكيد، لكن يا "**ديفيد**"..

- افعلي ما أخبرتك به وحسب، ثم ابتسم لها وبدا حانيًا موحيًا بالطمأنينة، واستطرد يقول:

- اذهبي وأعدّي الحقيبة، سأقوم بتوصيلك إلى محطة القطار بالسيارة. بإمكانك اللحاق

بقطار العاشرة واثنتين وثلاثين دقيقة. أخبري بوّاب العمارة بأنك لا ترغبين في استقبال أحد وأنه إذا جاء أحد وطلب مقابلتك فليخبره بأنك خارج المدينة. أعطيه جنيهًا. أتفهمين؟ لايجب أن يسمح لأي أحد بالصعود إليك باستثنائي أنا.

– أوه! ارتفعت يداها إلى وجنتيها، ورمقته بعينين جميلتين ملؤهما الخوف.

– كل شيء على خير ما يرام يا "**روزالين**". ولكن الوضع شائك بعض الشيء ولست مؤهلة لمثل هذه المواقف. هذا ما أراه. لهذا أريدك بعيدة عن مسرح الأحداث حتى يكون لي مطلق الحرية. هذا كل ما في الأمر.

– ألا يمكنني البقاء هنا يا "**ديفيد**"؟

– لا، لا يمكنك إطلاقًا. تعقلّي. لابد من أن يكون لي كامل الحرية حتى يمكنني التعامل مع هذا الرجل أيًّا كان.

– هل تعتقد أنها.. أنها... قال بنبرة تأكيد:

– لا أعتقد شيئًا في هذه اللحظة. أول ما ينبغي هو أن أبعدك عن هنا، يمكنني بعد ذلك أن أتبين ماهية الموقف. هيا، أيتها الفتاة المطيعة. وبلا جدال، استدارت وغادرت الحجرة. نظر "**ديفيد**" مقطبًا إلى الخطاب الذي بيده. لالبس فيه تمامًا، مهذب، أسلوب رائع، قد يعني شيئًا ما. ربما يكون همًّا حقيقيًّا في موقف صعب. ربما يكون تهديداً مقنَّعًا. ظل يطالع عبارات الخطاب مرة تلو الأخرى: "لديَّ أخبار عن النقيب "**روبرت أندرهيي**"... من الأفضل الاتصال بك..."سوف يسعدني الحديث عن الموضوع معك"... " (السيدة "**كلود**") " اللعنة على كل هذا. لم يحببْ تلك الأقواس المحيطة بالاسم (السيدة "**كلود**"). ألقى نظرة على التوقيع. "**إينوك آردن**". تولّد شيء ما بذهنه، ذكرى شعرية ما.. شطرة شعرية. عندما دخل "**ديفيد**" بهو الـ"**ستاج**" في ذلك المساء لم يكن هناك – كالمعتاد – اي إنسان به. باب إلى اليسار مكتوب عليه: "حجرة تناول القهوة"، وآخر إلى اليمين كتب عليه: "استراحة"، وباب ثالث أبعد قليلاً كتب عليه بوضوح: "للنزلاء فقط". كان هناك ممر إلى اليمين يؤدي إلى المشرب أمكن منه سماع همهمة أصوات خافتة، وحجيْرة زجاجية كتب عليها: "مكتب"، وعلى جانب نافذتها المنزلقة يوجد زر جرس. في بعض الأحيان – كما كان "**ديفيد**" يعلم من واقع خبرته – كان ينبغي أن يضغط المرء على الزر أربع أو خمس مرات قبل أن يتنازل أحد ويأتي للرد عليه. وباستثناء فترات الوجبات الوجيزة كان بهو الـ"**ستاج**" مهجوراً مثل جزيرة "**روبنسون كروزو**". في هذه المرة أتت ضغطة "**ديفيد**" الثالثة

على زر الجرس بالآنسة "**بياتريس ليبينكوت**" إلى الممر من المشرب ويدها تربت شعرها الذهبيّ بتسريحة (البومبادور) لتعيده إلى سابق وضعه. دخلت الحجيْرة الزجاجية وحيته بابتسامة رشيقة.

– مساء الخير يا سيد "**هنتر**"، طقس بارد لهذا الوقت من العام. أليس كذلك؟

– بلى. اعتقد ذلك. هل لديكم نزيل اسمه السيد "**آردن**"؟

– دعني أرى. وتظاهرت الآنسة "**ليبينكوت**" بعدم العلم وهو إجراء تتبعه دائمًا على أنه يعطي اهمية أكبر للفندق، ثم قالت:

– أي نعم. السيد "**إينوك آردن**". حجرة رقم 5 بالطابق الأول. موقعها واضح يا سيد "**هنتر**". اعلى الدرج، ولا تذهب بمحاذاة المعرض، ولكن انعطافًا إلى اليسار وهبوطًا لثلاث درجات. بعد اتباع هذه التوجيهات المعقدة قرع "**ديفيد**" باب الحجرة رقم 5، فسمع صوتًا يقول:

– ادخل. دخل وأغلق الباب من خلفه. وعندما غادرت "**ليبينكوت**" المكتب نادت:

– "**ليلي**" ولبّت فتاة غُدّية مقهقهة ذات عينين باهتتين النداء، وقالت لها:

– هل يمكنك أن تحلي محلي قليلاً يا "**ليلي**"؟ أريد أن أدبّر عددًا من أغطية الفراش. وأجابت الفتاة مقهقهة:

– نعم يا آنسة "**ليبينكوت**"، ثم اضافت متنهدة بصوت مسموع:

– أرى أن السيد "**هنتر**" وسيم جدًا. الا تعتقدين ذلك؟ فأجابتها الآنسة "**ليبينكوت**" بنبرة مثقلة بهموم العالم:

– رأيت كثيرين من أمثاله في الحرب: طيارين شبّانًا وما إلى ذلك من القاعدة الحربية. ولم يمكنّي قط التأكد من هويتهم. كان لهم أسلوبهم في التضليل، ولكنني غريبة في هذا الصدد يا "**ليلي**". فما احبه هو الرُقيّ. أريد الرقي على طول الخط. ما أريد قوله هو أن السيد سيد حتى لو كان يقود جرّارًا زراعيًا. وإذ انتهت "**بياتريس**" من قول هذه العبارة المبهمة تركت "**ليلي**" وتوجهت إلى الدرج.

بداخل الحجرة رقم 5 توقف "**ديفيد هنتر**" عن السير عبر الباب مباشرة، وأخذ ينظر إلى الرجل الذي كان قد وقّع الرسالة باسم "**إينوك آردن**". يبدو في أربعينياته، معانيًا في الحياة قليلاً.. إشارة إلى تمرّسه في الحياة.. شخصية صعبة المراس على وجه العموم. كان هذا هو تقييم "**ديفيد**" للرجل. إضافة إلى ذلك لم يكن من السهل سبر غوره. جواد أسود. قال "**آردن**":

- مرحبًا . . . أنت "**هنتر**" ؟ حسنًا، اجلس، ماذا تشرب؟ ويسكي؟لاحظ "**ديفيد**" أن الرجل قد وفر لنفسه أكبر قدر من الراحة : عدداً من الزجاجات، وناراً بالمدفأة في تلك الأمسية الباردة من فصل الربيع. الملابس ليست وفق الطراز الإنجليزي، ولكنه كان يرتديها بأسلوب الإنجليز. وكان الرجل في عمر متوسط أيضًا. قال "**ديفيد**" :

- شكرًا. وأخذ قليلاً من الشراب.

- قل متى أتوقف.

- كفى. قليل من الصودا. كانا مثل كلبين يتناوران على موضع - يدور كل منهما حول الآخر مشدود الظهر مرفوع الشعر مستعداً للصداقة أو متأهبًا للشجار. تبادلا نخبيهما ووضعا كاسيهما فوق المنضدة واسترخيا قليلا، وبذلك انتهت الجولة الأولى. قال الرجل الذي قال عن نفسه إنه "**إينوك آردن**" :

- هل دهشت لتلقي خطابي؟ وقال "**ديفيد**" :

- صراحة، لا أفهم منه شيئًا.

- لا. لا. لا - حسنا - ربما لم تفهم. فقال "**ديفيد**" :

- ما فهمته هو أنك كنت تعرف "**روبرت أندرهيي**" ، الزوج الأول لشقيقتي. قال "**آردن**" مبتسما، وهو ينفخ سحاب الدخان بارتياح إلى أعلى في الهواء:

- نعم عرفت "**روبرت**" جيداً. ربما كما يمكن لأي إنسان أن يعرفه. لم تلتق أنت به قط، أليس كذلك؟

- بلى، لم ألتق به.

- ربما كان هذا أفضل. سال "**ديفيد**" بنبرة حادّة:

- ما الذي تعنيه بهذه العبارة؟ وأجاب "**آردن**" بارتياح:

- يا عزيزي الفاضل - هذا يجعل الأمور أكثر يسراً بكثير - هذا كل ما في الأمر: أعتذر عن طلبي إليك المجيء إلى هنا؛ ولكنني رأيت أنه من الأفضل أن أجعل.. ثم توقف قليلاً وعاد يكمل حديثه:

- "**روزالين**" خارج الموضوع برمته، فلا داعي إلى تعريضها لآلام لا داعي إليها.

- هل يضايقك الدخول في الموضوع مباشرة؟

- بالتأكيد - بالتأكيد - حسنا الآن. هل شككت قط - كيف نقول هذا - في أنه كان

هناك أي شيء.. حسنا.. مشكوك في صحته بشأن وفاة "**أندرهيي**"؟

– ما الذي تعنيه بحق السماء؟

– حسنًا، كان لـ "**أندرهيي**" أفكار غريبة. ربما كانت بدافع الشهامة، وربما كانت لسبب مختلف تماماً، ولكن لننقل هذا: عند مرحلة معينة منذ بضع سنوات كانت هناك مميزات معينة يتمتع بها "**أندرهيي**" لدى اعتباره متوفًّى. كان له أسلوبه المتفرِّد في التعامل مع الأهالي وكيفية توجيههم، وكان ناجحًا معهم دائمًا. لم يجد صعوبة في إطلاق شائعة عن قصة محتملة الحدوث وترويجها بكل ما يتصل بها من تفاصيل مؤيدة، وكل ما كان على "**أندرهيي**" أن يفعله هو أن يظهر في مكان آخر على بعد مائة وستين كيلومترًا أو نحو ذلك – باسم جديد. قال "**ديفيد**":

– يبدو هذا لي افتراضًا خياليًّا إلى أبعد الحدود، وأجاب "**آردن**" مبتسمًا:

– حقيقة؟ هل يبدو لك كذلك؟ ثم انحنى نحو الأمام وربت ركبة "**ديفيد**" وقال:

– ولو افترضنا صحة ذلك يا "**هنتر**"؟ لو افترضنا أنه صحيح؟

– أطلب في هذه الحالة الدليل القاطع الذي يؤكده.

– تطلب ذلك؟ حسنا، ولك كل الحق. لكن هناك دليلاً واحدًا أكثر من قاطع: من الممكن أن يأتي "**أندرهيي**" إلى هنا بنفسه ويظهر هنا في "**وورمزلي فيل**". ما رأيك في هذا من قبيل الدليل؟ فقال "**ديفيد**" بنبرة جافة:

– سيكون حاسمًا على الأقل.

– أي نعم. حاسم، ولكنه مُخجل قليلاً أعني للسيدة "**جوردون كلود**"؛ لأنه عندئذ لن تكون السيدة "**جوردون كلود**". وضع غريب! ينبغي أن تعترف بأنه وضع غريب قليلاً! قال "**ديفيد**":

– تزوجت شقيقتي للمرة الثانية بحسن نية مكتمل.

– هذا صحيح بكل تأكيد يا عزيزي، وهذا ما فعلته، ولا أناقش هذا ولا لثانية واحدة، وأي قاضٍ سيقول هذا، لا لوم فعليٌّ من الممكن أن ينسب إليها. قال "**ديفيد**" بنبرة حادة:

– قاضٍ؟ وقال "**آردن**" وكأنه معتذر:

– اتجه ذهني إلى المضارَّة. سأله "**ديفيد**" بضراوة:

– ما الذي تحاول الوصول إليه؟

– الآن لا تنزعج يا صديقي، كل ما أريده هو أن نتعاون معًا، ونفكر فيما هو الأفضل

لعمله - الأفضل لشقيقتك، هذا ما أعنيه. لا أحد يريد قذارة التشهير. كان "**أندرهيي**" رجلاً شهمًا دائمًا.. توقف "**آردن**" لحظة، ثم أضاف قائلا:

- ولا يزال. سأله "**ديفيد**" بنبرة حادة:

- ولا يزال؟

- هذا ما قلته.

- تعني أن "**روبرت أندرهيي**" على قيد الحياة؟ وأين هو حاليًّا؟ انحنى "**آردن**" نحو الأمام وتحول صوته إلى الحميمية وقال:

- هل تريد بحق أن تعرف يا "**هنتر**"؟ أليس من الأفضل ألا تعرف؟ لنسرد الموضوع كالآتي: على حدِّ علمك وعلى حدّ علم "**روزالين**" تُوفي "**أندرهيي**" في "**إفريقيا**". حسن جدًّا، وإذا كان "**أندرهيي**" حيًّا فإنه لا يعلم أن زوجته قد تزوجت ثانية، وليست لديه أدنى فكرة عن ذلك؛ لأنه - بالتأكيد - لو علم لكان قد اتى، و"**روزالين**" قد ورثت مالاً وفيرًا من زوجها الثاني، ولكن إذا لم يكن "**جوردون**" زوجها على الإطلاق فعندئذ لا يكون لها الحق في أدنى قدر من ماله. "**أندرهيي**" رجل سامي الحس فيما يتصل بالشرف ولا يحب لها أن ترث ثروة بناء على ادعاءات زائفة.. توقف قليلاً، ثم أضاف قائلا:

- لكن من الممكن بالتأكيد ألا يكون لدى "**أندرهيي**" علم بزواجها الثاني، فهو بحالة يرثى لها، ذلك المسكين بحالة يرثى لها.

- ما الذي تعنيه بقولك إنه بحالة يرثى لها؟ هزّ "**آردن**" رأسه بأسى وقال:

- انهيار صحي، وهو يحتاج إلى رعاية طبية، وإلى أساليب علاج معينة، وجميعها لسوء الحظ باهظة التكلفة، خرجت الكلمتان الأخيرتان من بين شَفتيه برقة بالغة كما لو كانتا لتضما إلى فئة خاصة بهما. كانتا هما الكلمتان اللتان ظل "**ديفيد هنتر**" ينتظرهما دون تركيز. قال:

- باهظة التكلفة؟

- نعم. لسوء الحظ إن كل شيء أصبح مكلّفًا، و "**أندرهيي**" المسكين معدم تمامًا. ليس له سوى ما يرتديه. على مدى لحظة مسحت عينا "**ديفيد**" الحجرة. لاحظ وجود حقيبة الظهر المعلقة على المقعد. لم يكن هناك وجود لحقيبة الملابس. قال "**ديفيد**" بنبرة غير سارة:

- إنني أتساءل عما إذا كان "**روبرت أندرهيي**" هو بحق ذلك الرجل الشهم الذي تصوّره لي. وقال "**آردن**" مؤكّدًا:

– كان كذلك بالفعل في وقت ما، ولكن الحياة كما تعلم من الممكن ان تغيِّر من طبيعة الإنسان. توقف قليلاً، ثم أضاف قائلا بصوت خافت:

– كان "جوردون كلود" رجلاً ثريًّا إلى الحد الذي عنده لا يصدَّق. ومشهد الثراء الفاحش يثير في الإنسان ادنى غرائزه. نهض "ديفيد هنتر" قائلا:

– عندي لك إجابة: اذهب إلى الجحيم! لم يضطرب "آردن" على الإطلاق بل قال مبتسمًا:

– نعم. توقعت منك ذلك.

– أنت مبتزّ لعين، لا أكثر ولا اقل. لي عقل راجح تفهمت به حيلتك.

– هل أنشر الخبر وتحل بي اللعنة؟ مشاعر جميلة. ولكن لن يروق لك لو أنني "نشرت" الخبر، ولا يعني هذا أنني سوف اعلنه إذا لم تشتر بضاعتي؛ لأن لي سوقًا أخرى.

– ماذا تعني؟

– آل "كلود". لنفترض أنني اذهب إليهم قائلا:

– "عفوًا، لكن هل يهمكم ان تعرفوا أن المرحوم "روبرت أندرهيي" حيّ يرزق؟" ماذا يارجل. سوف يرقصون فرحًا! قال "ديفيد" بازدراء:

– لن تحصل منهم على شيء. إنهم مفلسون.

– آه. لكن هناك ما يعرف بترتيبات العمل التي يُدفع بمقتضاها مبلغ معين نقدًا في اليوم ذاته الذي يثبت فيه أن "أندرهيي" على قيد الحياة وأن السيدة "جوردون كلود" لا تزال السيدة "روبرت أندرهيي"، وأنه بناء على ذلك تكون وصية "جوردون كلود" التي كتبها قبل الزواج سارية المفعول أمام القانون. صمت "ديفيد" لبضع دقائق معدودة، ثم سأل بعد ذلك صراحة:

– كم؟ وجاءت الإجابة بذات القدر من الصراحة:

– عشرون ألفًا.

– أمر مفروغ منه! شقيقتي لا يمكنها المساس بمبلغ الإرث. إنها تحصل فقط على عائده مدى حياتها.

– عشرة آلاف إذن. يمكنها تدبير هذا المبلغ بسهولة. لديها مجوهرات. أليس كذلك؟ جلس "ديفيد" صامتًا، ثم قال على غير ما كان متوقعًا:

– وهو كذلك. بدا "آردن" متحيرًا على مدى لحظة. بدا وكان سهولة انتصاره قد أذهلته. قال:

– لا شيكات. الدفع نقداً وعداً.

– ينبغي أن تمنحنا فرصة لتدبير المبلغ.

– أعطيك ثماني وأربعين ساعة.

– ليكن موعدنا يوم الثلاثاء المقبل.

– لا بأس. تأتي بالمبلغ إلى هنا، ثم أضاف قبل أن يقول **"ديفيد"** شيئًا:

– ولن التقيك في أيكة معزولة أو على شاطىء نهر مهجور، فلا تفكر في شيء كهذا. تأتي بالمبلغ إلى هنا – الـ **"ستاج"** – في التاسعة من مساء الثلاثاء القادم.

– أنت من النوعية المرتابة. ألست كذلك؟

– أعرف كيف أحمي نفسي، وأعرف أمثالك.

– كما قلت إذن. غادر **"ديفيد"** الحجرة ونزل الدرج ممتقع الوجه لشدة الغضب. عندئذ خرجت **"بياتريس ليبينكوت"** أيضًا من الحجرة رقم 4. كان هناك باب موصِّل ما بين الحجرتين رقميْ 4 و 5 على الرغم من عدم إمكان شاغل الحجرة رقم 5 ملاحظة وجود هذا الباب؛ لأن خزانة ملابس عملاقة كانت تقف أمامه مباشرة وتخفيه تمامًا. كانت وجنتا **"بياتريس ليبينكوت"** متوردتين وعيناها لامعتين بفعل إثارة سارة. رفعت يداً مرتعشة إلى شعرها ورتبت بها تسريحتها الأنيقة.

– 10 –

كانت **"شيردز كورت – ميي فير"** عمارة سكنية ضخمة تشتمل على عدد كبير من الشقق الفاخرة. على الرغم من أن دمار العمليات العدوانية لم يلحق بها أذًى إلا انه لم يتسنَّ لها الاحتفاظ تماما بمستواها السابق على الحرب. لم تزل هناك الخدمات وإن لم تكن على الصعيد المرجوّ، فحيث كان هناك اثنان من البوابين في زيّ رسميّ لم يصبح هناك الآن سوى بواب واحد فقط. لم يزل المطعم يقدم الوجبات، ولكن باستثناء الفطور لم تقدم الوجبات بالشقق. كانت الشقة المستأجرة بواسطة السيدة **"جوردون كلود"** بالطابق الثالث تتألف من حجرة معيشة تشتمل على مشرب مبيَّت بها وحجرتيْ نوم ذواتي خزائن ملابس مبيَّتة بهما أيضًا، وعلى حمام فاخر لامع البلاط والأدوات المعدنية. كان **"ديفيد"** يذهب ويجيء بحجرة المعيشة بينما جلست **"روزالين"** فوق أريكة كبيرة مربعة الطرفين تراقبه. بدت شاحبة

الوجه جزعة. قال متمتماً:

ـ ابتزاز! ابتزاز! يا إلهي! هل أنا من النوعية التي تسمح بان يبتزها أحد؟ هزت رأسها متحيرة مضطربة. قال **"ديفيد"**:

ـ لو كنت أعلم... لو كنت فقط قد علمت! انطلق من **"روزالين"** نشيج خافت. واستطرد هو يقول:

ـ إنه العمل في الظلام... العمل وعيوننا معصوبة، ثم التفت نحوها فجاة وسأل:

ـ هل أخذت ذلك الزمرد إلى **"كريتوريكس"** في **"بوند ستريت"**؟

ـ نعم.

ـ كم؟ أجابت **"روزالين"** بصوت مختنق:

ـ أربعة آلاف. أربعة آلاف جنيه. قال إنه لابد من التامين عليها في حالة عدم بيعي إياها.

ـ نعم. فقد تضاعفت قيمة الأحجار الكريمة. حسنا، يمكننا تدبير المبلغ، ولكن حتى لو أمكننا فهذه ليست سوى البداية، بمعنى أننا سوف نُستنزف حتى الموت، نُستنزف يا **"روزالين"**، نُستنزف حتى آخر قطرة! صاحت:

ـ آه! لنغادر **"إنجلترا"**، لنبتعد عن هنا. الا يمكننا ان نذهب إلى **"أيرلندا"**، أو **"أمريكا"**، أو أي مكان في العالم؟ استدار ونظر إليها وقال:

ـ لست محاربة يا **"روزالين"**، شعارك اللوذ بالفرار، أليس كذلك؟ قالت باكية:

ـ إننا مخطِئان، كل هذا خطأ وشر بشع.

ـ لا تتظاهري أمامي بالتقوى في هذه اللحظة! لا يمكنني أن أحتمل. كنا على أفضل حال يا **"روزالين"**. للمرة الأولى في حياتي عشت حياة الترف والنعيم، ولن أسمح بأن يضيع مني كل هذا. هل تسمعين؟ لو لم يكن هذا القتال في الخفاء. أنت تفهمين. أليس كذلك؟ إن الأمر كله قد يكون خدعة لا أكثر. من المحتمل أن يكون **"أندرهيي"** راقداً في أمان تحت الثرى في **"إفريقيا"** كما كنا نعتقد دائماً. ارتعشت وقالت:

ـ كفى يا **"ديفيد"**، إنك تخيفني. نظر إليها ورأى الخوف واضحاً على وجهها فتغير أسلوبه على الفور. أقبل إليها وجلس إلى جوارها وأخذ يديها الباردتين في يديه. قال:

ـ ليس لك أن تهتمي. اتركي الأمر برمته لي، وافعلي ما أطلبه منك. هذا يمكنك. أليس كذلك؟ كل ما عليك هو أن تنفذي ما أطلبه منك بكل دقة.

ـ هذا ما أفعله دائماً يا **"ديفيد"**. ضحك وقال:

– نعم. هذا صحيح. سنخرج من هذا المأزق بسهولة تامة، فلا تخافي، سوف أتوصل إلى وسيلة أسحق بها هذا الرجل "**إينوك آردن**".

– ألم تكن هناك قصيدة يا "**ديفيد**" تروي قصة رجل عائد من.. قاطعها قائلا:

– نعم. هذا بالضبط ما يزعجني، ولكنني سوف أتوصل إلى أصل الموضوع. سألت:

– في مساء الثلاثاء تذهب إليه بالمبلغ؟ أومأ قائلاً:

– خمسة آلاف، سأخبره بأنه لا يمكنني تدبير بقية المبلغ في الوقت الحالي، ولكن لابد من أن أمنعه من الوصول إلى آل "**كلود**". أعتقد أنه قد لوَّح بذلك من قبيل التهديد، ولكن ليس باستطاعتي أن أقطع بذلك. توقف عن الحديث وأصبحت عيناه حالمتين ونظراتهما بعيدة ومن خلفهما كان عقله يعمل ويفكر في الإمكانات ويرفض الاحتمالات. ضحك بعد ذلك وجاءت ضحكته لا مبالية فرحة. كان هناك رجال – هم الآن أموات – يمكنهم معرفة مغزاها. كانت ضحكة رجل مقدم على عمل خطير وعشوائي، ينطوي على استمتاع وتحدٍّ. قال:

– يمكنني أن أثق بك يا "**روزالين**"، وأحمد الله على ثقتي الكاملة بك! رفعت إليه عينيها الواسعتين الجميلتين وقالت:

– تثق بي؟ ماذا تقول؟ ابتسم ثانية وقال:

– أثق بأن تفعلي ما يطلب منك بدقة. هذا يا "**روزالين**" هو سر نجاح العملية، ثم ضحك قائلاً:

– عملية "**إينوك آردن**".

- 11 -

فتح "**رولي**" الظرف البنفسجي الكبير بقدر من الدهشة. تساءل مَنْ من الممكن أن يكون قد كتب إليه مستخدمًا مثل هذه الأدوات المكتبية الفاخرة؟ وكيف أمكنه الحصول عليها أساسًا؟ فهذه الأشياء الجميلة تلاشت مع قيام الحرب. قرأ:

"عزيزي السيد "**رولي**"

أرجو ألا تعتبر كتابتي إليك بهذه الصورة سماحًا لنفسي بمخاطبتك هكذا، ولكنني أعتقد أن أمورًا معينة تجري، وينبغي أن تكون على علم بها، هي ذات صلة بالحوار الذي دار بيننا في تلك الأمسية التي حضرت فيها، وسألت عن شخصية معينة. إذا أمكنك الحضور إلى الـ "**ستاج**" فسوف يسرني أن أخبرك بكل ما لديّ. جميعنا قد شعر بذلك الخجل المزري

لوفاة عمك وذهاب ثروته إلى حيث ذهبت. أرجو ألا تكون مراسلتي قد أغضبتك، وأؤكد لك اعتقادي أنك لابد أن تكون على علم بما يجري حاليًّا".

المخلصة

"بياتريس ليبينكوت"

أخذ "رولي" يدقق النظر إلى هذه الرسالة الخطية، وعقله مشغول بما تعنيه. ماذا عسى أن يكون الأمر؟ "بياتريس" المخلصة هذه، لقد عرفها طوال حياته، وكان يشتري التبغ من متجر والدها، وكثيراً ما قضى أوقات النهار معها خلف منضدة المتجر. كانت فتاة جميلة. تذكر أنه قد سمع عنها – وهو طفل – شائعات في أثناء غيابها عن "وورمزلي فيل". كانت قد غابت مدة عام، وقال كثيرون إنها قد ذهبت إلى بلد بعيد لتضع مولوداً غير شرعي. ربما تكون قد وضعت مثل هذا المولود وربما لم تضعه، ولكن الأمر المؤكد أنها محترمة ومهذبة في الوقت الحاليّ. كثيرة الكلام والضحك نعم، ولكنها ملتزمة بأسباب اللياقة واصولها إلى حدٍّ كبير. نظر "رولي" إلى ساعة الحائط، وقرر الذهاب إلى ذلك الفندق على الفور، وإلى الجحيم بكل هذه النماذج. أراد أن يعرف ما كانت "بياتريس" حريصة على أن تخبره به. كان هناك بعد الثامنة بقليل، دفع باب مشرب البهو ففتحه. جرت هناك التحيات المعتادة: "مساء الخير ياسيدي" وتوجه "رولي" إلى المشرب حيث طلب مشروبا، وابتسمت "بياتريس" له قائلة:

– إني سعيدة برؤيتك يا سيد "رولي".

– مساء الخير يا "بياتريس"، أشكرك على رسالتك. رمقته بنظرة سريعة وقالت:

– سأكون معك في خلال دقيقة يا سيد "رولي". أومأ، ثم تناول مشروبه متأملاً، وهو يراقب "بياتريس" تقدم الطلبات للزبائن. نادت من فوق كتفها فأسرعت الفتاة "ليلي" إليها لتحل محلها. وقالت "بياتريس" متمتمة:

– تعالَ معي يا سيد "رولي". تقدمته على أحد الممرات وإلى باب مكتوب عليه "خصوصي". كانت الحجرة بالداخل صغيرة كثيرة الأثاث والمفروشات. احتوت عدداً من المقاعد الفاخرة وجهاز راديو ثميناً وعدداً كبيراً من قطع الزينة المصنوعة من الصيني، ودمية قديمة تمثل مهرِّجًا ملقى بها فوق المسند الخلفي لأحد المقاعد. أغلقت "بياتريس" المذياع، وأشارت لـ "رولي" إلى أحد المقاعد الفاخرة وقالت:

– أسعد دائمًا بمجيئك يا سيد "رولي"، وأرجو ألا تكون كتابتي إليك قد سببت لك إزعاجًا، ولكنني ظللت أقلب الأمر في رأسي طوال عطلة الأسبوع. وكما قلت شعرت

بضرورة أن تعرف ما يجري. بدت سعيدة مستشعرة أهميتها وراضية عن نفسها تمامًا. سأل "رولي" بقدر من الفضول:

– وما ذلك الذي يجري؟

– حسنا يا سيد "رولي"، ذلك السيد النزيل لدينا، السيد "آردن" الذي جئت واستفسرت عنه.

– نعم؟

– في الليلة التالية مباشرة حضر السيد "هنتر" وسأل عنه.

– السيد "هنتر"؟ اعتدل "رولي" في جلسته وبدا عليه الاهتمام الشديد. وقالت:

– نعم يا سيد "رولي"، قلت له "رقم 5" وأومأ السيد "هنتر" وتوجه إليه مباشرة. أخذتني الدهشة، لابد من أن أذكر هذا؛ لأن السيد "آردن" لم يكن قد ذكر أنه يعرف أي إنسان في "وورمزلي فيل"؛ وبناء على ذلك اعتبرته غريبًا عن هذا المكان ولا يعرف أحدًا فيه. بدا السيد "هنتر" منحرف المزاج تمامًا كما لو كان شيء ما قد حدث وأغضبه، ولكنني لم أستنتج من ذلك شيئًا آنذاك. توقفت لتلتقط أنفاسها، ولم يقل "رولي" شيئًا، بل ظل في حالة إصغاء. فلم تكن من سماته الضغط على أحد لاستكمال الحديث، فإذا ارتأوْا التروّي فلا بأس لديه من ذلك. استطردت "بياتريس" بزهو قائلة:

– بعد ذلك بفترة وجيزة جدًا اضطرتني ظروف العمل إلى الصعود إلى الحجرة رقم 4؛ لأخذ عدد من المناشف وأغطية الفراش. وهي الحجرة المجاورة للحجرة رقم 5. وهناك باب فاصل ما بين هاتين الحجرتين، لا يمكن رؤيته من الحجرة رقم 5؛ لأن خزانة ملابس عملاقة تخفيه عن العيون تمامًا بحيث لا يمكن معرفة وجود ذلك الباب. ويُحتفظ به مغلقًا دائمًا بالتأكيد، ولكن حدث في تلك الليلة أنه كان قد تُرك مفتوحًا قليلاً، وإن كنت لا أعرف من الذي فعل ذلك! ومرة أخرى لم يقل "رولي" شيئًا واكتفى بأن أومأ. رأى أنه لابد من أن تكون "بياتريس" هي التي فتحته، فبدافع من فضولها تعمّدت دخول الحجرة رقم 4 لتكتشف ما يمكنها اكتشافه.

– وبذلك يا سيد "رولي"، لم يسعني سوى أن أسمع ما كان يجري. وذهلت لما سمعت. أصغى "رولي" وقد بدا على وجهه عدم الاهتمام بل عدم الإحساس إلى الحد الذي عنده صار متبلدًا إلى رواية "بياتريس" الدقيقة عن الحوار الذي سمعته، وعندما أنهت حديثها انتظرت آملة. عاد "رولي" من غشيته بعد ما لا يقل عن دقيقتين كاملتين، ثم نهض قائلا:

– أشكرك يا "بياتريس"، أشكرك جزيل الشكر. وعندما قال ذلك خرج من الحجرة على الفور. أحست "بياتريس" بقدر من الضآلة. إذ كانت تظن أن السيد "رولي" سيقول شيئا.

- 12 -

عندما غادر "رولي" الـ "ستاج" اتجهت خطواته لا إراديًا إلى البيت، لكن بعدما قطع مسافة بضعة أمتار توقف تمامًا وعاد أدراجه. كان ذهنه بطيء الاستيعاب، وكانت دهشته الأولى إزاء ما سمع، وما كشفت "بياتريس" عنه قد بدأت الآن فقط تتحول إلى تقييم حقيقي لما يعنيه. لو كانت روايتها عما سمعت صادقة – ولم يكن لديه أدنى شك في صحتها من حيث الجوهر – يكون بذلك قد نشأ موقف يهم كل فرد في عائلة "كلود" ويعنيه عن قرب، وكان واضحًا أن الشخصية الأكثر أهلية للتعامل مع هذا الموقف هو "جيريمي" عم "رولي". فحيث إن "جيريمي كلود" محامٍ فإنه يعرف كيفية الاستفادة من هذه المعلومة المذهلة، ويعرف الخطوات الواجب اتخاذها على وجه التحديد، وعلى الرغم من أن "رولي" كان توّاقًا إلى التصرف بنفسه في هذا الموضوع إلا أنه تبين بقدر من الحقد أنه من الأفضل بكثير أن يضع الأمر بين يديْ محامٍ محنّك ذي خبرة في هذا المجال، وأنه كلما أسرع بإحاطة "جيريمي" علمًا بهذه المعلومة كان أفضل، وبناء على ذلك وجّه "رولي" خطاه صوب منزل "جيريمي" في الـ "هاي ستريت". أخبرته الخادمة الصغيرة التي فتحت له الباب بأن السيد "جيريمي" وزوجته لم يزالا على مائدة العشاء، وعرضت عليه الدخول إليهما هناك، ولكن "رولي" رفض ذلك وأخبرها بأنه يفضل الانتظار بحجرة مكتب "جيريمي" حتى ينتهيا من تناول العشاء. أراد ألا يتحدث عن هذا الموضوع في حضور "فرانسيس"؛ لأنه رأى أنه كلما قل عدد المطلعين على الموضوع كان هذا أفضل إلى حين الاستقرار على برنامج العمل الذي سوف يتبعونه. أخذ يتجول بقلق ذهابًا وإيابًا في حجرة مكتب "جيريمي". كان فوق المكتب صندوق بريد من الصفيح مكتوب عليه: "المرحوم السير "وليم جيسامي"". وكان فوق الأرفف مجموعة من المجلدات القانونية. وكانت هناك أيضًا صورة فوتوغرافية لـ "فرانسيس" في ثوب سهرة وأخرى لوالدها اللورد "إدوارد ترينتون" في حلة ركوب الخيل، وعلى المكتب كانت صورة فوتوغرافية لشاب في الزيّ العسكريّ – هو "أنتوني" ابن "جيريمي" الذي قُتل في الحرب. أجفل "رولي" وحوّل بصره إلى اتجاه آخر. جلس فوق المقعد وأخذ يتأمل صورة اللورد "إدوارد ترينتون" بدلاً من الصورة الأخرى. في حجرة المائدة سألت "فرانسيس" زوجها:

– إنني أتساءل عما يريد "رولي" . فقال "جيريمي" مهمومًا:

– ربما يكون قد أضل بإحدى التنظيمات الحكومية. ولا مزارع يفهم أكثر من ربع ما تحتويه هذه النماذج المطلوب منهم استيفاؤها. و "رولي" يقظ الضمير ويصيبه القلق بسرعة. وقالت "فرانسيس" :

– إنه ظريف، ولكنه بطيء جدًا. يخيل إليّ أن علاقته بـ "لين" ليست على خير ما يرام. قال "جيريمي" متمتمًا بشرود ذهن:

– "لين" – أي نعم – بالتأكيد. لا تؤاخذيني فأنا.. أنا لا أبدو قادرًا على التركيز. أعصابي متوترة. فأسرعت "فرانسيس" تقول:

– لا تفكر في الموضوع، سيكون كل شيء على خير ما يرام، أؤكد لك ذلك.

– تخيفينني أحيانا يا "فرانسيس" . أنت لا مبالية دائمًا. ولا تتبيَّنين.

– إني أتبيَّن كل شيء ولست خائفة. حقيقة يا "جيريمي" ، أشعر بأنني مستمتعة بوقتي. فقال "جيريمي" :

– وهذا يا عزيزتي ما يسبب لي كل هذا القلق. فابتسمت قائلة:

– هيا، لا ينبغي أن تترك هذا الشاب القرويّ ينتظر طويلاً جدًا. اذهب وساعده على استيفاء النموذج ألف ومائة وتسعة وتسعين أو أيٌّ كان. ولكن بينما كانا مغادريْن حجرة المائدة أُغلق الباب الخارجي للمنزل بصوت مسموع، وجاءت "إدنا" لتخبرهما بأن السيد "رولي" قد أخبرها بأنه لن ينتظر، وأن الأمر لا أهمية له.

- 13 -

فيما بعد ظهيرة ذلك الثلاثاء بالذات كانت "لين مارتشمونت" قد خرجت للتمشي لمسافة طويلة؛ لأنها إذ استشعرت تنامي الإحساس بالقلق وعدم الرضا عن نفسها رأت ضرورة أن تفكّر في الظروف المحيطة بها بجدية. لم تكن قد رأت "رولي" منذ بضعة أيام، فبعد افتراقهما شبه العاصف في ذلك الصباح الذي كانت قد طلبت منه فيه إقراضها خمسمائة جنيه كانا يلتقيان كالمعتاد؛ إذ تبينت "لين" أن طلبها لم يكن معقولاً، وأن "رولي" كان يتصرف في نطاق حقوقه المشروعة عندما رفض طلبها، ومع ذلك لم يكن التعقل من السمات المقبولة لدى العاشقين. لم تتأثر علاقتها بـ "رولي" ظاهريًا، أما داخليًا فلم تكن واثقة بها

تمامًا. أحست أن الأيام القليلة الماضية كانت مملة بدرجة لا تحتمل، ومع ذلك لم تحببْ أن تعترف لنفسها بان رحيل "**ديفيد هنتر**" المفاجئ إلى "**لندن**" مع شقيقته ربما يكون ذا صلة بهذا الملل. اقرّت باسى بان "**ديفيد**" شخصية مثيرة. أما عن اقاربها فوجدت في هذا التوقيت انهم جميعًا في محنة لا تحتمل. كانت والدتها تتمتع بمعنويات عالية، وكانت قد ضايقت "**لين**" وقت الغداء في ذلك اليوم بان اعلنت أنها ستحاول الاهتداء إلى بستاني إضافي؛ لأن "**توم**" العجوز غير قادر بمفرده على القيام بالعمل على الوجه الأكمل، عندئذ قالت "**لين**" متعجبة:

– ولكن يا حبيبتي ليس بمقدورنا تحمّل مثل هذه النفقات.

– هراء. في اعتقادي يا "**لين**" ان "**جوردون**" سيغضب جدًّا إذا ما رأى الحال الذي انتهت إليه الحديقة. كان مهتما دائمًا وبوجه خاص بالحاشية وبضرورة جزّ العشب بصفة منتظمة والاحتفاظ بالممرات منظّمة، وانظري إليها الآن. اشعر بان "**جوردون**" يريد منا تنظيمها ثانية.

– حتى لو اضطررنا إلى اقتراض المال من أرملته لإتمام هذا العمل؟

– سبق أن أخبرتك يا "**لين**" بانه لم يكن من الممكن أن تكون "**روزالين**" أكثر ظرفًا مما تعاملت معي به، وما أعتقده هو أنها قد تفهمت وجهة نظري تمامًا، ولديّ رصيد لا بأس به بحسابي بعد سداد جميع الكمبيالات والفواتير المستحقة، وأعتقد أن وجود بستاني إضافي سيكون وسيلة للاقتصاد في معيشتنا. فكري في كمّ الخضراوات الإضافي الذي سنتمكن من زراعته.

– يمكننا ان نشتري قدراً كبيراً من الخضراوات الإضافية باقل من ثلاثة جنيهات أخرى أسبوعيًّا.

– اعتقد انه يمكننا الآن الحصول على بستانيّ باجر يقل عن ذلك يا عزيزتي. فهناك رجال مسرَّحون من الخدمة يطلبون عملاً الآن، هذا ما تقوله الصحف. قالت "**لين**" بنبرة جافة:

– اشك في ان تجدي احداً منهم في "**وورمزلي فيل**"، او في "**وورمزلي هيث**". لكن على الرغم من ان الموضوع قد ترك عند هذا الحد فقد كان احتمال أن تعوِّل أمها على "**روزالين**" كمصدر منتظم للمساعدة يطارد افكار "**لين**" ويعيد إليها ذكرى كلمات "**ديفيد**" الساخرة. لهذا، وإذ شعرت "**لين**" بالسخط وسوء المزاج غادرت المنزل حتى يمكنها التخلص من هذه الكآبة المزاجية بالمشي. لم تتحسن حالتها المزاجية بلقاء "**كاثي**" – زوجة خالها –

خارج مكتب البريد. كانت "كاثي" تتمتع بحالة معنوية رائعة وقالت:

- أرى يا عزيزتي "لين" أنه ستكون لدينا أخبار سارة قريبًا.

- ماذا تعنين بذلك يا خالتي "كاثي"؟ أومأت السيدة "كلود" وابتسمت وتوخَّت الحكمة وقالت:

- تلقيت أغرب الاتصالات وأكثرها إثارة للدهشة. دهشة حقيقية، نهاية بسيطة رائعة لجميع متاعبنا. هُزمت في إحدى المرات ومنذ ذلك الحين تلقيت الرسالة بأن أحاول وأحاول وأحاول مرة بعد مرة. فإذا لم ينجح المرء في بادئ الأمر... لستُ على استعداد للبوح بأية أسرار يا عزيزتي "لين"، وآخر ما أريده هو أن أبعث في النفوس آمالا زائفة قبل الأوان، لكن يراودني أقوى اعتقاد بأن الأمور سوف تكون على خير ما يرام في القريب العاجل جدًّا. في الواقع إنني قلقة بشأن خالك. أجهد نفسه بالعمل الشاق طوال زمن الحرب، وأصبح يحتاج إلى الاستيداع وتكريس جهوده لدراساته المتخصصة، لكن من المؤكد أنه لا يستطيع ذلك بدون دخل ثابت مناسب، ويتعرض في بعض الأحيان لتلك النوبات العصبية الغريبة. إنني شديدة القلق عليه بحق؛ فهو غريب جدًّا في هذه الآونة.

- أومأت "لين" مقدِّرة؛ لأنه لم يفتها ملاحظة التغيير الذي طرأ على "ليونيل كلود" وتغيراته المزاجية. شكَّت في أنه قد اعتاد اللجوء إلى المخدرات بين الحين والحين بهدف التنشيط، وتساءلت عما إذا لم يكن - إلى حدٍّ ما - في عداد المدمنين. فهذا يفسر تهيجه العصبي المفرط، وتساءلت إلى أي مدى كانت الخالة "كاثي" تعرف أو تخمِّن، فلم تكن الخالة "كاثي" - في رأيها - حمقاء إلى الحدِّ الذي عنده تظهر به. عندما واصلت السير في "هاي ستريت" لمحت خالها "جيريمي" يدخل من الباب الخارجي للمنزل. بدا - في رأيها - أكبر سنًّا بكثير في خلال هذه الأسابيع القليلة وحدها. أسرعت الخطى؛ إذ أرادت أن تبتعد عن "وورمزلي فيل" لتذهب إلى أعلى التلال والأماكن الفضاء المكشوفة. عندما قطعت مسافة بخطى سريعة شعرت بأن حالتها المعنوية قد تحسنت. قررت أن تسير مسافة عشرة أو أحد عشر كيلومترًا، حتى يصفو ذهنها وتتمكن من التفكير الجاد في تلك الأمور. فقد كانت طوال حياتها صافية الذهن موطّدة العزم. كانت على علم بما كانت تريده وما كانت لا تريده. ولم ترضَ قط وحتى هذه اللحظة بالانسياق وفقًا للظروف.

نعم. كان هذا هو الوضع! الانسياق! منهج حياة بلا هدف ولا شكل معلوم. منذ لحظة عودتها من الخدمة. احتوتها موجة حنين إلى تلك الأيام.. أيام الحرب التي كانت الواجبات

فيها محددة بوضوح، والحياة منظمة تسير وفقًا لتخطيط معلوم، وثقل القرارات الفردية مرفوعًا عن كاهلها، ولكن حتى وهي تصوغ هذه الفكرة جزعت من نفسها: "هل هذا بحق ويصدق ما يستشعره الناس أينما كانوا؟ هل هذا هو ما فعلته الحرب بهم في النهاية؟ لم تكن الأخطار الجسمانية: الألغام في البحر، والقنابل من الجو، والطلقات النارية في أثناء السير بالسيارة بطريق مهجور، لا، بل هو الخطر الروحي الذي تنطوي عليه معرفة كم تصبح الحياة سهلة لو أنك توقفت عن التفكير. لم تصبح هي - "**لين مارتشمونت**" - تلك الفتاة الذكية الموطدة العزم الصافية التفكير. فقد كان ذكاؤها متخصّصًا موجَّهًا إلى قنوات جيدة التحديد. أما الآن وقد أصبحت مرة أخرى سيدة نفسها وحياتها، فقد أذهلها نفور ذهنها من استيعاب مشاكلها الخاصة والتعامل معها. بابتسامة ماكرة مفاجئة حدثت "**لين**" نفسها: "من الغريب أن أصبح تلك الشخصية التي تصورها الصحف عن "ربة البيت" التي عادت إلى طبيعتها من خلال ظروف الحرب. النساء اللواتي أعاقتهن كثرة اللاءات الناهية ولم تشجعهن على العمل أي من الأوامر الواجبة المحددة. أولئك النساء المضطرات إلى التخطيط والتفكير والابتكار، وإلى استخدام كل قدر من النبوغ الذي أوتينه، وإلى تنمية نبوغ لم يعرفن أنهن قد أوتينه! هن وحدهن - هذا ما رأته "**لين**" الآن - من يمكنهن الوقوف بصلابة وبلا سناد ليكُنَّ مسؤولات عن أنفسهن وعن غيرهن. وهي - "**لين مارتشمونت**" - المتعلمة المثقفة الذكية التي اضطلعت بوظيفة تتطلب ذكاءً وتطبيقًا عمليًا دقيقًا، أصبحت تفتقر الآن إلى القدرة على التوجيه وإلى توطّد العزم - نعم - وتنساق! كم أن هذه الكلمة كريهة! والذين لزموا البيت والوطن - من أمثال "**رولي**" - ولكن ذهن "**لين**" توقف فجأة عن التعميمات الغامضة ليتجه إلى الأمور الشخصية البحتة. هي و "**رولي**". هذه هي المشكلة.. المشكلة الحقيقية، بل المشكلة الوحيدة. هل تريد حقًا أن تتزوج "**رولي**"؟ امتدت الظلال ببطء إلى الشفق وإلى الغسق. جلست "**لين**" ساكنة تمامًا وذقنها بين يديها على حافة أيكة صغيرة على جانب التل تطل على الوادي. فقدت إحساسها بتقدير الزمن، ولكنها شعرت بعدم الرغبة في العودة إلى البيت.. "**البيت الأبيض**". سوف يكون "**لونغ ويلوز**" بيتها إذا تزوجت بـ "**رولي**"، كان يقع على مسافة إلى اليسار أسفل البقعة التي كانت جالسة فيها. إذا! عاد تفكيرها إلى هذا - إذا - إذا - إذا! اندفع طائر من الأيكة بصيحة جزعة تشبه صرخة طفل غاضب، وارتفعت سحابة دخان من قطار إلى أعلى في الجو متخذة - وهي تحلّق في الجو - شكل علامة استفهام عملاقة. هل أتزوج بـ "**رولي**"؟ هل أريد أن أتزوج بـ "**رولي**"؟ هل تمنيت أن أتزوج

بـ "رولي"؟ هل يحتمل ألا أتزوج بـ "رولي". واصل القطار السير في الوادي واهتز الدخان وتفرّق، ولكن علامة الاستفهام لم تختف من ذهن "لين". لقد أحبت "رولي" قبل الرحيل من الوطن. قالت محدثة نفسها: "ولكنني عدت إليه وقد تغيرت. لست الفتاة "لين" ذاتها. لاح بذهنها بيت الشعر: "الحياة والعالم وأنا نفسي تغيرنا"... و "رولي"، "رولي" لم يتغير. نعم. هذا هو بيت القصيد. لم يتغير "رولي". ظل حيث تركته منذ أربع سنوات. هل تريد أن تتزوج بـ"رولي"؟ وإلا فماذا تريد؟ سمعت قعقعة أوراق شجر بالأيكة من خلفها، ثم صوت رجل ينطق باللعنات، وهو يشق طريقه من خلالها. صاحت:

- "ديفيد"!

- "لين"! بدت عليه الحيرة، وهو يشق طريقه من خلال الشجيرات النامية تحت الأشجار العالية وقال:

- ماذا بحق حسن الحظ تفعلين هنا؟ كان يعدو بسرعة فكان لاهثًا إلى حدٍّ ما.

- لا أدري. أفكّر... جلست هنا أفكّر. ثم ضحكت بتردّد وقالت:

- أعتقد أن الوقت قد تأخر جداً.

- أليست لديك فكرة عن الوقت؟ نظرت بغموض إلى ساعة معصمها وقالت:

- لقد توقفت مرة أخرى. أوقع الاختلال بالساعات؟ فقال "ديفيد":

- وبغير الساعات. إنها الكهربية التي بك... الحيوية... الحياة. اقترب منها فاضطربت لسبب لا تعرفه، ونهضت على قدميها بسرعة وقالت:

- لقد دمس الظلام ولابد أن أسرع إلى البيت. كم الساعة يا "ديفيد"؟

- التاسعة والربع. ينبغي أن أنصرف بسرعة أيضًا؛ لأنه يتعين عليّ ببساطة تامة اللحاق بقطار التاسعة والثلث المتجه إلى "لندن".

- لم أعرف أنك عدت إلى هنا!

- كان ينبغي أن آخذ بعض الأشياء من "فاروبانك"، ولكن يجب أن ألحق بهذا القطار. "روزالين" بمفردها بالشقة، ويعاودها الاهتياج العصبي إذا قضت الليلة بمفردها في "لندن".

- هل تقيم بشقة خدمية في حالات الطوارئ؟ جاء صوت "لين" مزدريًا فأجاب "ديفيد" بنبرة حادّة:

- الخوف لا يعرف المنطق، وبخاصة بالنسبة إلى فتاة خاضت تجربة انفجار قنبلة. أحست "لين" فجأة بالخجل والانسحاق. قالت:

– آسفة. فقد نسيت. وقال "**ديفيد**" بنبرة سخرية مفاجئة:

– نعم. لقد نُسي الموضوع برمته. وعدنا إلى الأمان! وإلى الهدوء! وإلى حيث كنا عندما بدأ هذا العرض الدموي لنزحف إلى جحورنا الصغيرة الفاسدة، ونستمتع بالأمان مرة أخرى.. وأنت أيضًا يا "**لين**" – أنت مثلهم جميعًا. فصاحت "**لين**" قائلة:

– لست كذلك – لست كذلك يا "**ديفيد**". كنت افكّر في هذه اللحظة – كنت افكّر الآن.

– تفكرين فيَّ؟ افزعتها سرعة بديهته. طوّقها ذراعه ضامًّا إياها إليه. قبّلها بشفتين حارّتين غاضبتين قائلا:

– "**رولي كلود**"؟ ذلك الساذج؟ بالله يا "**لين**" أنت لي. وبالأسلوب المفاجئ ذاته الذي اخذها به أطلقها حتى كاد يدفع بها بعيداً عنه قائلا:

– سوف يفوتني القطار. وعدا مباشرة إلى أسفل الجبل.

– "**ديفيد**"! ادار رأسه إليها ونادى:

– سأتصل بك هاتفيًا عندما أصل إلى "**لندن**". راقبته يجري من خلال الظلمة المتجمّعة برشاقة طبيعية وجسم رياضيّ شاب. ثم وقد هزها المشهد خفق قلبها على نحو غير مألوف وأصبح ذهنها مشوَّشًا. بدأت طريقها إلى البيت بخطًى متباطئة. ترددت قليلاً قبل أن تدخل. كانت تهاب ترحيب والدتها الدافئ وأسئلتها.. والدتها التي كانت قد اقترضت الخمسمائه جنيه من أناس تحتقرهم. قالت "**لين**" محدثة نفسها: "لا حق لنا في أن نحتقر "**روزالين**" و "**ديفيد**" فنحن مثلهما تمامًا. نُقْدم على فعل أيّ شيء، أي شيء مقابل المال". صعدت بهدوء شديد إلى الطابق العلوي، ووقفت في حجرة نومها تنظر بفضول إلى صورتها بالمرآة. خيِّل إليها انها ترى وجه فتاة غيرها هزّها الغضب بعنف بعد ذلك، وقالت لنفسها: "لو كان "**رولي**" يحبني حقًّا لكان قد دبَّر لي مبلغ الخمسمائة جنيه بطريقة أو باخرى. كان سيفعل هذا، كان سيفعله حتى لا يعرضني لمذلّة الاضطرار إلى أخذه من "**ديفيد**" – "**ديفيد**". كان "**ديفيد**" قد ذكر أنه سيتصل بها لدى وصوله إلى "**لندن**". توجهت إلى الطابق السفلي كمن يسير في حلم. تصورت كم من الممكن أن تكون الأحلام خطرة!

- 14 -

قالت "**أديلا**" بصوت رشيق ينم عن الارتياح:

– آه! هأنت يا "**لين**" .. لم أسمعك تدخلين يا حبيبتي. هل أتيت منذ فترة طويلة؟

– نعم منذ أزمنة، وكنت بالطابق الأعلى.

– أود لو أنك تعلمينني عندما تعودين يا "**لين**"؛ لأن القلق ينتابني وأنت بالخارج وحدك بعد حلول الظلام.

– حقيقة يا أمي، ألا تعتقدين أنه بإمكاني حماية نفسي؟

– حسنا – هناك أخبار مفزعة بالصحف في الآونة الأخيرة. كل هؤلاء الجنود المسرّحين – يهاجمون الفتيات.

– لابد من أن الفتيات هن اللواتي يرغبن في ذلك. ثم قالت لنفسها: "نعم. الفتيات يطلبن المخاطر. ومن التي تريد الأمان بحق؟"

– "**لين**" حبيبتي، هل تصغين؟ أعادت "**لين**" إلى عقلها يقظته. كانت والدتها تتحدث. سألتها:

– ماذا قلت يا أمي؟

– كنت أتحدث عن إشبيناتك يا حبيبتي. أعتقد أنهن سوف يتمكن من الحصول على القسائم بسهولة. لحسن حظك أن لديك جميع قسائم التسريح من الخدمة. إنني آسفة جدًا على الفتيات اللواتي يتزوجن في هذه الأيام بملابسهن المعتادة – أعني أنه لا يمكنهن الحصول على أي شيء جديد مطلقًا من الملابس الخارجية .. هذا ما أعنيه. ناهيك عن حالة ملابسنا الداخلية في هذه الأيام والتي يتعين علينا الحصول على بديل لها. نعم يا "**لين**"، إنك سعيدة الحظ بحق.

– نعم. سعيدة الحظ جدًا. كانت تتمشى في أرجاء الحجرة؛ تجوس وتطوف تلتقط الأشياء وتعيدها إلى مواضعها. فقالت لها أمها:

– هل لابد من أن تكوني قلقة إلى هذا الحدّ يا حبيبتي؟ إنك تصيبينني بالعصبية!

– آسفة يا أمي.

– ليس ثمة ما يقلقك. أليس كذلك؟ فسألت "**لين**" بنبرة حادة:

– وماذا من الممكن أن يكون هناك؟

– لا أحب هذه النبرة الهجومية. والآن عودة إلى الإشبينات. أرى ضرورة أن تطلبي من

فتاة آل "**ماكريي**". كانت والدتها أعزّ صديقة لي – هل تذكرين؟ – وأعتقد أنها سوف تشعر بأن مشاعرها قد جرحت إذا لم..

– لا أحب "**جوان ماكريي**" ولم أحببْها قط.

– أعلم يا حبيبتي، ولكن هل هذا يهم؟ أنا واثقة بأن "**مارجوري**" سوف تشعر بالإهانة.

– في الواقع يا أمي إنه حفل عقد قراني أنا. أليس كذلك؟

– بلى. أعلم يا "**لين**" ولكن..

– لو كان هناك عقد قران أساسًا! لم تعن "**لين**" أن تقول ذلك، ولكن الكلمات فارقت شفتيها عن غير قصد. كانت تتمنى لو أنه يمكنها أن تسحبها، ولكن الأوان كان قد فات. كانت السيدة "**مارتشمونت**" تحملق إلى ابنتها بجزع، فقالت لها:

– "**لين**" يا حبيبتي، ماذا تعنين؟

– لا شيء يا أمي.

– هل تشاجرت أنت و "**رولي**"؟

– لا يا أمي، بكل تأكيد. لا تنزعجي. كل شيء على ما يرام. ولكن "**أديلا**" كانت تتأمل ابنتها بجزع شديد مستشعرة الاضطراب من خلف وجه "**لين**" المقطّب. قالت بنبرة ملؤها الإشفاق:

– دائمًا ما شعرت بأنه سيتوفر لك الأمان بـ "**رولي**". فسألت "**لين**" بنبرة هازئة:

– ومن الذي ينشد الأمان؟ ثم استدارت فجأة وقالت:

– هل كان هذا الهاتف؟

– لا. لماذا؟ هل تتوقعين مكالمة ما؟ هزت "**لين**" رأسها. من المذلة أن تنتظر سماع رنين الهاتف. كان قد قال بأنه سوف يتصل في هذه الليلة، ولابد أن يتصل. قالت محدثة نفسها: "أنت فاقدة الصواب نعم.. فاقدة الصواب". لماذا جذبها هذا الرجل إلى هذا الحد؟ تراءت ذكرى وجهه التعس الأسمر أمام عينيها. حاولت أن تتجاهلها.. حاولت أن تستبدل بها محيّا "**رولي**" العريض الجميل.. وابتسامته البطيئة ونظرته الدافئة، ولكن – هكذا تساءلت – هل يحبها "**رولي**" بحق؟ من المؤكد أنه لو كان يحبها لكان قد تفهّم موقفها في ذلك اليوم الذي ذهبت إليه فيه تطلب خمسمائة جنيه. كان سيقدّر المأزق الذي كانت فيه بدلاً من أن يتعقّل ويتحوّل إلى الواقعية بدرجة تدفع إلى الجنون. تتزوج "**رولي**" وتعيش بالمزرعة ولا تبرح البلاد ثانية، ولا ترى أجواءً أجنبية، ولا تشتمُّ روائح غريبة – ولن تشعر

بالحرية أبدًا بعد الآن. جاء صوت رنين الهاتف عاليًا. التقطت "**لين**" نفسًا عميقا، وسارت إلى الجانب الآخر من البهو، ورفعت السماعة. وبصدمة صفعة جاء صوت الخالة "**كاثي**" رفيعًا عبر الأسلاك:

– "**لين**"؟ هذه أنت؟ آه – أنا سعيدة جدًا. لقد أحدثت شبه تشويش بشأن الاجتماع بالمعهد. ظل الصوت الرفيع المتردد يتكلم، و "**لين**" تصغي مقاطعة بالتعليقات والتأكيدات الموجزة بين الحين والآخر، ثم تتلقى الشكر.

– لقد استرحت يا عزيزتي "**لين**"، أنت متفهمة دائمًا وعملية جدًا. لا يمكنني أن أتصور أبدًا كيف أحدث كل هذا التشوُّش. ولم يمكن لـ "**لين**" أيضًا أن تتصور ذلك. كانت قدرة الخالة "**كاثي**" على إحداث تشوُّش في أبسط الأمور تقدَّر بدرجة النبوغ، ثم أنهت السيدة "**كاثي**" اتصالها بقولها:

– ولكنني أؤكد دائمًا أن كل شيء يتعطل دفعة واحدة. تعطل هاتفنا واضطررت إلى الذهاب إلى إحدى كبائن الاتصال، وأنا هنا الآن ليس معي قطعة من فئة البنسين، فكل مالديَّ هو قطع من فئة النصف بنس، واضطررت إلى الذهاب والحصول.. وتلاشى الصوت أخيرًا. أعادت "**لين**" السماعة إلى موضعها وعادت إلى حجرة الاستقبال. سألت "**أديلا مارتشمونت**"؛ إذ كانت يقظة:

– هل هذا.. ثم توقفت. فأسرعت "**لين**" تقول:

– إنها الخالة "**كاثي**".

– ماذا كانت تريد؟

– إحدى حالات تشويشها المعتادة.. لا أكثر. عادت "**لين**" إلى الجلوس ومعها كتاب، ومن حين إلى آخر ترفع بصرها إلى ساعة الحائط. نعم. الوقت لا يزال مبكرًا جدًا. لا يمكنها أن تتوقع ذلك الاتصال الهاتفي بعد. في الحادية عشرة وخمس دقائق سمعت رنين الهاتف مرة أخرى. سارت نحوه ببطء. ليس لها أن تتوقع في هذه المرة؛ فربما تكون الخالة "**كاثي**" ثانيةً، ولكن لا.

– "**وورمزلي فيل**" رقم 34؟ هل يمكن للآنسة "**لين مارتشمونت**" أن تتلقى اتصالاً شخصيًا من "**لندن**"؟ خفق قلبها بشدة وقالت:

– أنا الآنسة "**لين مارتشمونت**".

– انتظري من فضلك. وانتظرت، سمعت ضوضاء أصوات متداخلة ثم صمتًا. الخدمات

الهاتفية تسوء يومًا بعد يوم. انتظرت. وأخيرًا ضغطت على السماعة بغضب. جاء صوت أنثوي آخر – فاتر غير مبالٍ – يقول بغير اهتمام:

– ضعي السماعة من فضلك، سيتم الاتصال بك في وقت لاحق. أعادت سماعة الهاتف إلى موضعها، ثم عادت في اتجاه حجرة الاستقبال. سمعت رنين التليفون ثانيةً، ويدها على الباب. أسرعت إلى الهاتف وردت عليه:

– ألو. سمعت رجلاً يقول:

– "وورمزلي **فيل**" 34؟ مكالمة شخصية من "**لندن**" للآنسة "**لين مارتشمونت**".

– أنا هي.

– لحظة من فضلك، ثم بصوت خافت:

– ارفع صوتك يا "**لندن**"، أنت على اتصال.. ثم فجأة جاء صوت "**ديفيد**":

– "**لين**"، هل هذا أنت؟

– "**ديفيد**"!

– كان لابد من أن أتحدث إليك.

– نعم.

– اسمعيني يا "**لين**"، أرى أنه من الأفضل أن أنسحب.

– ماذا تعني؟

– أنسحب من "**إنجلترا**" كليةً. هذا سهل بما يكفي. أقنعت "**روزالين**" بأنه ليس سهلاً؛ لأنني – ببساطة – لم أكن راغبًا في الرحيل من "**وورمزلي فيل**"، ولكن ما الفائدة من كل ذلك؟ أنت وأنا، لن تستقيم العلاقة بيننا. أنت فتاة مهذبة يا "**لين**". وأما أنا فمحتال إلى حدٍّ ما، ودائمًا ما كنت كذلك. لا تحاولي مجاملة نفسك بأن تعتقدي أنني سوف أتحول إلى الاستقامة من أجلك. قد أحاول ولكن محاولاتي لن تجدي. لا. من الأفضل لك أن تتزوجي الساذج "**رولي**". لن يسبب لك قلقًا في يوم من الأيام طوال حياتك. أما أنا فسوف أسبب لك جحيمًا. وقفت حيث كانت قابضة على سماعة الهاتف ولا تقول شيئًا.

– "**لين**" هل لا تزالين معي؟

– نعم، أنا هنا.

– لم تقولي شيئًا.

– وماذا هناك ليقال؟

- **"لين"** ؟

- حسنًا؟ كان غريبًا أن أمكنها أن تستشعر بوضوح تام عبر كل هذه المسافة مدى انفعاله وإلحاح حالته المزاجية. تلفظ بكلمات سباب خافتة، ثم انفجر قائلا:

- إلى الجحيم بكل شيء! وأنهى الاتصال. قالت السيدة **"مارتشمونت"** في أثناء مغادرتها حجرة الاستقبال:

- هل كان هذا.. فقالت **"لين"**:

- رقم خطأ، ثم أسرعت تصعد الدرج.

- 15 -

جرت العادة في الـ **"ستاج"** أن يُنادى النزلاء في أية ساعة يحددونها بإجراء بسيط يتمثل في قرع الباب عاليًا وصيحة تقول إنها الساعة الثامنة والنصف أو الثامنة حسب رغبة النزيل. وكان يؤتى إلى الحجرات بشاي الصباح في حالات طلب ذلك صراحة، وكان يوضع بقدر من جلبة قعقعة الأواني الصينية فوق الدواسة خارج الباب. في صباح ذلك الأربعاء اتبعت الفتاة **"جلاديس"** هذه الإجراءات ذاتها خارج الحجرة رقم 5، وصاحت معلنةً أنها الثامنة والربع، ثم وضعت الصينية بضربة على الأرض جعلت بعض الحليب (اللبن) ينسكب من وعائه. مضت بعد ذلك في سبيلها تنادي مزيداً من النزلاء، وتواصل أعمالها اليومية. كانت الساعة العاشرة عندما لاحظت أن شاي الحجرة رقم 5 لم يزل أمام الباب. قرعت الباب عدة مرات، ولم تأتها إجابة، ففتحت الباب ودخلت الحجرة. لم يكن نزيل هذه الحجرة من النوعية التي تتأخر في النهوض صباحًا. تذكرت في هذه اللحظة وجود سقف منبسط مناسب خارج النافذة. حدثت **"جلاديس"** نفسها بأنه من الممكن أن يكون نزيل الحجرة رقم 5 قد لاذ بالفرار دون سداد فاتورته. ولكن الرجل المسجل لديهم باسم **"إينوك آردن"** لم يكن قد هرب؛ إذ كان منبطحًا على وجهه في وسط الحجرة. وعلى الرغم من أن **"جلاديس"** كانت تجهل كل ما يتعلق بالأمور الطبية إلا أنها لم تشك لحظة في أنه كان ميتًا. دفعت **"جلاديس"** برأسها إلى الخلف وصرخت، ثم اندفعت إلى خارج الحجرة ومنها إلى الدرج حيث نزلته ولم تزل تصرخ.

- آه يا آنسة **"ليبينكوت"**.. آه يا آنسة **"ليبينكوت"**. كانت **"بياتريس ليبينكوت"** بحجرتها الخاصة حيث كان الدكتور **"كلود"** يضمِّد لها يدًا مصابة بجرح. ترك الطبيب الضمادة واستدار متوترًا عندما اندفعت الفتاة إلى داخل الحجرة.

– يا آنسة . . سأل الطبيب مسرعًا:

– ما الخطب؟ ما الخطب؟ ثم سألت "**بياتريس**" :

– ماذا حدث يا "**جلاديس**" ؟

– شاغل الحجرة رقم 5 يا آنسة . ملقى على الأرض ميتًا! دقق الطبيب النظر إلى الفتاة، ثم إلى الآنسة "**ليبينكوت**" بينما أخذت الآنسة "**ليبينكوت**" تنظر إلى الفتاة، ثم إلى الطبيب. أخيرًا قال الدكتور "**كلود**" :

– هراء! قالت "**جلاديس**" :

– إنه ميت كمسمار الباب! ثم أضافت باستساغة معينة:

– رأسه مسحوق إلى الداخل! نظر الطبيب في اتجاه الآنسة "**ليبينكوت**" وقال:

– ربما من الأفضل أن . .

– نعم. أرجوك يا دكتور "**كلود**" . وإن كنت . . لا أعتقد . . هذا يبدو مستحيلاً. توجها إلى الطابق العلوي تتقدمهما "**جلاديس**" . ألقى الدكتور "**كلود**" نظرة واحدة، ثم جثا على الأرض، وانحنى فوق الجثة. رفع بصره إلى "**بياتريس**" وقد تغير أسلوبه إلى العفوية والسلطة. قال:

– من الأفضل أن تبلغي قسم الشرطة هاتفيًا. خرجت "**بياتريس ليبينكوت**" و"**جلاديس**" في أثرها. همست "**جلاديس**" بجزع:

– يا آنسة، هل تعتقدين أنها جريمة قتل؟ مسَّدت "**بياتريس**" تسريحة شعرها الذهبي بيد مرتعشة، ثم قالت بنبرة حادة:

– كفّي عن الحديث يا "**جلاديس**" ، قولك عن شيء إنه جريمة قتل قبل أن تعرفي أنه جريمة قتل يُعتبر تشهيرًا من الممكن أن تحاكمي عليه، كما أنه لن يفيد الـ "**ستاج**" نشر مثل هذه الشائعة. أضافت بعد ذلك من قبيل الترضية:

– يمكنك أن تذهبي الآن وتعدّي لنفسك قدحًا من الشاي الظريف. أرى أنك تحتاجين إليه.

– هذا صحيح يا آنسة، أحتاج إليه بشدة. أشعر باضطراب شديد بداخلي! وسوف أحمل إليك قدحًا أيضًا! وعد لم ترفضه "**بياتريس**" .

- 16 -

نظر المراقب "**سبينس**" متأملاً عبر منضدته إلى "**بياتريس ليبينكوت**" الجالسة أمامه ضامةً شفتيها بإحكام. قال:

– اشكرك يا آنسة "**ليبينكوت**". هل هذا كل ما يمكنك أن تتذكريه؟ سآمر بنسخه على الآلة الكاتبة حتى تقرئيه وتوقعي عليه إذا لم يكن لديك مانع من ذلك.

– يا إلهي! أرجو ألا أُضطر إلى الإدلاء بشهادتي بمحكمة الشرطة. ابتسم لها المراقب "**سبينس**" مطمئنًا، ثم قال كذبًا:

– آه! أرجو ألا يتطلب الأمر ذلك. قالت "**بياتريس**" بنبرة آملة:

– ربما كان هذا انتحاراً. حرص المراقب "**سبينس**" على ألا يذكر أن الانتحار لا يُحدث تجويفا في مؤخر الجمجمة باستخدام ملقط المدفأة الفولاذيّ، وأجاب بالأسلوب المريح ذاته:

– لا جدوى من التخمين. أشكرك يا آنسة "**ليبينكوت**"، حسن منك أن تتقدمي إلينا بهذه السرعة لتدلي بما تعرفينه. عندما اصطحبت إلى الخارج راجع شهادتها ذهنيًا. كان يعلم كل شيء عن "**بياتريس ليبينكوت**". وكانت لديه فكرة واضحة عن مدى إمكان الاعتماد على دقتها في الإدلاء بأقوالها، وفي الإدلاء بحوار استرقت سمعه وتذكرته. ربما تكون قد أضافت إليه قدراً من المحسِّنات من قبيل الإثارة، وقدراً آخر أيضًا؛ لأن الجريمة قد وقعت بالحجرة رقم 5، ولكن باستبعاد هذه الإضافات لا يبقى سوى شيء مبتذل وموحٍ بشيء ما. نظر المراقب "**سبينس**" إلى المنضدة التي أمامه. كانت عليها ساعة معصم زجاجها مهشّم، وقداحة ذهبية صغيرة تحمل الحرفين الأولين لأحد الأسماء، وقلم أحمر شفاه بداخل غلاف مذهَّب، وملقط مدفأة من الفولاذ الثقيل خُضِّب رأسه بلون بني صدئ. نظر الرقيب "**جريفز**" إلى داخل الحجرة وقال: إن السيد "**رولي**" ينتظر بالخارج. أومأ "**سبينس**" وأدخل الرقيب "**رولي**". كما كان المراقب يعلم كل شيء عن "**بياتريس ليبينكوت**"، هكذا علم كل شيءٍ عن "**رولي كلود**". ما دام "**رولي**" قد أتى إلى مخفر الشرطة فلابد من أن يكون لديه شيء يريد أن يدلي به، ولابد من أن يكون مثل هذا الشيء موثوقًا به وجديراً بالاعتماد عليه وواقعيًا. ويستحق في الواقع الاستماع إليه. وفي الوقت ذاته وآخذًا في الاعتبار أن "**رولي**" من النوعية المتروِّية سوف يستغرق بعض الوقت في الإدلاء بما يريد قوله. ومن غير الممكن حث نوعية "**رولي كلود**" على الكلام وإلا اضطرب، وأخذ يكرر حديثه واستغرق ضعف المدة.

– صباح الخير يا سيد "**كلود**"، مسرور لرؤيتك . هل يمكنك إلقاء أي قدر من الضوء على مشكلتنا هذه؟ أعني بشأن الرجل الذي قتل في الـ "**ستاج**" . أثار دهشة "**سبينس**" أن "**رولي**" بدأ حديثه بسؤال:

– هل تعرفتم هويته؟ قال "**سبينس**" ببطء:

– لا . لا يمكنني القول بأننا قد فعلنا ذلك. وقع على السجل باسم "**إينوك آردن**"، ولا يوجد شيء فيما يحمل معه يثبت أنه "**إينوك آردن**" . قطب "**رولي**" وقال:

– أليس هذا غريبًا؟ كان الأمر بالغ الغرابة، ولكن المراقب "**سبينس**" لم يكن على استعداد لأن يناقش مع "**رولي كلود**" مدى الغرابة في الموضوع من وجهة نظره. قال بدلاً من ذلك بنبرة هادئة:

– هيا الآن يا سيد "**كلود**"، أنا من يطرح الأسئلة. ذهبت لمقابلة القتيل في الليلة الماضية. لماذا؟

– تعرف يا سيادة المراقب الآنسة "**بياتريس ليبينكوت**" التي تعمل في الـ "**ستاج**"؟ قال المراقب:

– نعم. بكل تأكيد، ثم أضاف ما رأى أنه قد يختصر الحديث مع "**رولي**":

– وقد سمعت منها القصة التي أتت إليّ بها. بدا الارتياح واضحًا على "**رولي**"، وقال:

– حسنا. كنت أخشى ألا تحب أن تقحم نفسها في موضوع يتعلق بالشرطة. فأمثالها يتصرفون بغرابة في هذا الشأن في بعض الأحيان. أومأ المراقب واستطرد "**رولي**" يقول:

– حسنًا إذن أخبرتني "**بياتريس**" بما كانت قد سمعته، وبدا لي خدعة مؤكدة، ولا أدري كيف يبدو لك. ما أعنيه هو أننا طرفان معنيّان .وأومأ المراقب ثانيةً. كان قد تعامل مع خبر وفاة "**جوردون كلود**" باهتمام كبير، وتمشيًا مع الرأي المحلي العام اعتبر أن عائلة "**جوردون**" قد أُسيء إليها، واتفق مع الرأي العام في أن السيدة "**جوردون كلود**" لم تكن "سيدة راقية"، وأن شقيق السيدة "**جوردون كلود**" واحد من أولئك الفدائيين الشبان المثيري القلاقل الذين على الرغم من الاستفادة بهم في زمن الحرب ينبغي أن يُنظر إليهم بازدراء في أوقات السلم. وأضاف "**رولي**" قائلا:

– لا أعتقد أنني أحتاج إلى أن أوضح لك يا سيادة المراقب أنه لو كان الزوج الأول للسيدة "**جوردون كلود**" لا يزال حيًا فإن لهذا أثرًا كبيرًا فينا كعائلة. كانت رواية "**بياتريس**" هذه أول تلميح يبلغني عن إمكانية وجود مثل هذه الأمور. لم أتصوّر قط شيئًا كهذا. ظننت أنها

أرملة بشكل قاطع، ولابد من ان أعترف بأن هذه الرواية هزّتني بشدة. استغرقتُ بعض الوقت لاستيعاب الفكرة؛ لأنني كنت احتاج إلى أن أتفهمها جيداً. وأومأ "سبينس" مرة أخرى. أمكنه أن يرى ان "رولي" كان يتأمل الموضوع بتروٍ ويقلّبه بذهنه مرة بعد اخرى. وأضاف "رولي" قائلا:

– أول ما رأيت اتخاذه هو أن أبلغ عمي المحامي بالأمر.

– تعني السيد "جيريمي كلود"؟

– نعم. وبناء على ذلا ست إلى هناك. لابد أن ذلك كان بعد الثامنة؛ لأنه هو وزوجته كانا لا يزالان جالسين إلى ،سشاء. جلست في حجرة مكتب عمي "جيريمي" انتظره بينما كنت أقلب الموضوع بذهني.

– نعم!

– انتهيت أخيرًا إلى أنه يمكنني ان افعل شيئًا قبل أن أخبر عمي بالموضوع، فقد تبينت أن المحامين جميعًا سواء. غاية في البطء وفي الحذر، وينبغي لهم أن يتأكدوا كافة الوقائع قبل اتخاذ أي إجراء. فالمعلومة التي لديَّ قد أبلغت إليّ من خلال أسلوب غير شريف؛ لهذا تساءلت عما إذا كان من الممكن أن يتردَّد "جيريمي" طويلاً قبل أن يتخذ إجراءً على سند منها؛ لهذا قررت التوجه إلى الـ "ستاج" ومقابلة هذا الرجل بنفسي.

– وفعلت ذلك؟

– نعم. عدت إلى الـ "ستاج" فورًا.

– في أية ساعة كان ذلك؟ اخذ "رولي" يفكّر وقال:

– لنر؛ لابد من أنني وصلت إلى منزل "جيريمي" في حوالي الثامنة والثلث أو نحو ذلك – خمس دقائق – حسنا. لا يمكنني تحديد الوقت بالضبط يا "سبينس" – بعد الثامنة والنصف

– أو ربما في التاسعة إلا الثلث.

– نعم يا سيد "كلود".

– كنت أعرف أين ينزل الرجل – كانت "بياتريس" قد ذكرت لي رقم حجرته – لهذا صعدت إليه راسًا وطرقت الباب. فقال لي أن ادخل فدخلت. توقف "رولي" قليلاً، ثم استطرد قائلا:

– لسبب ما لا أرى أنني تعاملت مع الأمر بالأسلوب الواجب. ظننت عندما دخلت الحجرة أنني صاحب اليد العليا، لكن لابد ان هذا الرجل كان ذكيًّا إلى حدٍّ ما. لم أستطع الحصول

منه على أي شيء محدَّد. رأيت أنه قد يخاف إذا ما ألحت إلى أنه يمارس عملاً ابتزازيًّا، ولكنه بدا مسروراً بما قلت، بل سألني عما إذا كنت ناشطًا في هذا العمل أيضًا. قلت له: "لا يمكنك أن تمارس لعبتك القذرة معي. ليس لدي شيء أخفيه". فقال بدناءة إن هذا ليس ماكان يعنيه، وإن الموضوع هو أن لديه بضاعة يريد بيعها فهل أنا مشترٍ لها؟ سألته عما يعنيه؟ فأجاب: "كم تدفع - أو يدفع عموم أفراد العائلة في مقابل دليل قاطع أن "**روبرت أندرهيي**" - الذي ذُكر أنه قد تُوفي في "**إفريقيا**" - لا يزال على قيد الحياة وبموفور الصحة؟" سألته: "لماذا - بحق السماء - ندفع شيئًا على الإطلاق؟" فضحك قائلاً: "لأن لديَّ عميلاً قادمًا هذا المساء ليدفع لي مبلغًا ضخمًا في مقابل دليل قاطع يثبت أن "**روبرت أندرهيي**" قد تُوفي". ثم... يؤسفني أنني قد فقدت السيطرة على أعصابي، فأخبرته بأن العائلة لم تتعود التعامل بمثل هذه الأساليب القذرة. ولو أن "**أندرهيي**" حيّ بالفعل فمن الواجب أن يكون التحقق من ذلك غايةً في السهولة. بعد أن قلت له ذلك بدأت أغادر الحجرة، ولكنه ضحك قائلا بنبرة غريبة جدًّا: "لا أرى أنه يمكنك إثبات ذلك بدون معاونتي إياك". قال ذلك بطريقة غريبة.

- ثم؟

- حسنا - بصراحة شديدة عدت إلى البيت مضطرب الأعصاب بعض الشيء. تمنيت لو أنني قد تركت الأمر لـ "**جيريمي**" للتصرف فيه؛ لأن المحامين اعتادوا التعامل مع أمثال هؤلاء المحتالين.

- في أيّ توقيت غادرت الـ "**ستاج**"؟

- لا أعلم تحديداً. انتظر لحظة. لابد أن ذلك كان قبل التاسعة مباشرة؛ لأنني سمعت لحن نشرة الأخبار في أثناء مروري بالقرية من خلال نافذة مفتوحة.

- هل ذكر "**آردن**" اسم من كان يتوقع مجيئه؟ أعني العميل؟

- لا، ولكنني استنتجت تلقائيًّا أنه "**ديفيد هنتر**". ومن غيره من الممكن أن يكون؟

- ألم يبد - بأي شكل كان - منزعجًا من هذا التوقُّع؟

- أؤكد لك أن الرجل كان مسروراً بنفسه جدًّا وبحالة معنوية عالية جدًّا! بحركة بسيطة أشار "**سبينس**" إلى الملقط الفولاذي الثقيل وسأله:

- هل لاحظت وجود هذا بالمدفأة يا سيد "كلود"؟

- هذا؟ لا. لا أعتقد ذلك. لم تكن المدفأة موقدة، ثم قطب محاولاً تصوّر المشهد وقال:

– كانت هناك أدوات إذكاء النار بالمدفأة. أنا واثق بذلك، ولكن لا يمكنني القول بأنني قد لاحظت ماذا كانت، ثم أضاف قائلا:

– هل هذا ما.. وأومأ "سبينس" قائلا:

– حطم الجمجمة إلى الداخل. قطّب "رولي" وقال:

– غريب! "هنتر" ليس قوي البنية إلى هذا الحد، و "آردن" كان كبير الحجم قويًّا! قال المراقب بنبرة خالية من أي تعبير:

– يقول التقرير الطبي إنه تلقى ضربة من الخلف فسقط، وإن الضربات التي سُددت إليه برأس الملقط أتته من أعلى. قال "رولي" مفكرًا:

– من المؤكد أنه كان من النوعية البالغة الثقة بذاتها، ومع ذلك ما كنت لأدير ظهري لإنسان معي بالحجرة كنت أحاول ابتزازه، وبخاصة إذا كان قد شارك في القتال في حرب شرسة. من غير المحتمل أن يكون "آردن" من النوعية الحذرة. قال المراقب بنبرة جافة:

– لو كان حذرًا لكان من المحتمل أن يكون حيًّا الآن. قال "رولي" بشيء من الضراعة:

– أتمنى لو أنه كان حذرًا. والحال كذلك أشعر بأنني قد أفسدت الأمر تمامًا. لو أنني لم أتكبر عليه وأتركه لكان من الممكن أن أحصل منه على معلومة مفيدة. كان ينبغي أن أتظاهر أمامه بأن ما لديه من معلومات يلقى رواجًا لدينا، ولكن الموضوع كان غاية في السخف. أعني من نكون حتى يمكننا الوقوف في وجه "روزالين" و "ديفيد". لديهما المال ولا أحد منا يمكنه أن يجمع مبلغ خمسمائة جنيه منا جميعًا. أمسك المراقب بالقدّاحة الذهب وسأله:

– هل رأيت هذه من قبل؟ تغضَّن ما بين حاجبيْ "رولي" وقال ببطء:

– نعم. رأيتها في موضع ما، ولكن لا يمكنني أن أتذكر أين. ومنذ زمن ليس طويلاً. لا، لا يمكنني أن أتذكر. لم يضع "سبينس" القدّاحة في راحة "رولي" الممتدة نحوه، بل أعادها إلى ما فوق المنضدة، وأمسك بقلم أحمر الشفاه مخرجًا إياه من غلافه وسأله:

– وهذا؟ ابتسم "رولي" وقال:

– ليس هذا من اختصاصي حقًّا يا سيادة المراقب. وضع "سبينس" بهدوء شديد قدرًا من أحمر الشفاه على ظهر يده. ثم أمال رأسه جانبًا يتأمله بإعجاب ثم قال:

– مناسب للبشرة السمراء على حدٍّ تقديري. قال "رولي":

– أشياء غريبة تلك التي يعرفها رجال الشرطة، ثم نهض قائلا:

– ولا تعرفون – بصفة قاطعة – من يكون هذا القتيل؟

– هل لديك أنت أدنى فكرة يا سيد "رولي" ؟ قال "رولي" ببطء شديد :

– كنت أتساءل فقط؛ لأن هذا الرجل هو دليلنا الوحيد إلى "أندرهيي" ، والآن وقد مات أصبح البحث عن "أندرهيي" أقرب شبهًا إلى البحث عن إبرة في كومة قش. قال "سبينس" :

– سيكون هناك حديث علنيّ عن الموضوع يا سيد "كلود" . تذكر أنه في الوقت المناسب سوف يظهر قدر كبير من هذه التحقيقات في الصحف، فإذا كان "أندرهيي" على قيد الحياة وقرأ عنه، فربما يتقدم إلينا بشخصه. قال "رولي" بذرة شك:

– نعم. قد يتقدم.

– لكنك لا تعتقد ذلك؟ قال "رولي كلود" :

– أعتقد أن "ديفيد هنتر" قد فاز بالجولة الأولى. قال "سبينس" :

– إني أتساءل. وبينما استطرد "رولي" في الحديث أمسك "سبينس" بالقداحة الذهبية وقرأ الحرفين الأولين المحفورين عليها :

– د. هـ. ثم خاطب الرقيب "جريفز" قائلا :

– قطعة ثمينة. ليست من نوعية الإنتاج الكمّي ويسهل تعرّفها. من محلات "كريتوريكس" أو أحد متاجر "بوند ستريت" . اعتنِ بأمرها!

– سمعًا وطاعة يا سيدي، ثم نظر المراقب إلى ساعة المعصم – كان زجاجها مهشمًا وعقرباها يشيران إلى التاسعة وعشر دقائق. نظر إلى الرقيب وسأله :

– هل أعددت التقرير عن هذه يا "جريفز" ؟

– نعم يا سيدي، الزنبرك الرئيسي مكسور.

– وآلية العقارب؟

– سليمة يا سيدي.

– بم تخبرنا هذه الساعة في رأيك؟ قال "جريفز" متمتمًا بحذر :

– تبدو وكأنها تحدد لنا زمن وقوع الجريمة. قال "سبينس" :

– عندما تكون قد قضيت في هذه الخدمة مدة طويلة كالتي قضيتها أنا تكون متشككًا قليلاً في أي شيء من المفترض أن يقدم لك معلومة حاسمة مثل ساعة مهشمة. من الممكن أن تكون المعلومة صادقة، ولكنها حيلة قديمة أصبحت مكشوفة الآن. اضبط عقارب الساعة على الزمن الذي يناسبك، حطمها، واخرج برواية دالة على البراءة والفضيلة، لكن من

الصعب أن تقبض على المتهم بهذه الطريقة. فأنا متفتح الذهن جداً فيما يتصل بزمن وقوع هذه الجريمة. يقول التقرير الطبي إنه ما بين الثامنة مساء والحادية عشرة ليلاً. تنحنح الرقيب "جريفز" ثم قال:

– يقول "إدواردز" البستاني الثاني في "فاروبانك" إنه رأى "ديفيد هنتر" يخرج من باب جانبيٍّ بالمنزل في حوالي السابعة والنصف، ولم تعلم الخادمات بأنه كان هناك، ظننَّ أنه كان في "لندن" مع السيدة "جوردون"، وهذا يبين يقينا أنه كان في هذه الناحية. قال "سبينس":

– نعم. ويهمني أن أسمع أقوال "هنتر" بشأن ما كان يفعله. قال "جريفز" وهو يتأمل الحرفين المنقوشين على القداحة:

– تبدو القضية واضحة يا سيدي. وقال المراقب:

– لا يزال هناك هذا؛ لتبرير وجوده. وأشار إلى قلم أحمر الشفاه.

– وجد متدحرجاً أسفل الخزانة ذات الأدراج يا سيدي. ربما كان هناك منذ فترة سابقة. قال "سبينس":

– لقد بحثت في الأمر. كانت المرة الأخيرة التي شغلت امرأة فيها هذه الحجرة منذ ثلاثة أسابيع. أعلم أن الخدمة ليست على مستوى عالٍ في هذه الأيام، ولكنني لازلت أعتقد أنهم يمررون الممسحة أسفل قطع الأثاث مرة كل ثلاثة أسابيع، والـ "ستاج" على مستوى عالٍ من النظافة والترتيب على وجه العموم.

– ليست لدينا أدنى إشارة إلى تعامل امرأة مع "آردن". قال المراقب:

– أعلم. ولهذا السبب إصبع أحمر الشفاه هذا هو ما أصفه بأنه الكم المجهول. تراجع الرقيب "جريفز" عن أن يقول: "ابحث عن المرأة". كانت له نبرة فرنسية ممتازة ولم يشأ أن يضايق المراقب "سبينس" بلفت انتباهه إليها. فقد كان الرقيب "جريفز" شابًّا متعقلاً.

- 17 -

رفع المراقب "سبينس" بصره إلى "شبردز كورت" – "ميي فير" قبل أن تطأ قدمه مدخلها الجميل. كان هذا المبنى المتميِّز الثمين الرائع يحتل بقعة قريبة من سوق "شبردز". بالداخل غاصت قدما "سبينس" في بساط كثيف ناعم. وكانت هناك أريكة مكسوّة بالقطيفة وأصيص خزفي كبير مملوء بالنباتات المزهرة، وفي مواجهته مصعد أوتوماتيكي صغير إلى

جواره مجموعة متواصلة من درجات سلّم. وإلى يمين البهو يوجد باب كتب عليه "مكتب". دفعه "سبينس" إلى الداخل ففتحه ودخل. وجد نفسه في حجرة صغيرة ذات طاولة طويلة كانت من خلفها منضدة وآلة كاتبة ومقعدان – أحدهما قريب من المنضدة والآخر وهو الأكثر وجاهة كان موضوعًا بزاوية عند النافذة. ولم يكن أحد بالحجرة. وإذ وقع بصر "سبينس" على زر جرس مبيَّت بالطاولة المهاجوني الطويلة، ضغط عليه. ولما لم يحدث شيء ضغط عليه ثانيةً. بعد دقيقة أو نحو ذلك فتح باب بالجدار البعيد، وظهر به شخص متألق يرتدي زيًّا رسميًّا. كان مظهره يدل على أنه لواء أجنبي، أو ربما (مشير) ولكن كلامه لندنيّ، ويدل على أنه غير متعلم.

– نعم يا سيدي.

– السيدة "**كلود جوردون**".

– الطابق الثالث يا سيدي. هل أتصل بها أولاً؟ فقال "**سبينس**":

– إنها متواجدة اليس كذلك؟ ظننت أنها من الممكن ان تكون بالريف.

– لا يا سيدي. هي هنا منذ السبت الماضي.

– والسيد "**ديفيد هنتر**"؟

– والسيد "**هنتر**" متواجد هنا أيضًا.

– لم يتغيب عن هنا؟

– لا يا سيدي.

– هل كان هنا في الليلة الماضية؟ فقال المشير:

– لنر، ثم تحول فجاة إلى العدوانية:

– لِمَ كل هذه الاستفسارات؟ تريد أن تعرف تاريخ جميع الناس؟ وفي صمت أبرز "**سبينس**" بطاقة تفويضه، وفورا تضاءل الرجل، وأصبح متعاونًا. قال:

– إني آسف. من المؤكد انني لم أعرف. وكيف كان لي ان أعرف؟

– لا بأس. هل كان السيد "**هنتر**" هنا في الليلة الماضية؟

– نعم يا سيدي. كان هنا. هذا على حد اعتقادي على الأقل. بمعنى أنه لم يترك خبراً بانه راحل.

– هل يمكنك أن تعرف ما إذا لم يكن هنا؟

– حسنا، على وجه العموم لا. لا أعتقد أن هذا يمكنني. عادة ما يقول السادة والسيدات

إنهم لن يكونوا متواجدين، ويتركون لنا تعليمات بشأن الخطابات، وما يحبون أن نجيب به من يتصل بهم هاتفيًا.

– هل تبلَّغ المكالمات الهاتفية من خلال هذا المكتب؟

– لا. العدد الأكبر من الشقق مزوَّد بالخطوط الخاصة. شقة واحدة أو اثنتان يفضل أصحابها الا يكون بها هاتف، ونبلغهم عن طريق هاتف المنزل فينزلون إلى هنا، ويتكلمون من الكبينة التي في البهو.

– ولكن شقة السيدة "**كلود**" بها الهاتف الخاص بها؟

– نعم يا سيدي.

– وعلى حد علمك كان كلاهما هنا في الليلة الماضية؟

– هذا صحيح.

– وما هو نظام الوجبات؟

– يوجد لدينا مطعم، ولكن السيدة "**كلود**" والسيد "**هنتر**" لا يستخدمانه دائمًا. يذهبان عادة لتناول العشاء بالخارج.

– والفطور؟

– يقدم بالشقق.

– هل يمكنك أن تعرف ما إذا كان الفطور قد قُدِّم إليهما هذا الصباح؟

– نعم يا سيدي. يمكنني معرفة ذلك من قسم خدمة الغرف. أومأ "**سبينس**" وقال:

– سأصعد إلى هناك الآن. وافني بهذه المعلومة عندما أعود.

– سمعًا وطاعة يا سيدي. دخل "**سبينس**" المصعد وضغط الزر الخاص بالطابق الثالث. كانت هناك شقتان عند كل منبسط ضغط "**سبينس**" زر الشقة رقم 9. فتح "**ديفيد هنتر**" الباب. لم يكن يعرف المراقب من قبل فتحدث بفظاظة.

– نعم. ماذا تريد؟

– السيد "**هنتر**"؟

– نعم.

– أنا المراقب "**سبينس**" من شرطة مقاطعة "**أوستشاير**". أتسمح لي بكلمة معك؟

فابتسم قائلا:

– أعتذر يا سعادة المراقب. ظننتك أحد المروِّجين. تفضل بالدخول. اصطحبه إلى حجرة

عصرية ساحرة. كانت "**روزالين كلود**" واقفة بجوار النافذة. واستدارت عند دخولهما. قال "**هنتر**":

– المراقب "**سبينس**" يا "**روزالين**". تفضل بالجلوس يا سيادة المراقب. ماذا تريد أن تشرب؟

– لا. أشكرك يا سيد "**هنتر**". كانت "**روزالين**" قد أمالت رأسها قليلاً. جلست الآن وظهرها إلى النافذة، ويداها متشابكتان بإحكام في حجرها. قدَّم "**ديفيد**" سجائره وسأله:

– هل تدخِّن؟

– شكرًا. أخذ "**سبينس**" سيجارة، ثم انتظر وراقب "**ديفيد**" وهو يدخل يدًا في أحد جيوبه ثم يخرجها ويقطب وينظر من حوله، ثم يمسك بعلبة ثقاب. أوقد عود ثقاب ليشعل به سيجارة المراقب.

– شكرًا يا سيدي. قال "**ديفيد**" بارتياح وهو يشعل سيجارته هو:

– حسنا. ما الذي يجري في "**وورمزلي فيل**"؟ هل لطاهيتنا تعاملات مع السوق السوداء؛ إنها توفر لنا أفضل الأطعمة حتى أنني كنت أتساءل دائمًا عما إذا كانت هناك قصة فساد وراء ذلك. فقال المراقب:

– الأمر أكثر سوءًا من ذلك. هناك رجل توفي في فندق الـ "ستاج" في الليلة الماضية. ربما تكون قد قرأت الخبر في الصحف؟ هز "**ديفيد**" رأسه قائلا:

– لا. لم ألحظ ذلك. وماذا عنه؟

– لم يمت وحسب بل قُتل. هُشّم رأسه إلى الداخل. صدر عن "**روزالين**" صوت تعجُّب شبه مختنق وأسرع "**ديفيد**" يقول:

– أرجوك يا سيادة المراقب ألا تطيل في ذكر التفاصيل. أختي رقيقة الإحساس جدًّا، وليس بإمكانها اجتناب ذلك – فإذا تحدثت عن دم أو عن أهوال فربما يُغشى عليها. فقال المراقب:

– آه، أنا آسف، ولكن لم يكن هناك أي دم لنتحدث عنه، ولكنها جريمة قتل واضحة ومع ذلك توقف عن الكلام وهنا ارتفع حاجبا "**ديفيد**" وهو يقول بهدوء:

– إنك تثير اهتمامي. وما هي علاقتنا بكل هذا؟

– نأمل في أن يمكنك أن تدلي إلينا بأية معلومات عن هذا الرجل يا سيد "**هنتر**".

– أنا؟

– نعم. ذهبت لمقابلته مساء السبت الماضي. اسمه – أو الاسم الذي سُجِّل به – هو "**إينوك آردن**". قال "**ديفيد**" بهدوء وبلا حرج:

– نعم. هذا صحيح. أتذكر ذلك الآن.

– حسنا يا سيد "**هنتر**"؟

– حسنًا يا سيادة المراقب، يؤسفني أنه لا يمكنني مساعدتكم. فأنا أكاد لا أعلم شيئًا عن هذا الرجل على الإطلاق.

– هل صحيح أن اسمه "**إينوك آردن**"؟

– أشك في ذلك إلى حد بعيد.

– لماذا ذهبت لمقابلته؟

– إنها ليست سوى واحدة من روايات سوء الحظ المعتادة. تتحدث عن أماكن معينة وتجارب في الحرب وأناس، ثم هزَّ "**ديفيد**" كتفيه مستطردًا:

– إنها ليست سوى موضوع زائف برمته.

– هل أعطيته أي مبلغ مالي يا سيدي؟ توقف "**ديفيد**" فترة وجيزة، ثم قال:

لحسن الحظ لم أعطه إلا خمسة جنيهات فقط. خدم في الحرب، هذا صحيح.

– تحدث عن أسماء معينة أنت تعرفها.

– نعم.

– هل كان من بينها النقيب "**روبرت أندرهيي**"؟ أخيرًا توصّل إلى ردة الفعل التي كان يسعى إليها. تصلّب "**ديفيد**" ومن خلفه أطلقت "**روزالين**" صوت لهاث جزعًا. سأل "**ديفيد**" أخيرًا، وبدت نظراته حذرة فاحصة:

– ما الذي يجعلك تعتقد ذلك سيادة المراقب؟ فقال المراقب بثبات:

– معلومات وردت إلينا. ساد صمت وجيز. كان المراقب خلاله مدركًا أن عينيْ "**ديفيد**" كانتا تتاملانه وتقيمانه وتحاولان أن تعرفا، أما هو ذاته فظل ينتظر بهدوء. سال "**ديفيد**":

– هل لديك أدنى فكرة عمَّن يكون "**روبرت أندرهيي**" يا سيادة المراقب؟

– أرجوك. أنت الذي تخبرني يا سيدي.

– "**روبرت أندرهيي**" هو الزوج الأول لشقيقتي، وقد توفي في "**إفريقيا**" منذ بضع سنوات. فسأل "**سبينس**" مسرعًا:

– هل أنت واثق بهذا تمامًا يا سيد "**هنتر**"؟

– واثق تمام الثقة، ثم التفت إلى "**روزالين**" سائلاً:

– هذا ما حدث يا "**روزالين**". أليس كذلك؟ أجابت "**روزالين**" مسرعة ولاهثة:

– بلى، تُوفي "**روبرت**" على أثر إصابته بالحمى، حمى البول الأسود. كانت وفاته محزنة جداً.

– تنتشر في بعض الأحيان أخبار ليست صحيحة تماماً يا سيدة "**كلود**". لم تجب بشيء ولم تكن نظراتها موجهة إليه بل إلى أخيها، ثم بعد لحظة قالت:

– "**روبرت**" توفي... "**روبرت**" تُوفي، فقال المراقب:

– من واقع المعلومات التي لديَّ أفهم أن ذلك الرجل، "**إينوك آردن**" ادعى أنه صديق المرحوم "**روبرت أندرهيي**" وأنه قد أخبرك يا سيد "**هنتر**" بأن "**روبرت أندرهيي**" لا يزال حيًّا. هزّ "**ديفيد**" رأسه قائلاً:

– هذا هراء. هراء قاطع.

– أنت تؤكد أن اسم "**روبرت أندرهيي**" لم يذكر؟ ابتسم "**ديفيد**" بطريقة ساحرة.

– في الواقع إنه ذكر، كان هذا الرجل المسكين يعرف "**أندرهيي**".

– لم تكن هناك محاولة ابتزاز يا سيد "**هنتر**"؟

– ابتزاز؟ إنني لا أفهم عما تتحدث يا سيادة المراقب.

– أصحيح ما تقوله هذا يا سيد "**هنتر**"؟ وبالمناسبة، واتساقًا مع الرسميات أين كنت في الليلة الماضية بين... لنقل... بين السابعة والحادية عشرة مساءً.

– اتساقًا مع الرسميات يا سيادة المراقب، لنفترض أنني أرفض الإجابة؟

– ألا ترى أنك تتصرف بطريقة صبيانية يا سيد "**هنتر**"؟

– لا أرى ذلك. ولا أحب ولم أحبب قط أن يتنمَّر عليَّ أحد. رأى المراقب أنه ربما يكون حقيقة. فقد رأى كثيرين من نوعية "**ديفيد هنتر**" من قبل. رأى شهوداً يتعمدون إعاقة عمله بدافع أن يكونوا معوِّقين لا أكثر وليس لأن لديهم ما يريدون إخفاءه عنه. ما إن يُطلب منهم الإدلاء بأسباب مجيئهم أو ذهابهم حتى يبدو ذلك مثيراً لكبرياء أعمى ولتجعلهم يجعلهم يتخذون منه مبرراً لأن يبذلوا ما بوسعهم لإعاقة سير العدالة. كان المراقب "**سبينس**". على الرغم من أنه كان يتباهى بأنه رجل عادل.. قد أتى إلى "**شبردزكورت**" مقتنعًا بدرجة كبيرة بأن "**هنتر**" هو مرتكب هذه الجريمة. وللمرة الأولى أصبح الآن غير واثق بذلك تمامًا. إن تحدِّي "**ديفيد**" بصبيانية فحسب أثارت لديه الشكوك. نظر "**سبينس**" إلى "**روزالين كلود**" فتجاوبت معه على الفور:

– "**ديفيد**"، لماذا لا تخبره؟

– هذا صحيح يا سيدة "**كلود**". كل ما نريده توضيح الأمور... فقاطعه "**ديفيد**" بضراوة قائلا:

– كف عن ممارسة الضغط على شقيقتي. هل تسمعني؟ فيم يعنيك ما إذا كنت هنا أو في "**وورمزلي فيل**" أو في "**تيمبكتو**"؟ فقال "**سبينس**" محذّراً:

– سوف تُستدعى للاستجواب يا سيد "**هنتر**"، وسوف يتحتم عليك هناك الإجابة عن الأسئلة.

– سوف أنتظر الاستجواب إذن! والآن يا سيادة المراقب هلاّ رحلت عن هنا؟

– حسنا يا سيدي. ونهض المراقب رابط الجأش، ثم قال:

– لديَّ ما أطلبه من السيدة "**كلود**" أولاً.

– لا أريد لشقيقتي أن تنزعج.

– لا بأس، ولكنني أريدها أن تلقي نظرة على الجثه، وتخبرني بما إذا كان يمكنها أن تتعرّف صاحبها، وهذا في نطاق سلطتي، وينبغي أن يتم ذلك إن عاجلاً أم آجلاً. فلا بأس من أن تأتي معي الآن، وتنتهي من هذه المهمة. فقد سُمع السيد "**آردن**" بواسطة أحد الشهود يقول إنه كان يعرف السيد "**روبرت أندرهيي**"، ومن المحتمل أن يكون قد عرف السيدة "**أندرهيي**"؛ وبناء على ذلك قد تتمكن السيدة "**كلود**" من أن تتعرّفه، فإذا لم يكن اسمه هو "**إينوك آردن**" فسوف نستفيد من معرفة اسمه الحقيقي. وعلى غير المتوقع نهضت "**روزالين كلود**" قائلة:

– سآتي بالتأكيد. توقع "**سبينس**" انفجاراً آخر من "**ديفيد**" لكن لدهشته ابتسم "**ديفيد**" قائلاً:

– إجراء في صالحك يا "**روزالين**"، وأعترف بأنني أتحرق فضولاً أيضًا. قد يمكنك على الأقل أن تحددي لهذا الرجل اسمًا. فقال "**سبينس**" مخاطبًا إياها:

– لم تريه بنفسك في "**وورمزلي فيل**"؟ فهزت رأسها قائلة:

– أنا هنا في "**لندن**" منذ السبت الماضي.

– و "**آردن**" وصل مساء الجمعة. سألته "**روزالين**":

– تريدني أن آتي الآن؟ طرحت هذا السؤال بخضوع فتاة صغيرة، وكان انطباع المراقب مرضيًا على الرغم منه. كان هناك قدر من الرقة والرغبة عن طيب خاطر لم يكن يتوقعه منها. قال:

– سيكون هذا تفضّلاً منك يا سيدة "**كلود**"، فكلما أمكننا سرعة تأكيد أو نفي بعض الوقائع كان هذا أفضل. يؤسفني أنه ليست معي سيارة شرطة هنا. توجه "**ديفيد**" إلى حيث كان الهاتف على الجانب الآخر من الحجرة وقال:

– سوف أتصل هاتفيًا بمكتب "**ديملر**" لتأجير السيارات. هذا خارج النطاق القانوني، ولكنني أتوقع أن تسمح به يا سيادة المراقب.

– أعتقد أن هذا ممكن يا سيد "**هنتر**". نزل مستخدمًا المصعد، ثم دفع باب المكتب ففتحه مرة ثانية. كان المشير في انتظاره.

– حسنا؟

– كلا الفراشين استخدما في النوم في الليلة الماضية، وكذلك الحمام والمناشف، وقُدم الفطور إليهما بالشقة في التاسعة والنصف.

– ولا تعرف في أي وقت عاد السيد "**هنتر**" مساء أمس؟

– يؤسفني يا سيدي أنه ليس باستطاعتي أن أخبرك بالمزيد! حسنًا، هذا هو الوضع. تساءل "**سبينس**" عما إذا كان هناك أي شيء وراء رفض "**ديفيد**" الحديث سوى التحدي الصبياني. لابد له أن يتبين أن اتهامًا بالقتل يحوم حوله. من المؤكد أنه ينبغي أن يعرف أنه كلما عجَّل بالإدلاء بأقواله كان أفضل، وأن مناصبة الشرطة العداء ليست في صالحه، ولكنه سرعان ماحدث "**سبينس**" نفسه بأسف بأن مناصبة الشرطة العداء هي مايتلذذ "**ديفيد**" بفعله. كان حديثهم قليلاً في الطريق وعندما وصلوا إلى مستودع الجثث شحب وجه "**روزالين**" تمامًا وارتعشت يداها وبدا "**ديفيد**" قلقًا عليها. تحدث معها كما لو كانت طفلة صغيرة.

– لن يستغرق الأمر أكثر من دقيقة أو اثنتين يا "**مافورنين**". وهو لا شيء على الإطلاق. لا شيء على الإطلاق الآن. لا تضطربي. ادخلي مع سيادة المراقب وسوف أنتظرك، وليس هناك أي شيء يستدعي القلق. سوف يبدو هادئًا وكأنه نائم. أومأت إليه بوهن ومدت إليه يدها فأخذها وضغط عليها مطمْئنًا إياها:

– تشجعي الآن. وبينما كانت تتبع المراقب قالت بصوتها الخافت:

– لابد من أنك تعتبرني جبانة جدًا يا سيادة المراقب، ولكن عندما مات الجميع بالمنزل – مات الجميع باستثنائي أنا – في تلك الليلة الرهيبة بـ "**لندن**"... فقال بنبرة حانية:

– إنني مقدّر هذا يا سيدتي "**كلود**". أعلم أنك مررت بتجربة قاسية في الانفجار الذي قُتل فيه زوجك. في الواقع إن هذا الأمر لن يستغرق أكثر من دقيقة أو اثنتين. بناءً على إشارة

من "**سبينس**" رُفع الغطاء عن الجثة ووقفت "**روزالين**" تنظر إلى وجه الرجل الذي كان قد قال إنه "**إينوك آردن**". وكان "**سبينس**" الذي اختار متعمّداً أن يقف جانبا... يراقبها بدقّة. نظرت إلى الرجل الميت بفضول وكما لو كانت تتساءل، لم تبد حركة تدل على رد فعل أو علامة على تأثر أو تعرُّف بل ظلت تنظر إليه طويلاً وبقدر من التساؤل، ثم بهدوء شديد وبأسلوب تلقائي رسمت علامة الصليب قائلة:

– ليرحمه الله. لم يسبق لي أن رأيت هذا الرجل طوال حياتي، ولا أعلم من يكون. قال "**سبينس**" محدثًا نفسه: "إما أنك ممثلة بارعة، وإما أنك صادقة فيما تقولين". اتصل "**سبينس**" في وقت لاحق بـ "**رولي كلود**" هاتفيًّا حيث قال:

–أطلعت الأرملة على الجثة فأكدت بصفة قاطعة أنها ليست لـ "**روبرت أندرهيي**"، وأنها لم يسبق لها أن رأت هذا الرجل. وبذلك نكون قد انتهينا من هذه النقطة! مضت فترة صمت قال "**رولي**" بعدها ببطء:

– هل ذلك ينهي هذا الموضوع؟

– أرى أن المحلفين من الممكن أن يصدقوا ما قالت وهذا في حالة غياب الدليل – فقال "**رولي**":

– نعم، ثم أنهى المكالمة، وبعد ذلك أمسك بدليل الهاتف – مقطبًا – ليس بالدليل المحلي بل بدليل تليفونات "**لندن**". مرر سبابته على الأسماء التي تبدأ بحرف **P** حتى اهتدى إلى ماكان يبحث عنه.

الجزء الثاني

- 1 -

طوى "**هيركيول بوارو**" آخر أوراق الصحيفة التي كان قد بعث بـ "**جورج**" لشرائها بعناية تامة. كانت المعلومات الواردة بها قاصرة إلى حدٍّ ما.. ذكر بها أنه قد ورد بالتقرير الطبي أن الكسور التي بالجمجمة قد أُحدثت بعدد من الضربات القوية المتتابعة، وأن التحقيق قد أُرجئ مدة أسبوعين، وطُلب من أي إنسان يمكنه الإدلاء بمعلومات عن رجل يُدعى "**إينوك آردن**" من المفترض أنه قد وصل مؤخراً من "**كيب تاون**" أن يتصل برئيس شرطة "**أوستشاير**". وضع "**بوارو**" الصحيفة جانبًا وأخذ يفكّر في الموضوع. كان مهتمًّا. ربما يكون قد قرأ البند الصغير الأول بلا اهتمام لولا زيارة السيدة "**ليونيل كلود**" مؤخرًا. إلا أن

تلك الزيارة قد ذكّرته بوضوح أحداث ذلك اليوم بالنادي في أثناء تلك الغارة الجوية. تذكر بكل دقة صوت الرائد "**بورتو**" يقول: "ربما أن رجلاً اسمه "**إينوك آردن**" يظهر في مكان ما على بعد ألف وخمسمائة كيلومتر ويبدأ حياته من جديد". أصبح الآن يريد – وبقدر من الإلحاح – أن يعرف المزيد عن ذلك الرجل المدعو "**إينوك آردن**" الذي تُوفي مقتولاً في "**وورمزلي فيل**". تذكر أنه كان قد تعرَّف إلى المراقب "**سبينس**" الذي يتبع شرطة "**أوستشاير**" وتذكَّر أيضًا أن الشاب "**ميلون**" يسكن على مقربة من "**وورمزلي هيث**"، وأن الشاب "**ميلون**" يعرف "**جيريمي كلود**". وبينما كان في أثناء تفكيره بأن يتصل هاتفيًّا بالشاب "**ميلون**" – دخل عليه "**جورج**" ليخبره بأن رجلاً يدعى "**رولي كلود**" يريد مقابلته. قال "**هيركيول بوارو**" مسروراً:

– آه، أدخله. ودخل إليه شاب مهموم حسن المنظر، وبدا في حيرة كيف يبدأ. قال "**بوارو**" مشجِّعًا:

– حسنًا يا سيد "**كلود**"، كيف يمكنني مساعدتك؟ كان "**رولي كلود**" ينظر إلى "**بوارو**" بقدر من الارتياب. فقد ملأ هذان الشاربان الأنيقان والثياب الوسيمة وطماقا الكاحلين الأبيضين والحذاء الجلدي الجميل ذو المقدم المدبب – نفس هذا الشاب الذي يعيش في شبه عزلة بريبة واضحة. أدرك "**بوارو**" هذا جيداً، ووجد فيه نوعًا من التسلية. بدأ "**رولي كلود**" يقول متثاقلا إلى حدٍّ ما.

– يؤسفني أنني مضطر إلى أن أشرح لك مَن أنا وجميع هذه الأمور. لن تعرف اسمي... قاطعه "**بوارو**" قائلاً:

– لكن نعم. أعرف اسمك جيداً. حضرت... زوجة عمّك لمقابلتي في الأسبوع الماضي.

– زوجة عمي؟! وفغر "**رولي**" فاه دهشة، وأخذ يدقق النظر إلى "**بوارو**". كان واضحًا أن هذه المعلومة جديدة عليه تمامًا مما جعل "**بوارو**" يطرح جانبًا افتراضه الأول بأن ثمة صلة ما بين هاتين الزيارتين. وبدا له على مدى لحظة أنها مصادفة غريبة أن يختار هذان الفردان من أسرة "**كلود**" استشارته في غضون مثل هذه الفترة الوجيزة، ولكنه تبين بعد ثانية واحدة أن لا مجال للمصادفة، وأن ما أتى بهما هو إجراء تتابعي طبيعي ناشئ عن الموضوع ذاته. قال بصوت مسموع:

– إني افترض أن السيدة "**ليونيل كلود**" زوجة عمك. بدا "**رولي**" أكثر دهشة من ذي قبل. قال غير مصدّق على الإطلاق:

– العمة "**كاثي**"؟ من المؤكد أنك لا تعني زوجة عمي "**جيريمي كلود**"؟ هز "**بوارو**" رأسه قائلا:

– ولكن ماذا من الممكن أن تكون صلة العمة "**كاثي**"...؟ فتمتم "**بوارو**" برزانة:

– تم توجيهها إليَّ – على حدٍّ ما فهمت – بإرشاد روحيٍّ. فقال "**رولي**":

– يا إلهي! بدا عليه الارتياح والسرور، ثم قال وكأنه يؤكد لـ "**بوارو**":

– لا ضرر منها كما تعلم. فقال "**بوارو**":

– إني أتساءل.

– ماذا تعني؟

– هل هناك أي إنسان لا يكون مبعثًا للضرر على طول الخط؟ دقق "**رولي**" النظر إلى "**بوارو**" الذي تنهد قائلا برفق مشجعًا إياه على الحديث:

– أجئت لتسألني عن شيء؟ هل هذا صحيح؟ عادت نظرة الاهتمام إلى وجه "**رولي**" وقال:

– يؤسفني أنها قصة طويلة... وكان "**بوارو**" متهيبًا إياها أيضًا. كانت لديه فكرة واضحة عن أن "**رولي**" ليس من النوعية التي تأتي إلى جوهر الموضوع بسرعة. استند إلى الخلف وأغمض عينيه جزئيًّا عندما بدأ "**رولي**" يتحدث:

– تعلم أن "**جوردون كلود**" كان عمي... فقال "**بوارو**" من قبيل المساعدة:

– أعرف كل شيء عن "**جوردون كلود**".

– حسنًا. لا حاجة بي إذن إلى الحديث عنه. تزوج قبل وفاته ببضعة أسابيع أرملة شابة اسمها السيدة "**أندرهيي**". ومنذ وفاته تعيش هذه السيدة في "**وورمزلي فيل**" مع شقيق لها. فهمنا جميعًا أن زوجها الأول تُوفي في "**إفريقيا**" متأثرًا بإصابة بالحمى، ولكن الأمر يبدو الآن وكأنه ربما لا يكون هكذا. اعتدل "**بوارو**" في جلسته قائلاً:

– آه. وما الذي أدّى بك إلى هذا الظن؟ أخبره "**رولي**" بمجيء السيد "**إينوك آردن**" إلى "**وورمزلي فيل**"، ثم قال:

– ربما تكون قد رأيت بالصحف فقال "**بوارو**" من قبيل المساعدة مرة أخرى:

– نعم رأيت. وواصل "**رولي**" الحديث. وصف انطباعه الأول عن الرجل "**آردن**"، وتحدث عن ذهابه إلى الـ "**ستاج**" وعن الخطاب الذي تلقاه من "**بياتريس ليبينكوت**" وأخيرًا عن الحوار الذي سمعته "**بياتريس**" مصادفة. قال "**رولي**":

– من المؤكد أن المرء لا يمكنه أن يكون واثقًا بما قد سمعته بالفعل، فربما تكون هناك بعض المبالغات فيما قالته، أو ربما تكون هناك بعض الأخطاء فيما سمعته.

– هل أبلغت الشرطة بهذه القصة؟ أومأ "رولي" :

– أخبرتها بأنه من الأفضل لها أن تفعل ذلك.

– معذرة يا سيد "رولي"، ولكنني لا أفهم السبب في أنك أتيت إليّ. هل تطلب مني التحقيق في هذه الجريمة؟ لأنها جريمة قتل على حدٍّ ظني. فقال "رولي" :

– يا إلهي! لا، لا أطلب شيئًا من هذا القبيل. فهذا عمل الشرطة. قُتل الرجل، هذا صحيح، ولكن ما أطلبه هو هذا. أريدك أن تعرف من كان هذا الرجل. طرفت عينا "بوارو" وقال:

– من تظن أنه يكون يا سيد "كلود"؟

– حسنًا... ما أعنيه هو أن "إينوك آردن" ليس اسمًا. إنه ليس سوى اقتباس من الشاعر العظيم "تينيسون". ذهبت وبحثت عنه. إنه الرجل الذي عاد، واكتشف أن زوجته قد تزوجت بآخر. قال "بوارو" بهدوء:

– تعتقد إذن أن "إينوك آردن" هو "روبرت أندرهيي" ذاته. فأجاب "رولي" ببطء:

– حسنًا... ربما يكون هو... أعني في مثل عمره ومظهره تقريبًا وكل هذه الأمور. من المؤكد أنني قد راجعت الحوار مع "بياتريس" مرة بعد أخرى. من الطبيعي ألا يمكنها أن تتذكر ما قاله كل منهما. قال الرجل إن أحوال "روبرت أندرهيي" قد تراجعت إلى حدٍّ كبير، وأن صحته قد انهارت، وأصبح محتاجًا إلى المال. حسنًا. ربما كان يتحدث عن نفسه. أليس هذا ممكنًا؟ ربما يكون قد قال شيئًا عن هذا الموضوع لم يناسب "ديفيد هنتر" لو أن "أندرهيي" ظهر في "وورمزلي فيل" تحت اسم مستعار.

– ماذا كان دليل التحقق من هويته؟ هز "رولي" رأسه قائلاً:

– لا شيء على وجه التحديد. كل ما هناك هو أن القائمين على العمل في الـ "ستاج" قالوا إنه هو الرجل الذي أتى إلى هناك، وسجل نفسه باسم "إينوك آردن".

– وماذا عن أوراقه؟

– لم تكن معه أية أوراق. اعتدل "بوارو" في جلسته دهشًا:

– ماذا؟ لا أوراق من أي نوع؟

– لا شيء على الإطلاق سوى عدد من الجوارب وقميص وفرجَون.. إلخ. لكن لا أوراق.

– لا جواز سفر؟ لا خطابات؟ ولا حتى بطاقة تموين؟

– لا شيء على الإطلاق. فقال "**بوارو**":

– هذا مثير للاهتمام جداً. نعم. مثير للاهتمام جداً. وواصل "**رولي**" حديثه قائلاً:

– ذهب "**ديفيد هنتر**" شقيق "**روزالين كلود**" لمقابلته في المساء التالي لوصوله، وذكر في أقواله للشرطة أنه كان قد تلقى خطاباً من الرجل قال له فيه إنه صديق "**روبرت أندرهيي**" وإنه قد انهار صحياً ومادياً، وإنه بناء على طلب شقيقته توجَّه إلى الـ "**ستاج**" وقابل الرجل وأعطاه خمسة جنيهات. هذه هي أقواله، ومن الواضح أنه يعتزم الالتزام بها! ومن المؤكد أن الشرطة تتكتم ما كانت "**بياتريس**" قد سمعته.

– قال "**ديفيد هنتر**" إنه لم يكن يعرف الرجل من قبل؟

– هذا ما قاله. وعلى أية حال أفهم أن "**هنتر**" لم يلتق بـ "**أندرهيي**" قط.

– وماذا عن "**روزالين كلود**"؟

– طلبت الشرطة منها معاينة الجثة حتى ترى ما إذا كانت تعرف الرجل. أخبرتهم بأنه غريب عنها تماماً. فقال "**بوارو**":

– حسناً إذن. هذا يجيب عن سؤالك! فقال "**رولي**" بسذاجة:

– حقاً؟ لا أظن هذا. إذا كان القتيل "**أندرهيي**" فلن تكون "**روزالين**" زوجة لعمي أبداً، وبالتالي ليس لها الحق في بنس واحد من ثروته. هل تظن أنها تود أن تتعرفه في ظل تلك الظروف؟

– ألا تثق بها؟

– لا أثق بأي منهما.

– من المؤكد أن هناك كثيرين يمكنهم تأكيد ما إذا كان القتيل هو "**أندرهيي**" أو كان أحداً غيره.

– لا يبدو هذا سهلاً، وهذا ما أريده منك. أن تهتدي إلى شخص كان يعرف "**أندرهيي**". يبدو أن ليس له أقرباء من الأحياء في هذا البلد، وكان دائماً شخصية انعزالية لا اجتماعية. أعتقد أنه لابد من أن يكون هناك خدم، أو أصدقاء، أو أي إنسان، ولكن الحرب شوشت كل شيء، وشتّتت الأهالي. لست أدري من أين أبدأ التعامل مع هذه المهمة، وعلى أية حال ليس لديَّ وقت لذلك، فأنا مزارع وإمكاناتي محدودة. فقال "**هيركيول بوارو**":

– ولماذا تطلب هذا مني أنا بالذات؟ بدا الحرج واضحاً على "**رولي**" ولاح في عينيْ

"بوارو" بريق خافت عندما تمتم قائلاً:
– إرشاد روحي؟ فقال "رولي" جزعًا:
– يا إلهي! لا! ثم اضاف متردِّدًا:
– في الواقع إنني سمعت شخصًا أعرفه يتحدث عنك، قال إنك بارع في مثل هذه الأمور. ليست لديَّ فكرة عن أتعابك. أتوقع ان تكون مرتفعة ونحن مجموعة مفلسة، ولكن يمكنني ان أؤكد لك أنه يمكننا تجميع المبلغ فيما بيننا جميعًا. هذا إذا قبلت القيام بهذه المهمة. قال "هيركيول بوارو" ببطء:
– نعم. ربما يمكنني مساعدتكم. عاد بذاكرته الدقيقة المحددة إلى الوراء... إلى تلك الشخصية المضجرة التي سمعها بالنادي وإلى حفيف الصحيفة وإلى الصوت الممل.
اسمه – لقد سمع اسمه – سوف يتذكره الآن. وإلا فيمكنه ان يسال "ميلون" عنه. لا... لقد تذكره. إنه "بورتر"... الرائد "بورتر". نهض "هيركيول بوارو" على قدميه وقال:
– هلاّ عدت إليّ في المساء يا سيد "كلود"؟
– حسنًا... لا ادري. نعم. أعتقد أنه يمكنني، ولكن من المؤكد انه لا يمكنك إنجاز أي شيء في مثل هذا الزمن القصير؟ رمق "بوارو" بنظرات الرهبة وعدم التصديق. وما كان "بوارو" ليكون بشرًا لو أنه قد استطاع مقاومة إغراء الاستعراض. وبذكرى سلف ذكي بذهنه قال بنبرة رزينة:
– إن لي أساليبي يا سيد "كلود". كان واضحًا ان هذا افضل ما يقال؛ لأن تعبيرات وجه "رولي" تحولت إلى اقصى حدود الاحترام.
– هذا صحيح بالتأكيد، لا أدري كيف يمكنكم القيام بمثل هذه الأعمال. ولم يوضح "بوارو" له شيئًا، ولكنه – بعدما انصرف "رولي" جلس ودوَّن مذكرة موجزة سلَّمها إلى "جورج" وطلب منه ان يحملها إلى نادي "التتويج" وينتظر هناك حتى يتلقى إجابة عنها. وجاءت الإجابة مُرضية تمامًا. قدَّم الرائد "بورتر" تحياته إلى السيد "هيركيول بوارو" وأكد له سروره بأن يستقبله هو وصديقه بالمنزل الكائن في رقم 79 شارع "إدجويي" – "كامبدن هيل". في الخامسة من بعد ظهر اليوم ذاته. عاد "رولي كلود" في الرابعة والنصف حيث سأل:
– هل وفّقت في شيء يا سيد "بوارو"؟
– أرجو ذلك يا سيد "كلود". سنذهب الآن لمقابلة صديق قديم للنقيب "روبرت

أندرهيي" . فغر "رولي" فاه قائلاً:

– ماذا! ثم أخذ ينظر إلى "بوارو" بالدهشة التي يظهرها الصبي الصغير عندما يرى أحد ممارسي الألعاب السحرية يخرج أرانب من قبعته:

– ولكن هذا لا يصدَّق، لا أفهم كيف يمكنك أن تفعل هذه الأشياء خاصة وأنه لم تمضِ سوى ساعات قليلة. لوّح "بوارو" بيده مستنكرًا ومحاولاً أن يبدو متواضعًا. فلم يكن راغبًا في الكشف عن السهولة التي أجرى بها هذه الحيلة السحرية، وأرضى غروره ذلك الانطباع الذي أحدثته حيلته على "رولي" الساذج. خرج الرجلان معًا، واستوقفا سيارة أجرة أقلتهما إلى العنوان المعني. كان الرائد "بورتر" يقطن بالطابق الأول لمنزل صغير متواضع. أدخلتهما امرأة بادنة اصطحبتهما إلى أعلى، وأدخلتهما حجرة مربعة الشكل ذات أرفف بها كتب حول الجدران وبعض المطبوعات الرياضية السيئة. كان على الأرض بساطان جميلان ذوا ألوان قاتمة ولكنهما كانا باليين. لاحظ "بوارو" أن المنطقة الوسطى من الأرضية مكسوّة بطبقة ثقيلة جديدة من الورنيش بينما كان الورنيش حول الحافة قديمًا وممحوًا. أدرك عندئذ أنه كانت هناك حتى زمن قريب طنافس أخرى أفضل من النوعية التي تُثمَّن بمبلغ كبير في تلك الأيام. رفع بصره إلى الرجل الواقف معتدلاً بجوار المدفأة في حلته البالية الأنيقة. رأى "بوارو" أن الحياة صعبة على الرائد "بورتر" ضابط الجيش المتقاعد؛ إذ كان لزيادة الضرائب وارتفاع الأسعار وتكلفة المعيشة الوقع الأكبر على أمثاله من المحاربين القدماء؛ لهذا رأى أن الرائد "بورتر" يتمسك ببعض الأشياء حتى النهاية، وأن اشتراكه في النادي – على سبيل المثال – أحد هذه الأشياء. كان الرائد "بورتر" يتحدث بطريقة متقطعة متشنجة:

– يؤسفني أنني لا أتذكر أنني قد التقيت بك من قبل يا سيد "بوارو" . تقول في النادي؟ منذ بضعة أعوام؟ أعرف اسمك بالتأكيد. قال "بوارو" :

– هذا هو السيد "رولاند كلود" . أومأ الرائد "بورتر" تشرُّفًا بالتعريف، ثم قال:

– أهلاً بك. يؤسفني أنه لا يمكنني أن أقدم لكما كأسًا من الشراب، فقدْ فقدَ تاجر الخمور الذي أتعامل معه مخزونه في الانفجار. لديَّ قدر من شراب ذي نوعية حقيرة، هذا هو رأيي فيه دائمًا. أو ما رأيكما في كوب من الجعة؟ قبلا الجعة، وقدم الرائد "بورتر" علبة سجائره قائلا:

– هل تدخِّن؟ وقبل "بوارو" سيجارة. وأشعل الرائد "بورتر" عود ثقاب ليشعل به سيجارة "بوارو" ، ثم قال محدثًا "رولي" :

– أعلم أنك غير مدخِّن، ثم استطرد قائلاً:

– هل يضايقكما أن أشعل غليوني؟ ثم فعل ذلك بقدر كبير من الشفط والنفخ. وبعد إتمام جميع هذه الإجراءات التمهيدية سأل:

– والآن – ما الموضوع؟ وانتقلت نظراته من أحدهما إلى الآخر. فقال "**بوارو**":

– ربما تكون قد قرأت في الصحف عن وفاة رجل في "**وورمزلي فيل**"؟ فهز "**بورتر**" رأسه قائلاً:

– ربما. لا أعتقد ذلك.

– اسمه "**آردن**".. "**إينوك آردن**". وهز "**بورتر**" رأسه.

– عُثر عليه بفندق الـ"**ستاج**" ورأسه مهشم من الخلف إلى الداخل. قطَّب "**بورتر**" قائلا:

– لنر.. نعم قرأت شيئًا عن ذلك، منذ بضعة أيام على حدٍّ ذاكرتي.

– نعم. معي هنا صورة فوتوغرافية، إنها صورة فوتوغرافية صحفية وليست واضحة تمامًا، للأسف!ما نريد أن نعرفه يا رائد "**بورتر**" هو ما إذا كنت قد رأيت هذا الرجل من قبل. وناوله أفضل صورة لوجه الرجل استطاع الحصول عليها. أخذها الرائد "**بورتر**" وقطَّب لها وقال:

– انتظر لحظة، ثم أخرج نظارته، وضبطها فوق أنفه، وبدأ يفحص الصورة عن قرب، ثم صدرت عنه إشارة إجفال قال بعدها:

– ليرحمنا الله! لتحل بي اللعنة!

– هل تعرفه يا سيادة الرائد؟

– أعرفه بالتأكيد. إنه "**أندرهيي**"... "**روبرت أندرهيي**". فقال "**رولي**" بنبرة فوز:

– هل أنت واثق بذلك؟

– واثق بالتأكيد. "**روبرت أندرهيي**". وأنا على استعداد لأن أقسم على ذلك في أيِّ مكان.

– 2 –

رنَّ الهاتف وذهبت "**لين**" لترد عليه. سمعت صوت "**رولي**":

– "**لين**"؟

– "**رولي**"؟ بدا له أن صوتها كان مكتئبًا فسألها:

– ما الذي يشغلك؟ لم أرك قط منذ بضعة أيام.

– لا شيء سوى الأعمال والواجبات المنزلية العادية. أحمل سلة وأذهب لانتظار السمك، ثم أذهب لأقف في الطابور من أجل قطعة كعك مقزّزة وما إلى ذلك. والحياة العائلية.

– أريد أن أراك. لديَّ شيء أريد أن أخبرك به.

– أي نوع من الأشياء؟ ضحك بصوت خافت، ثم قال:

– خبر سار. قابليني عند أيكة "رولاند"، فإننا نحرث هناك.

– خبر سار؟ أعادت "لين" السماعة إلى موضعها. تُرى، ما هو الخبر الذي من الممكن أن يعتبره "رولي كلود" سارًا؟ شيء يتعلق بالمال؟ هل باع ذلك العجل الصغير بثمن يزيد على ما كان يتوقعه له؟ لا. رأت أنه لابد أن يكون شيئًا أكثر من هذا. وبينما كانت تسير في الحقل المؤدّي إلى أيكة "رولاند" ترك "رولي" المحراث وأتى للقائها.

– مرحبًا بك يا "لين".

– ماذا يا "رولي"؟ تبدو مختلفًا بعض الشيء. فضحك وقال:

– أعتقد ذلك. لقد تغير حظُّنا يا "لين"!

– ماذا تعني؟

– هل تذكرين أن عمي "جيريمي" تحدث عن رجل يُدعى "هيركيول بوارو"؟

– "هيركيول بوارو"؟ قطَّبت "لين"، ثم استطردت قائلة:

– نعم أذكر شيئًا...

– منذ فترة طويلة في أثناء الحرب كانوا في ذلك النادي الذي يشبه الضريح وكانت هناك غارة جوية... سألت "لين" بنفاد صبر:

– ثم؟

– كان هناك رجل في ملابس غير مناسبة وما إلى ذلك. رجل فرنسي أو بلجيكي. رجل غريب، لكنه هو محور الموضوع. قطبت "لين" حاجبيها وقالت:

– ألم يكن فردًا في الشرطة السرية؟

– هذا صحيح. حسنا... تعلمين أن ذلك الرجل الذي قتل في الـ "ستاج"... لم أحدثك عنه، ولكن هناك شائعة بأنه من الممكن أن يكون هو الزوج الأول لـ "روزالين كلود". ضحكت "لين" قائلة:

– بسبب أنه قال إن اسمه "إينوك آردن"؟ يا لها من فكرة سخيفة.

– ليست سخيفة جدًا يا فتاتي. أنزل المراقب "سبينس" "روزالين" لتُلقي نظرة على

الجثمان فأقسمت على نحو قاطع بأنه ليس زوجها.

– وبهذا القسم انتهى الموضوع؟ فقال "**رولي**":

– كان من الممكن أن يعتبر منتهيًا لولاي أنا!

– لولاك أنت؟! ماذا فعلت؟

– ذهبت إلى ذلك الرجل "**هيركيول بوارو**". قلت له إننا نحتاج إلى رأي آخر. سألته عما إذا كان من الممكن أن يهتدي إلى شخص كان يعرف "**روبرت أندرهيي**" فعلا. صدقيني، إنه رجل محنَّك في عمله! مثلما يخرج الساحر الأرانب من القبعة اهتدى إلى رجل كان صديقًا حميمًا لـ "**أندرهيي**" وفي غضون ساعات معدودة. اسم هذا الرجل "**بورتر**". توقف "**رولي**" عن الحديث، ثم ضحك ثانية بنبرة الإثارة ذاتها التي فاجأت "**لين**" وقال:

– احتفظي بهذا الموضوع سرًّا يا "**لين**". أسرّ لي المراقب بشيء، ولكنني أريد لك أن تعرفيه. الرجل المتوفَّى هو "**روبرت أندرهيي**". فقالت "**لين**" متخذة خطوة إلى الخلف ومدققة النظر إلى "**رولي**":

– ماذا؟!

– إنه "**روبرت أندرهيي**" ذاته. لم يكن لدى "**بورتر**" أي شك في ذلك. يا "**لين**"... ارتفع صوت "**رولي**" قليلاً بنبرة انفعال وأكمل كلامه قائلا:

– نكون قد فزنا! فزنا! أخيرًا! تغلبنا على هذين المحتالين الملعونين!

– أيّ محتالين ملعونين؟

– "**هنتر**" وشقيقته. خرجا من الموضوع. لا يحق لـ "**روزالين**" أي قدر من ثروة "**جوردون**" وتؤول إلينا. فهي لنا! وتكون بذلك وصية "**جوردون**" التي كتبها قبل زواجه من "**روزالين**" نافذة المفعول، وبمقتضاها تقسَّم ثروته فيما بيننا، وأحصل أنا على الربع؛ هذا لأنه طالما كان زوجها الأول على قيد الحياة في التاريخ الذي تزوجت "**جوردون**" فيه، يعتبر زواجها باطلاً وكأن لم يكن.

– هل أنت واثق بهذا الذي تقوله؟ دقق النظر إليها وللمرة الأولى بدا متحيرًا قليلاً. قال:

– أنا واثق بكل تأكيد! هذا شيء أساسيّ. كل شيء على ما يرام الآن. وهو كما أراد "**جوردون**" له أن يكون. كل شيء على ما هو عليه، وكأن هذين الفردين العزيزين لم يدخلا العائلة قط. قالت "**لين**" محدثة نفسها: "كل شيء على حالته الأولى، ولكن لا يمكنك أن تمحو شيئًا حدث بالفعل بمثل هذه البساطة. يمكنك أن تتصور أنه لم يحدث قط، ثم قالت ببطء:

– وماذا سيفعلان؟

– وماذا؟ رأت أن "رولي" لم يكن حتى هذه اللحظة قد فكَّر في الإجابة عن هذا السؤال. قال:

– لا اعرف، يذهبان إلى حيث أتيا على ما أرى. أعتقد أنك تعلمين... أمكنها أن تراه يتتبع الموضوع ببطء. قال:

– نعم. أعتقد أنه من الواجب علينا ان نفعل شيئًا من أجلها. أعني أنها تزوجت "جوردون" بصفاء نية؛ لأنني أستنتج أنها كانت تعتقد بحق أن زوجها الأول كان قد تُوفّي، وبهذا لا يكون هناك خطأ عليها. نعم. لابد من أن نفعل لها شيئًا – ان نمنحها مبلغًا محترمًا. نتفق عليه فيما بيننا. قالت "لين":

– أنت معجب بها، ألست كذلك؟ فكَّر قليلاً، ثم قال:

– بلى، إلى حدٍّ ما. فهي فتاة ظريفة وبسيطة، على علم بحياة الريف. فقالت "لين":

– أنا لا أحبها. فقال "رولي" بنبرة إشفاق:

– ستتعلّمين. سألت "لين":

– وماذا عن "ديفيد"؟ فاجفل "رولي" قائلاً:

– إلى الجحيم! لم يكن هذا المال حقًّا له على أية حال. لقد أتى ليمتص مال شقيقته وحسب.

– لا يا "رولي"، لم يكن هذا ما حدث. ليس مستغلاً، ربما يكون مغامرًا...

– ومجرمًا قاتلاً! قالت بمثل اللهاث:

– ماذا تعني؟

– حسنًا من تظنين أنه قتل "أندرهيي"؟ صاحت:

– لا أصدِّق هذا! لا أصدِّق!

– من المؤكد أنه قتل "أندرهيي"! مَنْ غيره من الممكن أن يكون قد فعل ذلك؟ كان هنا في المنطقة في ذلك اليوم. أتى بقطار الخامسة والنصف. كنت أقابل بعض الناس بمحطة القطار ولمحته عن بعد. قالت "لين" بنبرة حادة:

– وعاد إلى "لندن" في ذلك المساء. فقال "رولي" بنبرة انتصار:

– بعدما قتل "أندرهيي".

– لا ينبغي أن تقول أشياء كهذه يا "رولي". في أية ساعة قُتل "أندرهيي".

– حسنًا... لا أعرف في أية ساعة بالضبط، ثم أبطأ الحديث، وأخذ يفكر ثم قال:

– لا أعتقد أننا سنعرف ذلك قبل التحقيق غداً. في الوقت ما بين التاسعة والعاشرة وفقًا لتصوُّري.

– لحق "ديفيد" بقطار التاسعة والثلث عائدًا إلى "لندن".

– اسمعيني يا "لين"، كيف لك أن تعرفي؟

– لقد... لقد قابلته... كان يجري كي يلحق به.

– وكيف لك أن تعرفي أنه قد لحق به فعلاً؟

– لأنه اتصل بي من "لندن" في وقت لاحق. أجفل "رولي" غاضبًا وقال:

– ولماذا بحق الجحيم يتصل بك هاتفيًا؟ اسمعيني يا "لين"، أنا لا أقبل هذا...

– وما أهمية هذا يا "رولي"؟ إنه يبين على أية حال أنه قد لحق بالقطار.

– كان لديه وقت كافٍ لأن يقتل "أندرهيي"، ثم يجري للحاق بالقطار.

– ما لم يكن قد قتل بعد الساعة التاسعة.

– حسنًا... ربما يكون قد قتل قبل التاسعة مباشرة. ولكن بدا لها في صوته نبرة ارتياب. أسدلت "لين" جفنيها. هل هذه هي حقيقة ما حدث؟ عندما خرج "ديفيد" لاهثًا لاعنًا من الأيكة، هل كان مجرمًا مقترفًا جريمة قتل توًّا؛ ذلك الذي ضمَّها في ذراعيه؟ تذكرت انفعاله الشديد ولامبالاة مزاجيته. هل كان هذا هو تأثير تلك الجريمة فيه؟ ربما كان عليها أن تعترف بذلك. هل كان "ديفيد" والجريمة متباعدين الواحد عن الآخر؟ وهل يقدم على قتل رجل لم يلحق به أدنى أذى، مجرد شبح من الماضي؟ رجل جريمته الوحيدة أنه يقف حائلاً ما بين "روزالين" وإرث كبير، بين "ديفيد" والاستمتاع بثروة "روزالين"؟

– يا إلهي يا "لين"! هل من الممكن أن تسالي؟ لقد أخبرتك الآن! كوْن "أندرهيي" حيًّا يعطينا الحق في ثروة "جوردون"! على أية حال كان "أندرهيي" يحاول أن يبتزّه.

– آه! هذا أكثر مناسبة للموقف. من الممكن لـ "ديفيد" أن يقتل مبتزًّا، وفي الواقع اليست هذه هي الطريقة التي كان سيتعامل بها مع من يحاول ابتزازه؟ نعم. اكتملت الصورة في تصوُّرها. التعجُّل الذي تصرف "ديفيد" به وانفعاله، وقبلته الضارية شبه الغاضبة. وفيما بعد، رفضه إياها بقوله: "من الأفضل أن أنسحب..". نعم. كل هذا يناسب تصوُّرها للموقف. سمعت صوت "رولي" وكأنه آتٍ من مسافة بعيدة يسألها:

– ماذا بك يا "لين"؟ هل أنت بخير؟

– نعم بالتأكيد.

– حسنًا... بحق السماء حاولي الا تبدي مكتئبة، ثم استدار واخذ ينظر إلى "لونج ويلوز" أسفل التل حيث قال:

– أحمد الله، سوف يمكننا الآن إجراء بعض التعديلات ببيتنا وشراء بعض المهمات الموفرة للجهد حتى يصبح لائقًا بك؛ لأنني لا أحب لك معيشة صعبة يا "لين". من المقدر أن يكون هذا بيتها الذي تعيش فيه مع "رولي". وذات صباح – في تمام الثامنة – سوف يتأرجح "ديفيد" معلقًا من عنقه حتى يموت.

– 3 –

كان "ديفيد" شاحب الوجه في قمة التصميم عندما وضع يديه على كتفي "روزالين" قائلاً:

– سيكون كل شيء على خير ما يرام. أؤكد لك أن كل شيء سينتهي على خير، ولكن يجب عليك أن تحافظي على هدوء أعصابك، وعلى يقظة ذهنك، وأن تفعلي ما أطلبه منك تحديدًا.

– وإذا أخذوك بعيدًا عني؟ لقد قلت ذلك! لقد قلت إنه من الممكن أن يأخذوك.

– إنه احتمال. نعم. ولكن لن يحتجزوني طويلاً طالما كنت متعقلة فيما تفعلين.

– سأفعل ما تطلبه مني يا "ديفيد".

– أنت فتاة ممتازة! كل ما عليك أن تفعليه يا "روزالين" هو الالتزام بأقوالك. تمسَّكي بأن القتيل ليس زوجك "روبرت أندرهيي".

– قد يستدرجونني إلى قول أشياء لا أعني قولها.

– لا، لن يفعلوا هذا. سيكون كل شيء على خير ما يرام. أؤكد لك هذا.

– لا. كل شيء باطل، وكان باطلاً على طول الخط. اخذنا مالاً ليس لنا. أسهر الليل أفكِّر في هذا الموضوع يا "ديفيد". اخذنا ما لا حقَّ لنا فيه. والله يعاقبنا على شرورنا. نظر إليها مقطبًا. إنها تنهار. نعم. تنهار بكل تأكيد. دائمًا ما كانت لها تلك اللمحة الدينية. لم يهدأ ضميرها بالكامل قط، والآن... ما لم يكن سعيد الحظ جدًّا، سوف تنهار كلية. مع ذلك هناك شيء واحد لابد من عمله. قال برفق:

– اسمعيني يا "روزالين"، هل تريدين لي أن أشنق؟ اتسعت عيناها جزعًا وقالت:

– لا يا "ديفيد" لن يفعلوا بك هذا... من غير الممكن أن...

– شخص واحد فقط يمكنه أن يسلمني للشنق. هو أنت. فإذا أقررْتِ مرة واحدة. بنظرة أو إشارة أو كلمة بأن القتيل من الممكن أن يكون "أندرهيي" فإنك بذلك تطوقين عنقي بحبل المشنقة! هل تفهمين هذا؟

– نعم. استوعبت هذه المعلومة، ودققت النظر إليه بعينين جزعتين واسعتين وقالت:

– إنني غبيَّة جدًا يا "ديفيد".

– لا. لست كذلك. وعلى أية حال لست مطالبة بان تكوني ذكية. كل ما عليك هو أن تقسمي بورع على أن القتيل ليس زوجك. يمكنك أن تفعلي ذلك؟ أومأت.

– تظاهري بالغباء إذا أردت. تظاهري بأنك لا تفهمين تمامًا ما يسألونك عنه. فلا ضرر من ذلك. ولكن تمسكي تمامًا بالنقاط التي راجعتها معك. ستكونين تحت رعاية "جيثْورن" وهو محامٍ جنائيّ مقتدر إلى أبعد الحدود؛ لهذا السبب أستعين به. سيكون حاضرًا التحقيق معك وسوف يحميك من أية ضغوط من الممكن أن تمارس عليك، ومع ذلك تمسكي بأقوالك حتى معه. أستحلفك بالله، ولا تحاولي أن تكوني ذكية أو أن تعتقدي أنه يمكنك مساعدتي بقول عبارة من عندك.

– سأفعل هذا يا "ديفيد"، سأفعل ما طلبته مني بالتحديد.

– فتاة شجاعة. وعندما تنتهي هذه الإجراءات سنرحل من هنا – إلى جنوب "فرنسا" أو إلى "أمريكا". في تلك الأثناء اعتني بصحتك، ولا تسهري الليالي موترة أعصابك بكثرة التفكير والتخوفات. تناولي تلك العقاقير المنوِّمة التي وصفها لك الدكتور "كلود"، مثل: البروميد أو لا أدري ما اسمه. تناولي حبة واحدة في كل ليلة، وحاولي أن تروِّحي عن نفسك، وتذكري دائمًا أن زمنًا سعيدًا على الأبواب! ثم نظر إلى ساعة معصمه قائلاً:

– والآن حان وقت الذهاب إلى جلسة التحقيق؛ فقد حددت لها الساعة الحادية عشرة.

جال بنظراته في أرجاء حجرة الاستقبال الجميلة وما تضمنته من جمال وراحة وثروة وقد استمتع بكل هذه جميعًا. منزل رائع "فاروبانك" هذا. ربما كان هذا ودائما. لقد أوقع نفسه في مأزق، هذا شيء مؤكد، ولكنه حتى تلك اللحظة لم يكن نادمًا على ما فعل. أما في المستقبل فسوف يواصل أعمال المغامرة؛ لأنه يجب أن نركب الموجة التي تخدم أغراضنا أو نخسر مغامراتنا. نظر إلى "روزالين"، كانت تراقبه بعينين متوسلتين واسعتين وعلم بحدسه

ماكانت تريده. قال بنبرة حانية:

- لم أقتله يا **"روزالين"**، أقسم لك على ذلك وباسم كل قديس في تقويمك!

- 4 -

عقدت جلسة التحقيق بسوق الغلال، وكان السيد **"بيمارش"** المحقق في أسباب الوفيات المشتبه فيها، رجلاً صغير الحجم نافد الصبر، يلبس نظارة ولديه إحساس عظيم بأهميته. جلس بجواره المراقب **"سبينس"** بحجمه الكبير، وفوق مقعد غير بارز الوضع جلس رجل صغير الحجم أجنبي المظهر ذو شاربين أسودين كبيرين وكان جميع أفراد عائلة **"كلود"** حاضرين في هذه الجلسة: أسرة **"جيريمي كلود"** وأسرة **"ليونيل كلود"** و **"رولي كلود"** والسيدة **"مارتشمونت"** وابنتها **"لين"**، وكان الرائد **"بورتر"** جالسًا بمفرده بغير ارتياح يعبث بشيء ما. كان **"ديفيد"** و **"روزالين"** آخر مَن وصلا إلى هناك. وجلسا بمفردهما. تنحنح المحقق، ثم ألقى نظرة إلى المحلّفين وعددهم تسعة من الأعيان المحليين، ثم بدأ الإجراءات.

السيد **"بيكوك"** - رئيس الشرطة - والرقيب **"فين"** وبدءوا بسؤال الدكتور **"ليونيل كلود"**

- كنت تؤدي واجبًا مهنيًا تجاه مريض في الـ **"ستاج"** عندما أتت **"جلاديس إيتكين"** إليك. ماذا قالت؟

- أخبرتني بأن نزيل الحجرة رقم 5 مطروح على الأرض ميتًا.

- وبناء على ذلك توجهت إلى الحجرة رقم 5؟

- نعم.

- تفضّل بأن تصف لنا ما وجدته هناك. وصف الدكتور **"كلود"** المشهد. جثة رجل... الوجه إلى أسفل... إصابات بالرأس... الجزء الخلفي من الجمجمة... ملقط المدفأة.

- هل رأيت أن الإصابات قد أحدثت باستعمال ملقط المدفأة المشار إليه؟

- بعضها بما لا يدع مجالاً للشك.

- وأن بضع ضربات كانت قد سُدِّدت؟

- نعم. لم أجرِ فحصًا تفصيليًا حيث أخذت في الاعتبار أنه ينبغي أن تُستدعى الشرطة قبل أن تُلمس الجثة أو يتم تغيير وضعها.

- إجراء صحيح تمامًا. وكان الرجل قد فارق الحياة؟

– نعم. كان ميتًا منذ بضع ساعات.

– منذ متى – في رأيك – كان قد مات؟

– أتردد في تحديد وقت معين. فقد مات منذ ما لا يقل عن إحدى عشرة ساعة... من الممكن أن تمتد إلى ما بين الثلاث عشرة أو الأربع عشرة ساعة... لنقل إن الوفاة حدثت مابين السابعة والنصف والعاشرة والنصف من الليلة السابقة.

– شكرًا لك يا دكتور "**كلود**". تقدَّم بعد ذلك الطبيب الشرعي... مدليًا بوصف تقنيّ مفصَّل للإصابات: سحجات وتورُّم بالفك السفلي وخمس أو ست ضربات سُددت إلى قاع الجمجمة بعضها سُدِّد بعد الوفاة.

– كان هذا هجومًا شرسًا؟

– بالضبط.

– هل كان تسديد هذه الضربات يتطلب قوة كبيرة؟

– لا. القوة على وجه التحديد. الملقط إذا أُمسك من طرف الكماشة يمكن تحريكه بسهولة وبدون جهد كبير. والكرة الفولاذية الثقيلة التي تشكِّل رأس الملقط تجعل منه سلاحًا قويًّا. أي إنسان نحيل كان يمكنه أن يحدث هذه الإصابات لو أن هذه الضربات سُددت في نوبة انفعال.

– شكرًا لك يا دكتور. تابعت هذه التفاصيل المتعلقة بحالة الجثة – صحة جيدة وتغذية صحيحة، يبلغ من العمر حوالي الخامسة والأربعين. لا علامات على وجود مرض أو اعتلال صحيّ – القلب والرئتان.. إلخ. جميعها بحالة جيدة. أدلت "**بياتريس ليبينكوت**" بشهادتها عن وصول المتوفَّى، وبانه سجَّل نفسه باسم "**إينوك آردن**" – من "**كيب تاون**".

– هل قدم المتوفَّى بطاقة تموين؟

– لا يا سيدي.

– هل طلبتها منه؟

– ليس في بادئ الأمر. لم أعرف المدة التي سيقيمها بالفندق.

– لكنك طلبتها منه بعد ذلك؟

– نعم يا سيدي. وصل في يوم الجمعة، وفي يوم السبت قلت له أن يقدم هذه البطاقة إذا كان يعتزم البقاء أكثر من خمسة أيام.

– وبم أجاب عن ذلك؟

– قال إنه سيعطيني إياها.

– ولكنه لم يقدمها فعلا.

– لا.

– لم يذكر أنها فقدت منه؟ أو أنه ليس لديه بطاقة؟

– لا. لا. كل ما قاله هو: "سأبحث عنها وأحضرها إليك".

– يا آنسة "**ليبينكوت**"، هل سمعت بطريق المصادفة حواراً معيناً في ليلة السبت؟ بقدر كبير من الإطالة في الشرح عن الأسباب والظروف التي حدت بها إلى دخول الحجرة رقم 4، روت "**بياتريس ليبينكوت**" القصة كاملة، وكان المحقق يوجهها فيها بمهارة وحذر.

– أشكرك. هل ذكرت هذا الحوار الذي سمعته مصادفة لأي شخص؟

– نعم. أخبرت به السيد "**رولي كلود**".

– ولماذا أخبرت السيد "**رولي كلود**" به؟ احمر وجهها خجلا وقالت:

– رأيت أنه لابد أن يعرف. نهض رجل نحيل طويل القامة هو السيد "**جييشورن**" وطلب إذنا بتوجيه سؤال.

– في مجرى الحوار الذي دار بين القتيل والسيد "**ديفيد هنتر**" هل ذكر القتيل في أي توقيت منه أنه هو ذاته "**روبرت أندرهيي**"؟

– لا. لا. لم يذكر.

– وتحدث عن "**روبرت أندرهيي**" كما لو كان "**روبرت أندرهيي**" شخصية أخرى تماماً!

– نعم. نعم. هكذا تحدَّث.

– أشكرك يا سيادة المحقِّق كان هذا هو كل ما أردت استيضاحه. انسحبت "**بياتريس**" من موقف الشاهد ونودي "**رولي كلود**". أكّد "**رولي**" أن "**بياتريس**" قد أعادت عليه ما كانت قد سمعته، ثم أعطى تقريراً عن لقائه بالقتيل.

– كانت كلماته الأخيرة لك هي: "لا اعتقد أنه يمكنك إثبات ذلك دون تعاوني معك" وأن "ذلك" يعني أن "**روبرت أندرهيي**" لم يزل حيًّا.

– نعم هذا ما قاله، ثم ضحك.

– ضحك؟ وما المعنى الذي فهمته من هذه الكلمات؟

– حسناً... ظننتُ أنه يحاول أن يحصل مني على عرض وحسب، ولكنني فيما بعد ظننت...

- نعم يا سيد "**كلود**"، ولكن ما ظننته فيما بعد ليس متسقًا. هل لنا أن نقول إنه نتيجة لذلك اللقاء ركزت جهدك في محاولة الاهتداء إلى شخص ما كان يعرف المرحوم "**روبرت أندرهيي**" وإنك قد نجحت في ذلك بمساعدة معينة؟ اوما "**رولي**" قائلاً:

- هذا صحيح.

- كم كانت الساعة عندما برحت القتيل؟

- كان ذلك في التاسعة إلا خمس دقائق على وجه التقريب.

- ما الذي جعلك تحدد الوقت؟

- وأنا أسير في الشارع سمعت موسيقى إشارة أخبار التاسعة من إحدى النوافذ المفتوحة.

- هل ذكر القتيل في أية ساعة كان يتوقع زيارة هذا العميل؟

- قال: "في أية دقيقة".

- لم يذكر أي اسم؟

- لا.

- "**ديفيد هنتر**"! كانت هناك ضجة خافتة.. عندما اشرأبت أعناق سكان "**وورمزلي فيل**" لينظروا إلى الشاب الساخر الوجه الطويل القامة النحيل القوام الذي وقف في مواجهة المحقق بتحدٍّ ملحوظ. اتُّخذت الإجراءات التمهيدية على وجه السرعة، وواصل المحقق عمله.

- ذهبت لمقابلة القتيل مساء السبت؟

- نعم، تلقيت منه خطابًا يطلب فيه المساعدة، ويذكر أنه كان يعرف زوج شقيقتي الأول في "**إفريقيا**".

- هل هذا الخطاب معك؟

- لا، لا أحتفظ بالخطابات.

- استمعت إلى أقوال "**بياتريس ليبينكوت**" عن حوارك مع القتيل. هل هذه الرواية صحيحة؟

- غير صحيحة إطلاقًا. تحدث القتيل عن أنه كان يعرف المرحوم زوج شقيقتي، وشكا من سوء حظه هو ومن أن أحواله المالية قد تدهورت تمامًا، وطلب مني مساعدة مالية كان كالمعتاد واثقًا تمام الثقة بقدرته على ردِّها.

- هل ذكر لك أن "**روبرت أندرهيي**" لم يزل على قيد الحياة؟ ابتسم "**ديفيد**" قائلا:

- لا بكل تأكيد، وما قاله هو: "لو كان "**روبرت**" حيًّا فانا واثق بانه كان سيساعدني".

– هذا القول مختلف تمام الاختلاف عما قالته لنا "**بياتريس ليبينكوت**". قال "**ديفيد**":

– عادة ما يسمع المتنصتون جزءاً من الحوار الدائر ودائماً ما يخطئون فيما يقولون؛ بسبب قيامهم باستيفاء التفاصيل من خيالهم الخصب الخاص. انتفضت "**بياتريس**" غاضبة، ثم صاحت:

– حسنا... لم أقم قط... ولكن المحقق سرعان ما انتهرها بقوله:

– أرجوك الهدوء.

– والآن يا سيد "**هنتر**" هل ذهبت إلى القتيل ثانيةً في ليلة الثلاثاء...

– لا، لم أذهب.

– سمعت السيد "**رولي كلود**" يقول إن القتيل كان ينتظر زائرًا؟

– ربما كان ينتظر زائرًا. وفي هذه الحالة لم أكن أنا ذلك الزائر. كنت قد أعطيته خمسة جنيهات من قبل. رأيت أن هذا المبلغ كافٍ جداً له. لم يكن هناك اي دليل على أنه كان يعرف "**روبرت أندرهيي**"، وقد اصبحت شقيقتي – منذ أن ورثت عن زوجها دخلاً كبيراً – أصبحت هدفًا لكل كاتب خطاب استجداء ولكل انتهازي بالمنطقة. وبهدوء جعل نظراته تطوف بأفراد عائلة "**كلود**" المجتمعين بالمكان.

– يا سيد "**هنتر**"، أرجو أن تخبرنا أين كنت في مساء الثلاثاء. فقال "**ديفيد**"

– اكتشف بنفسك. ضرب المحقق على المنضدة قائلا:

– يا سيد "**هنتر**"! ما قلته غاية في الحماقة والاستهتار.

– ولماذا اخبرك أين كنت وماذا فعلت؟ سيكون هناك متسع من الوقت لذلك عندما توجَّه إليّ تهمة قتل هذا الرجل.

– إذا تماديت في هذا الموقف فقد ينتهي الأمر إلى ذلك بأسرع مما تعتقد. هل يمكنك تعرُّف هذه يا سيد "**هنتر**"؟ انحنى "**ديفيد هنتر**" إلى الأمام وأخذ القدَّاحة الذهبية في يده. بدت على وجهه شدة الحيرة. أعادها إلى المحقق قائلاً ببطء:

– نعم، إنها لي.

– متى كانت بحوزتك آخر مرة؟

– افتقدتها... ثم توقف عن الكلام. جاء صوت المحقق رقيقًا.

– نعم يا سيد "**هنتر**"؟ أخذ "**جييشورن**" يتململ وبدا انه على وشك أن يتكلم، ولكن "**ديفيد**" سبقه في ذلك.

– كانت معي آخر مرة في يوم الجمعة... صباح الجمعة. لا أذكر أنني رأيتها بعد ذلك. نهض السيد "**جيبثورن**" قائلاً:

– أستأذنك يا سيادة المحقق. قمتَ بزيارة القتيل مساء السبت. أليس من الممكن أن تكون قد تركتها هناك عندئذ؟ فقال "**ديفيد**" ببطء:

– ربما، ولكنني واثق بأنني لا أذكر أنني رأيتها بعد يوم الجمعة... ثم أضاف:

– أين تم العثور عليها؟ فقال المحقِّق:

– سوف نتحدث في هذا فيما بعد. يمكنك الآن ترك موقف الشاهد يا سيد "**هنتر**". عاد "**ديفيد**" ببطء إلى مقعده حيث أحنى رأسه، وهمس لـ "**روزالين كلود**" قائلا:

– الرائد "**بورتر**". بعد قدرٍ من النحنحة والتلعثم وقف الرائد "**بورتر**" للإدلاء بشهادته وقفة عسكرية انتصب فيها تماماً وكأنه في عرض عسكريّ، ولم يكشف عن شدة معاناته من العصبية سوى الأسلوب الذي أخذ يبلِّل به شفتيه بين لحظة وأخرى.

– أنت "**جورج دوجلاس بورتر**" الرائد السابق بكتيبة الرماة الإفريقية الملكية؟

– نعم.

– ما مدى معرفتك بـ "**روبرت أندرهيي**"؟ بصوت مبحوح ذكر الرائد "**بورتر**" عدداً من الأماكن والتواريخ.

– عاينت جثة القتيل؟

– نعم.

– هل يمكنك تعرف هذه الجثة؟

– نعم، إنها جثة "**روبرت أندرهيي**". سرى في القاعة همس ودهشة.

– تقرر هذا عن ثقة وبلا أدنى شك؟

– نعم.

– لا احتمال لأن تكون مخطئًا؟

– لا.

– شكرًا لك يا سيادة الرائد. السيدة "**جوردون كلود**". نهضت "**روزالين**" ومرَّت بالرائد "**بورتر**". دقق النظر إليها بقدر من الفضول، ولم تهتم هي حتى بأن تنظر إليه.

– يا سيدة "**كلود**"، اصطحبتك الشرطة لمعاينة جثة القتيل. ارتعشت وأجابت:

– نعم.

– قررت على نحو قاطع بأنها جثة رجل مجهول لديك تمامًا.

– نعم.

– وفي ظل ما قرره الرائد "**بورتر**" الآن، هل تحبين سحب قرارك أو تعديله؟

– لا.

– لا زلت تؤكدين أن الجثة ليست لزوجك "**روبرت أندرهيي**"؟

– ليست جثة زوجي. إنه رجل لم أره طوال حياتي.

– فكري جيدًا يا سيـ **كلود**"، فقد شهد الرائد "**بورتر**" على نحو قاطع بأنه قد عرف الجثة، وأنها لصديقه "**روبرت أندرهيي**". قالت "**روزالين**" بغير اكتراث:

– الرائد "**بورتر**" مخطئ.

– لست تحت القسم في هذه المحكمة يا سيدة "**كلود**"، ولكن من المحتمل أنك ستكونين تحت القسم بمحكمة أخرى وقريبًا جدًا. فهل أنت على استعداد لأن تقسمي عندئذ على أن الجثة ليست جثة "**روبرت أندرهيي**" بل جثة غريب مجهول لك؟

– أنا على استعداد لأن أقسم على أن هذه ليست جثة زوجي، وأنها جثة رجل لا أعرفه إطلاقًا. تحدثت بوضوح وثبات والتقت عيناها بعيني المحقق بشجاعة. فقال متمتما:

– يمكنك الانسحاب من موقف الشاهد، ثم خلع نظارته ووجه إلى المحلفين حديثه، فقد كانوا هناك للكشف عن أسباب الوفاة، ولم يكن هناك أدنى شك في هذا الشأن؛ إذ لم يكن هناك ما يشير إلى وقوع حادث أو الإقدام على الانتحار. كما لم يكن هناك ما يشير إلى قتل غير عمد، وبذلك لم يصبح هناك سوى حكم واحد وهو القتل العمد. أما فيما يتصل بهوية القتيل فلم يتم تحديدها بوضوح. كانوا قد استمعوا إلى شاهد واحد، وهو رجل مستقيم الخلق معروف بالأمانة من الممكن الاعتماد على أقواله، قال إن الجثة لصديقه السابق "**روبرت أندرهيي**". وعلى الجانب الآخر كان قد سبق التحقق من وفاة "**روبرت أندرهيي**" على أثر إصابته بالحمى في عام 1945 بالأسلوب المقنع للسلطات المحلية، ولم يشكك في صحة وفاته أحد، وفي تكذيب قاطع لما قرره الرائد "**بورتر**" قررت أرملة "**روبرت أندرهيي**" – السيدة "**جوردون كلود**" حاليًا – على نحو قاطع أن الجثة ليست لـ"**روبرت أندرهي**". وهاتان شهادتان متضادتان تمامًا. انتقالاً من موضوع الهوية كان عليهم أن يقرروا ما إذا كان هناك أي دليل يرشدهم إلى اليد التي قتلت هذا الرجل. قد يظنون أن الأدلة تشير إلى شخص معيَّن، لكن هناك حاجة إلى قدر كافٍ من الأدلة قبل أن تكتمل اركان القضية... دليل الباعث على

الجريمة وتحيُّن الفرصة. لابد أن يكون شخص ما قد رأى القاتل بالقرب من مكان وقوع الجريمة في التوقيت المناسب. وما لم يتوفر مثل هذا الدليل يكون أفضل حكم للمحلفين هو القتل العمد مع عدم كفاية الأدلة التي من شأنها ان تحدد القاتل. ومثل هذا الحكم يترك للشرطة حرية تقصّي الوقائع اللازمة. سمح لهم بالانصراف بعد ذلك للمداولة بشأن الحكم الذي يتعين عليهم إصداره. استغرق هذا منهم ثلاثة أرباع الساعة عادوا بعدها بحكم بالقتل العمد ضد "**ديفيد هنتر**".

- 5 -

قال المحقق بنبرة أسف:

– هذا ما كنت أخشاه. حقد محليّ! الإحساس لا المنطق! كان المحقق ورئيس الشرطة والمراقب "**سبينس**" و"**هيركيول بوارو**" جميعًا في جلسة تشاور معًا بعد التحقيق. قال رئيس الشرطة:

– لقد بذلت مجهودًا كبيرًا، فأجاب "**سبينس**" مقطبًا:

– أقل ما يقال هو أن هذا سابق لأوانه، وهذا يعوق عملنا، هل تعرف السيد "**هيركيول بوارو**"؟ كان له الأثر الأكبر في إقناع "**بورتر**" بالمجيء إلى هنا، فقال المحقق بنبرة مهذبة:

– لقد سمعت عنك يا سيد "**بوارو**"، وحاول "**بوارو**" عبثًا أن يبدو متواضعًا. قال "**سبينس**" مبتسمًا:

– السيد "**بوارو**" مهتم بهذه القضية، فقال "**بوارو**":

– هذا صحيح. فقد كنت على صلة بها حتى قبل أن تصبح قضية. وإجابة عن نظرات الاهتمام التي رمقوه بها روى لهم ذلك المشهد المختصر الغريب الذي كان بالنادي حيث سمع للمرة الأولى اسم "**روبرت أندرهيي**" يُذكر، وبناء على ذلك قال رئيس الشرطة متأملاً:

– وهذه نقطة إضافية في شهادة "**بورتر**" عندما تصل القضية إلى المحكمة. فقد خطط "**أندرهيي**" بالفعل لوفاة مصطنعة، وتحدث عن استخدام اسم "**إينوك آردن**". تمتم رئيس الشرطة:

– آه، ولكن هل يُقبل هذا كدليل؟ كلمات قالها رجل هو الآن متوفًى؟ فقال "**بوارو**" مفكّرًا:

– ربما لا يُقبل كدليل، ولكنه يثير مجالاً للتفكير مهمًّا وموحيًا. فقال "**سبينس**":

– ما نريده ليس الإيحاء بل عدداً من الوقائع الملموسة، شخصًا يكون قد شاهد "**ديفيد هنتر**" في الـ "**ستاج**" أو في مكان قريب منه مساء السبت. وقال رئيس الشرطة مقطبًا:

– ينبغي أن يكون هذا سهلاً، وقال "**بوارو**":

– لو كان هذا في خارج البلاد – في وطني أنا – لكان سهلاً بما يكفي. هناك سيوجد مقهى صغير يجلس فيه أحدهم لتناول قهوة المساء، أما في "**إنجلترا**" الإقليمية.. ودفع بيديه إلى أعلى. أومأ المراقب:

– البعض يسهر بالحانات، ويظل بها حتى وقت الإقفال، وباقي الأهالي بداخل منازلهم يستمعون إلى أخبار التاسعة. إذا تصادف أن مررت بالشارع الرئيسي هنا ما بين الثامنة والنصف والعاشرة فسوف تجد البقعة مهجورة تماما.. لا نسمة واحدة. قال رئيس الشرطة مقترحا:

– وهل أعتمد على ذلك؟ فقال "**سبينس**" ولم تكن تعبيرات وجهه تدل على السعادة:

– ربما. انصرف رئيس الشرطة والمحقق بعد ذلك تاركين "**سبينس**" و"**بوارو**" معًا. سأل "**بوارو**" بنبرة تعاطف:

– لا تبدو مرحِّبًا بهذه القضية. أليس كذلك؟ فقال "**سبينس**":

– هذا الشاب يسبب لي قلقًا. إنه من النوعية التي لا تعرف لنفسك معها موقفًا. عندما يكونون غاية في البراءة من شيء ما يتصرفون وكأنهم مذنبون، وعندما يكونون مذنبين تكون على استعداد لأن تقسم على أنهم ملائكة نورانيون. فسأل "**بوارو**":

– هل تعتقد أنه مذنب؟ فأجابه "**سبينس**" بمثل سؤاله:

– ألا تعتقد أنت ذلك؟ مد "**بوارو**" يديه إلى الأمام قائلاً:

–يهمني أن أعرف الحكم الذي لديك عليه بالتحديد.

– لا تعني من الناحية القانونية؟ ما تعنيه هو من قبيل الاحتمال؟ أومأ "**بوارو**" وقال "**سبينس**":

– هناك القدَّاحة.

– أين وجدتها؟

– تحت الجثة.

– هل توجد بصمات عليها؟

– لا. قال "**بوارو**":

– آه. وقال "سبينس" :

– نعم، هذا ما لا أحبه جدًا، ثم إن ساعة القتيل كانت قد توقفت عند التاسعة وعشر دقائق، وهذا يتفق مع التقرير الطبي إلى حدٍّ بعيد، ومع شهادة "رولي كلود" بأن "أندرهيي" كان يتوقع مجيء عميله في أية دقيقة، وأغلب الظن أن موعد العميل كان قد حان تقريبًا. أومأ "بوارو" قائلاً:

– نعم. كل هذا متسق تمامًا.

– والشيء الوحيد الذي لا يمكنني إغفاله – في رأيي يا سيد "بوارو" – هو أنه الشخص الوحيد (هو وشقيقته بمعنى أصحّ) الذي يتوفر لديه شبح أو ظل باعث. فإما أن "ديفيد هنتر" هو الذي قتل "أندرهيي"، وإما أن "أندرهيي" قد قُتل بيد شخص آخر تبعه إلى هنا لسبب لا نعرف عنه شيئًا، وهذا يبدو غير محتمل على الإطلاق.

– أتفق معك. أتفق معك.

– لا أحد في "وورمزلي فيل" من الممكن أن يكون له باعث التخلص منه ما لم يكن هناك بطريق المصادفة أحد يعيش هنا غير الشقيقين و"هنتر" كانت له علاقة بـ "أندرهيي" فيما مضى. لا أميل أبدًا إلى استبعاد عنصر المصادفة، ولكن لم يكن هناك إلماع ولا ما من شأنه أن يوحي بشيء من هذا القبيل. كان الرجل غريبًا عن الجميع إلا ذلك الشقيق وشقيقته. أومأ "بوارو" قائلاً:

– ولعائلة "كلود" كان من المهم جدًا أن يظل "روبرت أندرهيي" حيًا بكل وسيلة ممكنة، فطالما كان حيًا وبصحة جيدة فهذا يعني أن تقسَّم هذه التركة الكبيرة بينهم.

– مرة أخرى أتفق معك يا صديقي وبكل حماس أن "روبرت أندرهيي" إذا كان حيًا وبصحة جيدة فهو كل ما تحتاج إليه عائلة "كلود".

– بذلك نعود إلى "روزالين" و "ديفيد هنتر" فهما الفردان الوحيدان اللذان يتوفر لديهما الباعث على التخلص منه. كانت "روزالين كلود" في "لندن"، ولكننا نعلم أن "ديفيد" كان في "وورمزلي فيل" في ذلك اليوم. فقد وصل إلى محطة "وورمزلي هيث" في الخامسة والنصف.

– بذلك يكون لدينا الآن باعث مكتوب بالأحرف الكبيرة، وواقع أنه في الخامسة والنصف وما بعدها – وحتى زمن غير محدد – كان في تلك البقعة.

– بالضبط. ولنعد الآن إلى رواية "بياتريس ليبينكوت". أميل إلى تصديق هذه الرواية،

فقد سمعتْ ما قد أقرت بأنها سمعته، وإن كانت ربما تكون قد أضافت إليه شيئًا مشوِّقًا من عندها، وهذا من خصال البشر.

– أمر طبيعي كما تقول.

– فضلاً على أنني أعرف هذه الفتاة وأصدقها؛ لأنه من غير الممكن أن تكون قد ابتكرت بعض الأمور. لم تكن قد سمعت عن "**روبرت أندرهيي**" من قبل، على سبيل المثال؛ لهذا أصدِّق روايتها فيما يتصل بما دار بين الرجلين ولا أصدِّق رواية "**ديفيد هنتر**"، فقال "**بوارو**":

– وأنا أيضًا. توحي إليّ بأنها شاهدة صادقة على نحو متفرِّد.

– ولدينا تأكيد على صدق روايتها. ما هو – في رأيك – السبب الذي دفع بالشقيقين إلى الذهاب إلى "**لندن**"؟

– هذا هو أحد الأمور التي أثارت اهتمامي بدرجة كبيرة.

– حسنا – الموقف الماليّ هو كالآتي: لا تتمتع "**روزالين كلود**" من ثروة "**جوردون كلود**" إلا بريع الثروة طوال حياتها. لا يمكنها أن تمد يدها إلى أصل الثروة إلا – على حد علمي – في نطاق ألف جنيه أو نحو ذلك. أما المجوهرات وما إلى ذلك فهي ملك خالص لها. وكان أول شيء فعلته لدى وصولها إلى المدينة أن حملت بعضًا من أثمن قطع المجوهرات إلى "**بوند ستريت**" لبيعها. كانت تحتاج إلى مبلغ نقدي كبير على وجه السرعة؛ لأنها كانت مضطرة إلى أن تدفع إلى مبتزّ.

– هل تعتبر هذا دليلاً ضد "**ديفيد هنتر**"؟

– ألا تعتبره أنت كذلك؟ هز "**بوارو**" رأسه قائلا:

– أعتبره دليلاً على وجود ابتزاز... نعم. أما أن يكون دليلاً على نية ارتكاب جريمة فلا. لا يمكنك اعتباره دليلاً على الحالتين يا عزيزي، فإما أن هذا الشاب كان مقدمًا على أن يدفع المبلغ وإما أنه كان يخطط للقتل، وقد أتيت بالدليل على أنه كان يخطط لأن يدفع.

– نعم. نعم. ربما يكون ذلك، ولكن ربما يكون قد غيَّر رأيه أيضًا. هزّ "**بوارو**" كتفيه، وقال المراقب متأنيًا:

– أعرف نوعيته. إنها النوعية التي تفوقت في الحرب؛ لأن لديه قدرًا من الشجاعة الجسدية والجرأة واللامبالاة بالأمان الشخصي. النوعية التي تواجه أي نوع من المخاطر. نعم، في أوقات الحرب يُعدُّ رجلاً كهذا بطلاً. أما في زمن السلم فعادةً ما ينتهي الأمر بأمثال هؤلاء إلى السجن. منهم محبون للإثارة ولا يمكنهم توخِّي الاستقامة، ولا يحسبون للمجتمع أدنى

حساب، وفي نهاية الأمر لا يصبح لديهم أي اعتبار لحياة الإنسان. أوما "بوارو" بينما أخذ المراقب يكرر قوله:

– أقول لك إنني أعرف هذه النوعية. ساد الصمت بينهما لبضع دقائق، قال "بوارو" بعدها:

– حسنًا، اتفقنا على انه لدينا هنا نموذج لقاتل، ولكن هذا هو كل ما لدينا، ولا يأخذنا خطوة أبعد من ذلك. رمقه "سبينس" بنظرات الفضول قائلاً:

– أراك مهتمًّا بهذا الموضوع جدًّا يا سيد "بوارو".

– نعم.

– هل لي أن أسأل عن السبب؟ بسط "بوارو" يديه قائلاً:

– بصراحة، لا أعرف على وجه التحديد. ربما يكون السبب؛ لأنني عندما كنت منذ عامين جالسًا أعاني ألمًا شديدًا بمعدتي؛ لأنني كنت أكره الغارات الجوية، ولأنني لم أكن شجاعًا جدًّا على الرغم من محاولاتي المحافظة على المظهر الذي يليق برجل مثلي، عندما كنت جالسًا – كما قلت – أعاني ألمًا هنا، ووضع "بوارو" يده على بطنه بطريقة معبِّرة، بحجرة التدخين بنادي صديقي. كان هناك الرائد "بورتر" – المعروف بأنه الشخصية المملّة بهذا النادي – يروي بلا انقطاع تاريخًا طويلاً لا يصغي إليه أحد. أما أنا فكنت مصغيًا إليه أملاً في أن يحوِّل حديثه انتباهي عن القصف الجوي، ولأن الوقائع التي كان يرويها بدت لي مثيرة للاهتمام وموحية بشيء ما. حدثت نفسي بأنه من الممكن أن يظهر في يوم من الأيام شيء ما من الموقف الذي كان يتحدث عنه، والآن ظهر شيء ما من هذا الموقف.

– حدث ما لم يكن متوقعا – هيه؟ فقال "بوارو" مصوِّبًا:

– على العكس. ما حدث هو ما كان متوقعًا – وهو في حد ذاته جدير بالملاحظة بما يكفي. سأل "سبينس" بنبرة ارتياب:

– كنت تتوقع جريمة قتل؟

– لا. لا. لا! ولكن زوجة تتزوج. ربما يكون زوجها الأول على قيد الحياة؟ نعم. هو حيّ يرزق. من الممكن أن يظهر فجأة؟ ويظهر فجأة! ربما يكون هناك ابتزاز؟ وهناك ابتزاز! احتمال– بناء على ذلك – لإسكات المبتزّ؟ وقد أُسكت! قال "سبينس" وهو ينظر إلى "بوارو" بقدر من الارتياب:

– حسنا، أعتقد أن هذه الأمور تتسق بدرجة كبيرة مع النموذج فهي جريمة من النوعية

الشائعة، ابتزاز مؤدٍّ إلى القتل.

– قد لا تعتبر الموضوع مثيرا للاهتمام؟ لا . . . في العادة، ولكن هذه القضية مثيرة للاهتمام؛ لأنها خطأ أولاً عن آخر.

– ماذا تعني بأنها خطأ أولاً عن آخر.

– كيف أوضح هذا ؟ ولا جزئية منها على الشكل الصحيح. دقق "**سبينس**" النظر إليه قائلاً:

– قال "**جاب**" كبير المفتشين عنك دائمًا إنك ملتوي العقل. أعطني مثالاً لما تصفه بأنه خطأ.

– حسنا – القتيل – على سبيل المثال – خطأ بالكامل. وهزّ "**سبينس**" رأسه فسأله "**بوارو**":

– ألا تشعر بذلك؟ آه ربما أكون خياليًّا. إليك إذن هذه النقطة. يصل "**أندرهيي**" إلى الـ"**ستاج**"، ويكتب رسالة إلى "**ديفيد هنتر**". يتلقى "**هنتر**" تلك الرسالة في صباح اليوم التالي في موعد الإفطار.

– نعم، هذا صحيح فقد اعترف بتلقيه رسالة من "**آردن**" في هذا التوقيت.

– كان هذا أول إعلان عن وصول "**أندرهيي**" إلى "**وورمزلي فيل**". ألم يكن كذلك؟ ماذا كان أول شيء فعله؟ قام بترحيل شقيقته إلى "لندن"! فقال "**سبينس**":

– هذا مفهوم تمامًا. كان يريد لنفسه حرية الحركة حتى يتعامل مع الأمور بأسلوبه الخاص. ربما كان خائفًا من أن تكون هذه المرأة ضعيفة في مواجهة هذا الظرف. تذكَّر أنه العقل المفكِّر وأن السيدة "**كلود**" تحت نفوذه كلية.

– نعم. هذا واضح تمامًا. يبعث بها إلى "**لندن**" بناء على ذلك، ثم يذهب لمقابلة ذلك الرجل المدعو "**إينوك آردن**". لدينا صورة واضحة للحوار الذي دار بينهما من "**بياتريس ليبينكوت**" والشيء المثير للضحك هنا – كما تقول أنت – هو أن "**ديفيد هنتر**" لم يكن واثقا بما إذا كان الرجل الذي يتحدث معه هو "**روبرت أندرهيي**" أم لا. كان يشك في أنه هو، ولكنه لم يكن يعلم.

– ولكن لا غرابة في ذلك يا سيد "**بوارو**"، تزوجت "**روزالين هنتر**" بـ"**أندرهيي**" في "**كيب تاون**" وسافرت معه إلى "**نيجيريا**" مباشرة. ولم يكن هناك قط لقاء بين "**هنتر**" و"**أندرهيي**". بناء على ذلك، وعلى الرغم من أن "**هنتر**" كان يشك في أن "**آردن**" كان

"أندرهيي" – كما تقول – إلا أنه لم يمكنه معرفة ذلك يقينًا؛ لأنه لم يسبق له أن التقى هذا الرجل قط. نظر "بوارو" إلى المراقب "سبينس" مفكرًا، ثم سأله:

– ألا ترى إذن في الموضوع أي شيء غريب؟

– أعلم ما ترمي إليه. لماذا لم يقل "أندرهيي" صراحة إنه هو "أندرهيي"؟ حسنًا، أعتقد أن هذا مفهوم أيضًا. الرجال المحترمون عندما يقومون بعمل ملتوٍ يحبون أن يحتفظوا لأنفسهم بوقارهم، ينفذون مثل هذه الأعمال بأسلوب يبعدهم عن الشبهات. أرجو أن تكون متفهمًا ما أعنيه. لا أعتقد أن هذا عمل متميز جدًا، ولكن ينبغي أن نحسب للطبيعة البشرية حسابًا، فقال "بوارو":

– نعم، الطبيعة البشرية... هذه هي – في تقديري – هي الإجابة الحقيقية عن سبب اهتمامي بهذه القضية. كنت أتجول بنظري في أرجاء ساحة محكمة التحقيق وأنظر إلى جميع الحاضرين وبصفة خاصة إلى آل "كلود" – فوجدت عددهم كبيرًا ويربط بينهم جميعًا اهتمام مشترك وجميعهم مختلفون تمامًا في شخصياتهم وفي أفكارهم وفي مشاعرهم، وجميعهم معتمدون مدى سنين عديدة على ذلك الرجل القوي ذي النفوذ في العائلة على "جوردون كلود"! لا أعني الاعتماد المباشر ربما. فلجميعهم وسيلة حياته المستقلة، ولكنهم أصبحوا – ولابد أن يصبحوا – معتمدين عليه سواء أكان ذلك إراديا أم لا إراديا. وماذا حدث، سأطرح عليك هذا السؤال يا سيادة المراقب، ماذا حدث لنبات اللبلاب المتسلّق عندما أُسقطت شجرة البلوط التي كان يلتف حولها؟ فقال "سبينس":

– سؤال لا يمكنني الإجابة عنه.

– هذا ما تظنه؟ أرى غير ذلك. الشخصية – يا عزيزي – لا تظل مستقرة على ما هي عليه. من الممكن أن تستجمع قوة ومن الممكن أيضًا أن تتراجع. لا تظهر حقيقة الإنسان إلا عند الامتحان، أي في اللحظة التي يقف المرء فيها ثابتًا على قدميه أو يهوي فيها إلى الأرض. بدا "سبينس" متحيرًا. قال:

– لا أفهم بحق ما ترمي إليه يا سيد "بوارو". على أية حال آل "كلود" على خير ما يرام حاليًا، أو هكذا سيكونون فور انتهاء الإجراءات القانونية. لفت "بوارو" نظره إلى أن ذلك قد يستغرق وقتًا طويلاً.

– ولا يزال لدينا أيضًا التشكيك في أقوال السيدة "جوردون كلود"؛ إذ ينبغي لها أن تتعرف إلى زوجها عندما تراه، على الأقل! أمال رأسه جانبًا ونظر إلى المراقب كبير الحجم

متسائلاً، فبادره المراقب بسؤال ساخر:

– ألا يستحق دخل مقداره مليونا جنيه من ميراث الزوج الثاني من هذه المرأة ألاّ تعرف جثة زوجها الأول في المقابل، ثم إنه لو لم يكن هذا الرجل هو "**روبرت أندرهيي**" فلماذا قُتل؟ فقال "بوارو" متمتمًا:

– هذا هو السؤال في الواقع.

- 6 -

غادر "**بوارو**" قسم الشرطة مقطبًا لنفسه. تباطأت خطاه في أثناء السير وتوقف بميدان "**السوق**" وأخذ ينظر حوله. كان هناك منزل الدكتور "**كلود**" بلافتته النحاسية المتآكلة ومكتب البريد يوجد على مسافة قصيرة منه، وعلى الجانب الآخر كان منزل "**جيريمي كلود**". وأمام "بوارو" إلى الداخل قليلاً كانت كنيسة "**العذراء مريم**" للروم الكاثوليك، وهي عبارة عن بناء صغير متواضع بالمقارنة بكنيسة "**العذراء مريم**"العملاقة التي تحتل وسط الميدان في مواجهة سوق الغلال معلنة سيادة العقيدة البروتستنتيّة. بدافع تلقائي دخل "**بوارو**" من البوابة ومنها إلى الممر المؤدي إلى باب كنيسة الروم الكاثوليك. خلع قبعته وسجد أمام المذبح، ثم جثا خلف أحد المقاعد. أزعج صلاته صوت نشيج قلب سحيق. أدار رأسه ليستطلع الأمر. كانت هناك على الجانب الآخر من الممر امرأة في ثوب أسود جاثية واضعة رأسها بين يديها. نهضت في تلك اللحظة، ولم تزل تنشج بصوت مكبوح متوجهة إلى الباب. اتسعت عينا "**بوارو**"اهتمامًا، فنهض وتبعها إلى هناك بعد أن كان قد عرف أنها "**روزالين كلود**". توقفت في الشرفة تحاول السيطرة على أعصابها، وهناك حدثها "**بوارو**" برقة بالغة:

– سيدتي، هل يمكنني مساعدتك؟ لم تبدُ عليها أية علامات للدهشة، وأجابت ببساطة طفلة تعسة:

– لا. لا أحد يمكنه أن يساعدني.

– تواجهين متاعب جمّة أليس كذلك؟ فقالت:

– لقد قبضوا على "**ديفيد**". أصبحت بمفردي تمامًا. يقولون إنه قتل، ولكنه لم يقتل! لم يقتل! ثم نظرت إلى "**بوارو**" قائلة:

– كنت هناك اليوم؟ في التحقيق، رأيتك!

–نعم. وإذا كان يمكنني مساعدتك يا سيدتي، فسوف يسعدني أن أفعل ذلك.

– أنا خائفة. إنني ساكون في أمان مادام كان متواجداً معي ليعتني بي، ولكنهم أخذوه الآن وابعدوه عني؛ لهذا أنا خائفة. قال إن الجميع يتمنوْن لي الموت، وهذا شيء مفزع، ولكنه ربما يكون الحقيقة.

– دعيني أساعدك يا سيدتي. فهزّت رأسها قائلة:

– لا. لا يستطيع أحد مساعدتي، ولا يمكنني حتى أن أتقدم للاعتراف. أصبح لزامًا عليّ أن أتحمل بمفردي وزر شروري. لقد حرمت من رحمة الله. فقال "بوارو":

– لا أحد محروم من رحمة الله. تعلمين هذا جيداً يابنتي. ومرة أخرى رمقته بتلك النظرة التعسة قائلة:

– لابد لي أن أعترف بخطاياي، لابد أن أعترف. إذا أمكنني أن أعترف..

– لا يمكنك أن تعترفي؟ لقد أتيت إلى الكنيسة لهذا الغرض. أليس كذلك؟

– أتيت لأحصل على راحة... راحة، ولكن أية راحة لي؟ أنا خاطئة.

– جميعنا خاطئون.

– ولكن عليك أنت أن تتوب، أما أنا فيجب عليّ أن أقول – أن أخبر... وارتفعت يداها إلى وجهها: الأكاذيب التي قلتها... الأكاذيب التي قلتها!

– كذبت بشأن زوجك؟ بشأن "روبرت أندرهيي"؟ كان "روبرت أندرهيي" هو الذي قُتل هنا. أليس كذلك؟ استدارت نحوه بشدة، وبدا في نظراتها الشك والحذر. صاحت بصوت حادّ:

– أؤكد لك انه ليس زوجي، ولا يشبهه بأدنى قدر كان!

– لا يشبه القتيل زوجك بأي قدر كان؟ قالت بنبرة ملؤها التحدي:

– لا. فقال "بوارو":

– أخبريني كيف كان زوجك يبدو؟ ركزت بصرها فيه، ثم علت وجهها علامات الجزع، وقتم لون عينيها خوفًا، وصاحت في وجهه:

– لن أتحدث معك مزيداً! مرّت من أمامه مسرعة حيث سلكت الممر إلى البوابة الخارجية ومنها إلى ميدان "السوق". لم يحاول "بوارو" ان يتبعها بل أومأ برأسه بقدر كبير من الرضا قال:

– هذا إذن هو الحال! وواصل السير ببطء في الميدان. وبعد لحظة تردُّد سلك الطريق السريع

حتى وصل إلى الـ "ستاج" وهو البناء الأخير قبل المنطقة الريفية المكشوفة. التقى عند مدخل الـ "ستاج" بـ "رولي كلود" و "لين مارتشمونت". نظر "بوارو" إلى الفتاة باهتمام. رأى أنها جميلة وذكية أيضاً. لم تكن من الطراز الذي ينال إعجابه شخصياً؛ إذ كان يفضّل النوعية الأكثر نعومة وأنوثة. رأى في "لين مارتشمونت" نموذجا للفتاة العصرية، وإن كان من الممكن للمرء أن يصفه، بدقة تامة بأنه النموذج الإليزابيثي... نوعية النساء التي تفكر لنفسها بنفسها والمتحررة في أسلوب حديثها والتي يُعجِب الرجال روح المغامرة والجرأة فيها. بادره "رولي" بقوله:

– نحن شاكرون لك جداً يا سيد "بوارو". اقسم لك أن الموضوع كان أشبه بحيلة سحرية. وكان تعبيره هذا دقيقًا إلى حدٍّ بعيد طبقًا لرأي "بوارو". فقد طرح سؤالاً كان يعرف هو الإجابة عنه، وبذلك لم تكن هناك صعوبة تُذكر في القيام بتلك الحيلة بعد استيفاء المستلزمات الواجبة. أعجبه جداً أن وقْع الاهتداء إلى الرائد "بورتر" – من حيث لا يدري أحد – على "رولي" الساذج كان أكبر أثراً من إخراج أي عدد من الأرانب من قبعة الساحر. قال "رولي":

– كيفية اضطلاعك بهذه الأمور تذهلني. لم يفده "بوارو" بشيء فهو بشر في جميع الحالات، ولا يكشف الساحر لجمهوره عن كيفية أداء حيلته. واصل "رولي" حديثه قائلا:

– على أية حال "لين" وأنا شاكران لك بلا حدود. رأى "بوارو" أن "لين مارتشمونت" لم تبدِ قدراً كبيراً من المعروف، بل أحاطت بعينيها علامات التوتر، كما انتابت أصابعها عصبية جعلتها تتشابك وتتضفر. قال "رولي":

– سيكون لهذا أثر جميل في حياتنا الزوجية المستقبلة. فقالت "لين" بنبرة حادّة:

– وكيف لك أن تعلم؟ هناك الكثير من الإجراءات الرسمية وما إلى ذلك. أنا واثقة بهذا. سألهما "بوارو" بأسلوب مهذب جداً:

– متى تتزوجان؟

– في شهر حزيران (يونيو).

– ومنذ متى أنتما مخطوبان؟ فقال "رولي":

– منذ حوالي سبع سنوات. عادت "لين" من الخدمة مؤخراً.

– ومحظور على الفتيات الزواج في أثناء الخدمة. أليس كذلك؟ فقالت "لين" باقتضاب:

– كنت خارج البلاد. لاحظ "بوارو" تقطيب "رولي" المفاجئ. وقال "رولي" على الفور:

– هيا يا "لين"، ينبغي أن نعود. أعتقد أن السيد "بوارو" يريد أن يعود إلى المدينة. فقال "بوارو" مبتسمًا:

– ولكنني لست عائدًا إلى المدينة.

– ماذا؟ وتوقف "رولي" عن الحركة تمامًا حتى بدا وكأنه مثل كتلة خشبية.

– سأبقى هنا في الـ "ستاج" قليلاً.

– لكن... لكن لماذا؟ فقال "بوارو" بهدوء:

– للاستمتاع بأجواء الريف الجميلة. وقال "رولي" مترددًا:

– نعم بالتأكيد، ولكن الست... حسنًا... أعني ألست مشغولاً جدًّا؟ فقال "بوارو" مبتسمًا:

– لقد رتبت أموري، ولست محتاجًا إلى أن أشغل نفسي بلا داعٍ. يمكنني أن أستمتع بوقت فراغي، وأقضي وقتي حيثما تقودني رغبتي، ورغبتي الحالية تتجه إلى "وورمزلي". رأى "لين مارتشمونت" ترفع رأسها وتنظر إليه متعمِّدة. ورأى أن "رولي" كان متضايقًا إلى حدٍّ ما عندما قال:

– أفترض أنك تمارس رياضة الجولف؟ هناك فندق أفضل بكثير في "وورمزلي هيث"، أما هذا فمحدود الإمكانات. فأجاب "بوارو" قائلا:

– تنصبُّ اهتماماتي كلية على "وورمزلي فيل". وقالت "لين":

– هيا بنا يا "رولي". تبعها "رولي"، شبه رافض. وعند الباب توقفت "لين" قليلاً، ثم عادت مسرعة، وتحدثت إلى "بوارو" بصوت هادئ خافت:

– لقد ألقوا القبض على "ديفيد هنتر" بعد التحقيق. هل تعتقد أنهم قد أصابوا في ذلك؟

– لم يكن أمامهم بديل يا آنستي بعد حكم المحلفين.

– ما أعنيه هو: هل تعتقد أنت أنه قد اقترف هذه الجريمة؟ فسألها "بوارو":

– هل تعتقدين أنت ذلك؟ ولكن "رولي" عاد ووقف بجوارها فبدت على وجهها سمات التوتر واضحة حيث قالت:

– إلى اللقاء يا سيد "بوارو". آمل في أن نلتقي ثانية. قال "بوارو" محدثًا نفسه: "إنني أتساءل الآن"، ثم بعد أن رتَّب مع "بياتريس ليبينكوت" حجز حجرة له خرج ثانية. قادته قدماه إلى منزل الدكتور "ليونيل كلود". قالت العمة "كاثي" التي فتحت له الباب راجعة

خطوة إلى الخلف:

– أوه! السيد "**بوارو**"!، وانحنى "**بوارو**" قائلاً:

– في خدمتك يا سيدتي. جئت لتقديم التحية.

– هذا جميل منك. أنا واثقة بذلك. نعم – حسنًا – أعتقد أنه من الأفضل أن تتفضل بالدخول. تفضل بالجلوس. أحضر لك قدحًا من الشاي لكن الكعك غير مناسب، كنت أعتزم الذهاب إلى متجر "**بيكوك**" لشراء قدر منه. يبيعون الـ "**سويس رول**" في أيام الأربعاء أحيانًا، ولكن موضوع التحقيق يخلّ بالنظام المعتاد في بيوتنا، ألا ترى ذلك؟ قال "**بوارو**":

– أنا مقدر هذا تمامًا. كان قد تصور أن "**رولي كلود**" تضايق من قوله إنه سيبقى في "**وورمزلي فيل**" بعض الوقت. أما أسلوب العمة "**كاثي**" فكان بلا أدنى شك بعيداً كل البعد عن مشاعر الترحيب. كانت ترمقه بنظرات لا تختلف كثيراً عن الخوف. قالت منحنية نحو الأمام، وهامسة بصوت تآمريّ خشن.

– لن تخبر زوجي بأنني أتيت إليك لاستشارتك بشأن ما حدثتك عنه أليس كذلك؟

– شفتاي مختومتان.

– ما أعنيه هو أنه لم تكن لديّ أدنى فكرة آنذاك عن أن "**روبرت أندرهيي**" المسكين كان في "**وورمزلي فيل**" بالفعل. لا يزال هذا يبدو لي مصادفة غاية في الغرابة! فقال "**بوارو**" مبديًا لها اتفاقًا معها في الرأي:

– كان الأمر أكثر سهولة لو أن لوحة "**الويجا**" قد وجهتك إلى الـ "**ستاج**" رأسًا. ابتهجت العمة "**كاثي**" قليلاً لذكر لوحة "**الويجا**". قالت:

– يبدو الأسلوب الذي تحدث به الأمور في عالم الأرواح غير محسوب إطلاقًا، ولكنني أشعر يا سيد "**بوارو**" بأن هناك هدفًا من كل ذلك. ألا تشعر بذلك في الحياة؟ أن هناك دائمًا هدفًا ما؟

– هذا صحيح يا سيدتي، حتى جلوسي هنا بحجرة استقبالكم الآن ينطوي على هدف ما. بدت السيدة "**كلود**" مذهولة بعض الشيء، وهي تقول:

– حقًّا؟ هناك هدف حقًّا؟ نعم. أعتقد ذلك. أنت في طريق عودتك إلى "**لندن**" بالتأكيد؟

– ليس الآن. أعتزم الإقامة في الـ "**ستاج**" بضعة أيام.

– في الـ "**ستاج**"؟ بذلك... الفندق! ولكن هناك وقعت.. آه يا سيد "**بوارو**"... هل

تظن أن اختيارك هذا حكيم؟ فقال "**بوارو**" بنبرة ورعة:

– اختياري الذهاب إلى الـ "**ستاج**" بإرشاد.

– بإرشاد؟! ماذا تعني؟

– بإرشاد منك أنت.

– ولكنني لم أعن قط.. أعني أنه لم تكن لديَّ أدنى فكرة. الموضوع كله مفزع جدًّا، ألا ترى ذلك؟ هزَّ "**بوارو**" رأسه بأسى، ثم قال:

– تحدثت مع السيد "**رولي كلود**" والآنسة "**مارتشمونت**". علمت أنهما سوف يتزوجان في المستقبل القريب جدًّا. تحول تفكير العمة "**كاثي**" عن مساره في الحال وقالت:

– "**لين**" الحبيبة فتاة حلوة، وذكية جدًّا فيما يتصل بالأرقام والحسابات. لم تصبح لديَّ المقدرة على الأرقام... ولا على أي نوع من التفكير. عودة "**لين**" إلى البلاد تعتبر بركة كبيرة لنا. عندما أقع في أخطاء كبيرة تصحح هي لي الأمور. إنها فتاة عزيزة. أتمنى لها السعادة. و"**رولي**" شخصية رائعة بالتأكيد وإن كان من الممكن أن يعتبر خاملاً إلى حدٍّ ما. أعني بالقياس بفتاة رأت من العالم قدر ما رأت "**لين**"، ذلك لأن "**رولي**" ظل هنا بالمزرعة طوال مدة الحرب، وكان هذا رأيًا صائبًا بالتأكيد أعني أن الحكومة هي التي أرادت له أن يبقى هنا، لكن ما أعنيه هو أن بقاءه هنا جعله محدودًا في أفكاره إلى حدٍّ ما.

– سبع سنوات من الخطبة تعد اختبارًا رائعًا للمشاعر.

– هذا صحيح! وإن كنت أعتقد أن أمثال هؤلاء الفتيات عندما يعدن إلى الوطن يشعرن بالقلق وعدم الاستقرار، وإذا كان هناك شخص آخر ممن لهم تجارب ومغامرات..

– من أمثال "**ديفيد هنتر**"؟ قالت العمة "**كاثي**" بشغف:

– لا شيء بينهما. لا شيء مطلقًا. أنا واثقة بذلك تمامًا! كان الوضع سيكون بشعًا لو كانت هناك علاقة بينهما. أليس كذلك؟ وبعدما تبين أنه قاتل؟ وقاتل زوج شقيقته؟ لا ياسيد "**بوارو**"، أرجوك ألا تتعجل بتكوين فكرة عن وجود أي تفاهم ما بين "**لين**" و"**ديفيد**". فالواقع أنهما بدوا على خلاف وشجار أكثر من أي شيء آخر في كل مرة اجتمعا فيها. ما أشعر به هو – يا إلهي! – أعتقد أن هذا زوجي قد أتى. أرجو أن تتذكر يا سيد "**بوارو**".. ألا تذكر كلمة واحدة عن لقائنا الأول، سوف يتضايق زوجي بشدة لو أنه ظن أن.. آه – عزيزي "**ليونيل**" – معنا هنا السيد "**بوارو**" الذي استطاع بمهارته المجيء بالرائد "**بورتر**" لمعاينة الجثة. بدا الدكتور "**كلود**" متعبًا مهزولاً. طافت عيناه بغموض في أرجاء الحجرة:

– أهلاً بك يا سيد "**بوارو**"، في طريق عودتك إلى المدينة؟ قال "**بوارو**" محدثًا نفسه: "ياإلهي! رجل آخر يعجّل بعودتي إلى "**لندن**"!" ثم قال بصوت مسموع وصبر:

– لا، سأبقى في الـ "**ستاج**" يومًا أو يومين. قطب "**ليونيل**" متسائلاً:

– في الـ "**ستاج**"؟ هل تريد الشرطة لك أن تبقى هنا بعض الوقت؟

– لا، إنها رغبتي الشخصية.

– حقيقة؟ ثم أشرق الطبيب فجاة بنظرة ذكية سريعة قائلا:

– لست مقتنعًا إذن؟

– ما الذي يجعلك تعتقد ذلك يا دكتور "**كلود**"؟

– قولي صحيح يا رجل. أليس كذلك؟ غادرت السيدة "**كلود**" الحجرة حتى تعد الشاي بينما استطرد الطبيب قائلا:

– لديك إحساس بأن شيئًا ما ليس صحيحًا، أليس كذلك؟ ذهل "**بوارو**" وقال:

– غريب أن تقول ذلك! هل هذا إذن هو إحساسك أنت؟ تردد "**كلود**" قليلاً:

– لا. ليس هذا. ربما يكون إحساسًا بعدم الواقعية. نقرأ في الكتب أن المبتزّ أو المحتال يضرب بعنف. فهل هذا ما يحدث له في واقع الحياة؟ يبدو أن الإجابة بالإثبات، ولكنها لا تبدو طبيعية.

– هل هناك شيء ما غير مستوفٍ في الجانب الطبي من القضية؟ أسأل بصفة غير رسمية بالتأكيد. قال الدكتور "**كلود**" متأملاً:

– لا، لا أعتقد هذا.

– نعم، هناك شيء ما. يمكنني أن أرى أن هناك شيئًا ما... كان يمكن لصوت "**بوارو**" أن يتخذ له نبرة منوّمة نزولاً على إرادته. قطب الدكتور "**كلود**" قليلاً، ثم قال على نحو متردِّد:

– من المؤكد أنه ليست لديّ أدنى خبرة بالقضايا البوليسية، وعلى أية حال فإن التقرير الطبيّ ليس ذلك العمل الملزم الصارم الباتّ الذي يعتقده الروائيون أو العامّة. فنحن معرّضون للوقوع في الأخطاء.. العلوم الطبية معرَّضة للخطإ. فما هو التشخيص؟ إنه ليس سوى تخمين قائم على قدر ضئيل من المعرفة وبعض المؤشرات غير المحددة التي تشير إلى أكثر من اتجاه واحد. ربما أكون مصيبًا تمامًا في تشخيص حالة إصابة بالحصبة؛ لأنني شاهدت في خلال حياتي المئات من حالات الحصبة، وأعرف عددًا كبيرًا من أنواع العلامات والأعراض الخاصة

بهذا المرض. ونادراً ما ترى ما يفيد الكتاب الدراسي بأنه الحالة النموذجية للإصابة بالحصبة، ولكنني رأيت بعض الحالات الغريبة في أثناء ممارستي لمهنتي، رأيت امرأة فوق منضدة العمليات تستعد لاستئصال الزائدة الدودية، وتم تشخيص حالتها في آخر لحظة بأنها إصابة بالباراتايفويد! ورأيت طفلا مصاباً بمرض جلديّ تم تشخيصه بواسطة طبيب شاب مشهود له بالجدّية ويقظة الضمير بأنه نقص شديد في الفيتامينات، ثم يأتي الطبيب البيطري بالوحدة المحلية، ويهمس للأم بأن القطة التي يلعب طفلها معها مصابة بالقوباء الحلقية وأن العدوى قد انتقلت إلى الطفل! الأطباء مثل سائر الناس ضحايا للأفكار التي يتم تصوُّرها مسبقًا. ونحن الآن بصدد رجل واضح أنه مقتول ومطروح على الأرض وبجواره ملقط مدفأة ملطخ بالدماء. من الهراء القول بأنه قد ضرب بشيء آخر غير هذا الملقط ومع ذلك – ومن منطلق عدم خبرة تامة بأناس هشمت جماجمهم إلى الداخل– كنت أتوقع شيئًا مختلفًا، شيئًا ليس مصقولاً ولا مستديراً بهذه الدرجة – شيئًا... آه لا أدري... شيئًا ذا حافة قاطعة بقدر أكبر... قالب طوب أو شيئًا من هذا القبيل.

– لم تذكر هذا في التحقيق؟

– لا؛ لأنني لا أعرف بحق. وقد اكتفى "جينكينز" بهذا التقرير واقتنع، وهو الرجل المسؤول الذي يُعتدُّ برأيه، ولكن هناك الفكرة المتصوَّرة مسبقًا وهي السلاح الملقى بجوار الجثة. هل من الممكن أن تكون الإصابة قد نتجت من استخدام هذا السلاح؟ نعم. هذا ممكن، ولكن إذا عرضت عليك الإصابة وسُئِلت عن الشيء الذي سببها – حسنًا – لا أدري ما إذا كنت ستقول ذلك؛ لأنه لا يبدو معقولا، ما أعنيه هو أنه لو كان هناك فردان أحدهما ضربه بقالب طوب والآخر بالملقط... توقف الطبيب عن الحديث، وهز رأسه عن عدم اقتناع، ثم قال مخاطبًا "بوارو":

– لا معنى لهذا، ألا ترى ذلك؟

– هل من الممكن أن يكون قد سقط على شيء حاد؟ فهز الطبيب رأسه:

– كان ملقى على الأرض في وسط الحجرة ووجهه إلى أسفل فوق طنفسة سميكة محاكة آليًّا وعتيقة الطراز. وتوقف عن الحديث عندما دخلت زوجته الحجرة، ثم قال:

– ها هي "كاثي" تحمل إلينا الشاي. حملت "كاثي" صينية عليها آنية فخارية ونصف رغيف خبز وقدر من المربى كئيبة الشكل بقاع قِدرٍ سعة ما يزن كيلو جراما. قالت بنبرة تشكك، وهي ترفع غطاء براد الشاي، وتنظر بداخله:

– أعتقد أن الماء كان يغلي. قال الدكتور "**كلود**" مزمجراً مرة أخرى:

– صينية الشاي، ثم غادر الحجرة فقالت زوجته:

– مسكين "**ليونيل**". أعصابه بحالة سيئة منذ قيام الحرب. أجهدته كثرة العمل في غياب عدد كبير من الأطباء. لم يمنح نفسه راحة قط. ظل خارج البيت صباحًا وظهراً ومساءً. يدهشني أنه لم يُصبْ بالانهيار. من المؤكد أنه كان يتطلع إلى التقاعد فور انتهاء الحرب. كان قد رتَّب لكل ذلك مع "**جوردون**". هوايته هي علم النبات مع اهتمام خاص بمعرفة الأعشاب الطبية واستخداماتها في العصور الوسطى. إنه يؤلف حاليًّا كتابًا عنها. كان يتطلع إلى حياة هادئة والقيام بالأبحاث اللازمة، لكن عندما تُوفّي "**جوردون**" بهذه الطريقة المفاجئة – حسنا – تعلم يا سيد "**بوارو**" أحوال البلد في هذه الأيام. الضرائب وما إلى ذلك، لا يمكنه أن يتقاعد في ظل هذه الظروف، وقد أصابه هذا بالمرارة، ولا عدل في هذا. وفاة "**جوردون**" المفاجئة دون أن يكتب وصية. لقد هزت ثقتي وإيماني بشدة. ما أعنيه هو أنني لا أرى هدفًا في ذلك، بل لم يسعْني سوى أن أشعر بأن هذه الوفاة قد حدثت خطأً. تنهدت ثم عاودها قدر من المرح فقالت:

– ولكنني أحصل على قدر من الطمأنينة من الجهة الأخرى: "بالشجاعة والصبر سوف يتم الاهتداء إلى وسيلة ما". وحقيقة عندما وقف الرائد "**بورتر**" الظريف اليوم وقال بأسلوبه الرجولي الحازم إن القتيل المسكين هو "**روبرت أندرهيي**" – شعرت بأنه قد تم الاهتداء إلى الوسيلة! هذا مدهش – أليس كذلك يا سيد "**بوارو**"؟ كيف تتحول الأمور إلى الأفضل! فقال "**هيركيول بوارو**":

– حتى جريمة القتل؟

– 7 –

دخل "**بوارو**" الـ "**ستاج**" تغْلب عليه حالة من التفكير، وبدا مرتعشًا قليلاً بسبب ريح شرقية عاتية هبت على المنطقة في تلك اللحظة. كان البهو خاليًا، فدفع باب الاستراحة الموجودة في اليمين ففتحه. كانت تفوح منها رائحة تدخين قديمة ونار المدفأة بها شبه خامدة. واصل "**بوارو**" طريقه إلى الباب الموجود به البهو والذي يحمل لافتة كتبت عليها عبارة: "للنزلاء فقط". وجد هناك مدفأة مشتعلة ولكن فوق مقعد مجنَّح كبير كانت سيدة مسنَّة أثرية تجلس بارتياح تدفِّئ قدميها. رمقت "**بوارو**" بنظرة شرسة جعلته يتراجع إلى الخلف

معتذرًا. وقف بالبهو لحظة يطل من المكتب الخالي المحاط بالزجاج على الباب الذي يحمل لافتة كتب عليها بأحرف جريئة عتيقة الطراز: "حجرة القهوة". كان "بوارو" من واقع خبرته بالفنادق الريفية يعلم أن التوقيت الوحيد الذي تقدم القهوة فيه هناك هو مع الفطور، وأنه حتى ذلك التوقيت كان الحليب (اللبن) المضاف إليه الماء هو المكوِّن الرئيسي للقهوة. أما أقداح القهوة الصغيرة المحتوية على سائل عكر يسمونه القهوة السوداء غير المحتوية على الحليب فكانت لا تقدم في حجرة القهوة بل في الاستراحة. أما حساء "وندسور" وشرائح لحم "فينّا" والبطاطس والبودينج التي تتألف منها وجبة العشاء، فكانت تقدم في حجرة القهوة في تمام السابعة. وحتى تلك الساعة خيم السلام التام على أماكن الإقامة بالفندق. صعد "بوارو" الدرج مستغرقًا في التفكير، وبدلاً من أن يتجه يسارًا إلى حيث كانت حجرته رقم (11) انعطف يمينًا، وتوقف أمام باب الحجرة رقم (5). نظر حوله ،ولم يكن هناك سوى الصمت والخواء. فتح الباب ودخل. كانت الشرطة قد انتهت من إجراءاتها المتعلقة بالحجرة، وكان واضحًا أن جهدًا معقولاً قد بُذل لتنظيفها وترتيبها. لم تكن هناك طنفسة على الأرض؛ إذ ربما يكون البساط العتيق الطراز قد بُعث به إلى أحد محلات التنظيف المتخصصة، وكانت الأغطية مطويّة وموضوعة فوق الفراش بعناية أنيقة. أغلق "بوارو" الباب خلفه، وبدأ يتجول في الحجرة. كانت نظيفة وخالية تمامًا من الاهتمامات البشرية. أخذ "بوارو" يراجع محتوياتها وهي مكتب، وخزانة ذات أدراج من المهاجوني عتيق الطراز، وخزانة ملابس مرتفعة من نوعية الاخشاب ذاتها. ربما تكون هي الخزانة الحاجبة للباب المؤدي إلى الحجرة رقم (4)، وسرير مزدوج من النحاس، وحوض غسيل مزود بالماء الساخن والباردتمشيًا مع الحداثة ونقص الأيدي العاملة، ومقعد مجنح كبير وإن لم يكن مريحا، ومقعدان صغيران، ومدفأة عتيقة على الطراز الفيكتوري، وملقط ومجرفة مثقوبة تنتمي إلى مجموعة الملقط ذاتها، ورف مدفاة من الرخام الثقيل، وإفريز مدفاة من الرخام الصلب مربّع الأركان. على الإفريز انحنى "بوارو" واخذ يفحص. بلَّل إصبعه قليلاً ومرره على الركن الأيمن، ثم فحص النتيجة. تلوَّن إصبعه بلون أسود خفيف. كرر العملية باستخدام إصبع آخر مرره على الركن الأيسر للإفريز. وفي هذه المرة كان إصبعه نظيفًا تمامًا. قال محدثا نفسه: "نعم. نعم"، ثم نظر إلى حوض الغسيل، ثم توجه إلى النافذة. كانت تطل على بعض المخارج – سقف أحد الجراجات – وفقًا لتصوُّره، ثم إلى ممر خلفي صغير. طريقة سهلة لدخول الحجرة رقم (5) دون أن يلاحظ ذلك أحد. فهذا ما فعله هو بنفسه الآن. غادر "بوارو"

الحجرة بهدوء، وأغلق الباب من خلفه. توجه إلى الحجرة الخاصة به وكانت قارسة البرودة. نزل إلى الطابق الأدنى ثانية. تردد قليلاً، ثم دخل الحجرة المعنونة "للنزلاء فقط"، بدافع من شدة برودة الجو في ذلك المساء. جذب مقعداً ثانياً إلى المدفأة، وجلس عليه. بدت العجوز الأثرية أكثر شراسة عن قرب. كانت ذات شعر رمادي بلون الفولاذ وشاربين خفيفين وصوت يبعث الرهبة في النفوس عندما تتكلم. قالت:

– هذه الاستراحة مخصصة للمقيمين بالفندق، وأجابها "هركيول بوارو" قائلا:

– وأنا مقيم بالفندق. أخذت العجوز تفكر قليلاً قبل استئناف الهجوم، ثم قالت:

– أنت أجنبي؟ وأجاب "هيركيول بوارو":

– نعم. فقالت العجوز:

– رأيي أنه ينبغي لكم جميعًا العودة. فسألها "بوارو":

– العودة إلى أين؟ فقالت العجوز بحزم:

– من حيث أتيتم، ثم أضافت بصوت خافت:

– أجانب! فقال "بوارو" بهدوء:

– هذا صعب. فقالت العجوز:

– هراء! هذا ما خضنا الحرب من أجله. أليس كذلك؟ حتى يعود الناس إلى بلادهم، ويبقوا بها. لم يدخل "بوارو" معها في نقاش. كان قد اقتنع بالفعل بأن كل فرد له مفهومه الخاص عن موضوع: "من أجل ماذا خضنا هذه الحرب؟". خيم صمت لم يخلُ من مشاعر العداء قالت العجوز بعده:

– لا أدري إلى أي شيء سوف تنتهي الأمور. لا أعلم بحق. آتي في كل عام وأقيم بهذا الفندق. توفي زوجي هنا منذ ستة عشر عامًا ودُفن هنا. آتي إلى هنا شهرًا في كل عام. قال "بوارو" بنبرة مهذبة:

– رحلة حج ورعة.

– وفي كل عام تسوء الأمور بقدر أكبر. خدمة سيئة والطعام لا يؤكل، ويقولون إنهم يقدمون شرائح لحم "فينًا"! شرائح اللحم يجب أن تؤخذ من كَفَل الأبقار لا من لحوم الخيل! هزّ "بوارو" رأسه بأسى بينما استطردت العجوز قائلة:

– الشيء الجيد الوحيد الذي فعلوه هو أنهم أغلقوا المطار. كان مخزيًا بحق. كل هؤلاء الشبان العاملين بالخدمات الجوية كانوا يأتون إلى هنا بصحبة فتيات بشعات. فتيات! لا أدري

فيما تفكّر أمهاتهن في هذه الأيام بتركهن يتجولن بهذه الطريقة. ألوم الحكومة على ذلك، فهي التي تبعث بالأمهات للعمل بالمصانع، ولا تعفيهن إلا في حالة وجود أطفال صغار. والأطفال الصغار هراء لا قيمة له! يمكن لأي إنسان العناية بطفل صغير. فالطفل الصغير لاينطلق عدواً في تعقُّب الجنود. أما البنات في سن الرابعة عشرة أو الثانية عشرة فهن اللواتي يحتجن إلى من يرعاهن! يحتجن إلى أمهاتهن. الأم هي التي تعرف ما تريده الابنة وما ترمي إليه. الجنود! والطيارون! وأفراد أطقم الطائرات! هذا هو كل ما يفكرْنَ فيه! عند هذه النقطة دفع الازدراء بالسيدة العجوز إلى السعال. وعندما أفاقت واصلت حديثها بحماس شديد واتخذت من "بوارو" هدفًا لكراهيتها:

– لماذا يسيِّجون معسكراتهم بالأسلاك الشائكة؟ حتى يمنعوا جنودهم من مهاجمة البنات؟ لا بل ليمنعوا البنات من الهجوم على الجنود! فهنّ متيِّمات بالرجال! انظر إلى الأسلوب الذي يظهرن به في ثيابهن. البنطلون! والفقيرات منهن يرتدين البنطلون القصير! ما كن سيرتدين هذه الملابس لو علمن كيف يبدون من الخلف!

– أتفق معك يا سيدتي. أتفق معك بحق.

– وماذا يرتدين على رؤوسهن؟ قبعات حقيقية؟ أبداً – ليس سوى قطعة نسيج ملتفة ويغطين وجوههن بالألوان والمساحيق، ومواد مقزِّزة على الأفواه، ولا أظافر أيدي حمراء فقط، بل أظافر أقدام حمراء أيضًا! توقفت العجوز عن الكلام فجاة ونظرت إلى "بوارو" متوقعة أن يقول شيئًا. أما هو فتنهد وهزّ رأسه. عادت العجوز تقول:

– حتى في الكنيسة. لا قبعات. ولا حتى تلك الشملات السخيفة في بعض الأحيان. لا أكثر من ذلك، الشعر المجعَّد القبيح ذو التموجات المستديمة. الشعر؟ لا أحد في هذه الأيام يعرف ما هو الشعر. عندما كنت صغيرة السن كان من الممكن أن أجلس فوق شعري. اختلس "بوارو" نظرة إلى خصلات الشعر الفولاذية الرمادية، وبدا له مستحيلا أن تكون هذه المسنة الشرسة قد كانت شابة في يوم من الأيام! استطردت السيدة تقول:

– اطلت براسها من هنا في إحدى الليالي – إحداهن فعلت هذا – مربوطة بشملة برتقالية ووجهها مغطى بالألوان والمساحيق. نظرتُ إليها. نظرتُ إليها فقط! وسرعان ما انصرفت! ثم استطردت تقول:

– لم تكن نزيلة بالفندق. لا واحدة من نوعيتها تقيم هنا، ويسرني أن أقول هذا! ماذا إذن كانت تفعل، وقد خرجت من حجرة نوم احد الرجال؟ أرى أن هذا مقزِّز، وقد أخبرتُ الفتاة

"ليبينكوت" بها – ولكنها في مثل سوء أي منهن – لا تتردد في أن تسعى كيلومترًا كاملاً وراء أي شيء يرتدي بنطلونًا. تولد بذهن "بوارو" اهتمام خافت. سألها:

– خرجتْ من حجرة نوم رجل؟ تناولت العجوز الموضوع بحماس شديد:

– هذا ما قلته. رأيتها بعينيْ رأسي تخرج من الحجرة رقم (5).

– في أي من الأيام كان هذا يا سيدتي؟

– في اليوم السابق على الضجة التي حدثت بشأن الرجل الذي قُتل. أمر مشين أن يقع مثل هذا الحادث هنا! كان هذا الفندق من نوعية الأماكن القديمة المحترمة. أما الآن...

– في أية ساعة من اليوم كان ذلك؟

– يوم؟ لم يكن في وقت النهار على الإطلاق. في المساء. وفي ساعة متأخرة من المساء أيضًا. أمر مخزٍ جدًا. بعد الساعة العاشرة. أذهب إلى الفراش في العاشرة والربع، وبكل جرأة تخرج من الحجرة رقم (5)، وتنظر إليَّ، ثم تعود مسرعة إلى الداخل وتضحك وتتحدث مع الرجل الذي بالحجرة.

– هل سمعته يتكلم؟

– ألم أقل لك هذا؟ عادت مسرعة إلى الداخل فحدثها بصوت عالٍ قائلاً: "اخرجي من هنا. لقد سئمت". هل هذا أسلوب يحدث رجل به فتاة! ولكنهن يطلبن ذلك! فاجرات! قال "بوارو":

– ألم تبلغي الشرطة بهذا؟ رمقته بنظرة تعالٍ، ثم نهضت من فوق مقعدها بعناء، ووقفت تطل عليه من فوق رأسه قائلة:

– لم يكن بيني وبين الشرطة أي تعامل مطلقًا. الشرطة! انا أتواجد في محكمة شرطة؟ ارتعشت غضبًا وبنظرة ملؤها الشر إلى "بوارو" غادرت الحجرة. جلس "بوارو" بضع دقائق مفكرًا يمسِّد أحد شاربيه. ذهب بعد ذلك يبحث عن "بياتريس ليبينكوت".

– نعم يا سيد "بوارو"، تعني السيدة "ليدبيتر"؟ "كانون ليدبيتر" ارملة تاتي إلى هنا مرة كل عام، لكن لا اكتمك سرًا إنها محنة أكثر منها أي شيء آخر، وتتعامل مع الناس بوقاحة صارخة في بعض الأحيان، ويبدو أنها لا تعلم أن كل شيء قد تغير الآن. إنها في حوالي الثمانين بالتاكيد.

– ولكنها تتمتع بصفاء الذهن، وعلى علم تام بما تقول.

– نعم إنها يقظة تمامًا، وإلى حدٍّ مبالغ فيه في بعض الأحيان.

– هل تعرفين من كانت الفتاة التي زارت القتيل في مساء الثلاثاء؟ بدت الدهشة واضحة على "بياتريس"، وقالت:

– لا أذكر أن أية امرأة حضرت لزيارته في أي وقت كان. كيف كانت تبدو؟

– كانت تحيط رأسها بشملة برتقالية اللون ووفقًا لتصوري كانت زينة وجهها صارخة. كانت في الحجرة رقم (5) تتحدث مع "آردن" في العاشرة والربع من مساء الثلاثاء.

– في الواقع يا سيد "بوارو" ليست لديَّ أدنى فكرة. ذهب "بوارو" مستغرقًا في التفكير ليبحث عن المراقب "سبينس". استمع "سبينس" إلى قصة "بوارو" في صمت، ثم استند إلى الخلف فوق مقعده، وهزَّ رأسه ببطء، ثم قال:

– غريب! أليس كذلك؟ كم من مرة تعود إلى المقولة القديمة ذاتها: "ابحث عن المرأة". لم يكن نطق المراقب للغة الفرنسية في مثل تميُّز الرقيب "جنريفز" لها، ولكنه كان مع ذلك فخوراً به. نهض متوجِّهًا إلى الجانب الآخر من الحجرة، ثم عاد وبيده شيء ما. كان إصبع أحمر شفاه بداخل غلاف مذهَّب من الورق المقوى. قال:

– كانت لدينا طوال الوقت هذه العلامة على احتمال تورُّط امرأة في هذا الموضوع. أمسك "بوارو" بالإصبع ووضع علامة صغيرة منه على ظهر راحة يده قائلاً:

– نوعية جيدة – أحمر الكريز القاتم – ربما تستخدمه سمراء.

– نعم، عُثر عليه على أرضية الحجرة رقم (5). كان قد تدحرج إلى أسفل الخزانة ذات الأدراج، ومن الممكن أنه قد كان هناك منذ فترة. لا بصمات عليه. لم تعدْ هناك في هذه الأيام تلك المجموعة الكبيرة من أصابع أحمر الشفاه التي كانت موجودة فيما قبل بل يوجد عدد قليل من المنتجات القياسية وحسب.

– وما من شك في أنك قد قمت بتحرياتك؟ ابتسم "سبينس" قائلا:

– نعم. كما قلت – أجرينا تحرياتنا. تستخدم "روزالين كلود" هذه النوعية من أحمر الشفاه. وكذلك "لين مارتشمونت"، وتستخدم "فرانسيس كلود" لونًا أكثر قتامة، ولا تستخدم السيدة "ليونيل كلود" أحمر الشفاه مطلقًا، والسيدة "مارتشمونت" تستخدم لونًا بنفسجيًا باهتًا. ولا يبدو أن "بياتريس ليبينكوت" تستخدم نوعية غالية الثمن كهذه، وهذا ينطبق أيضًا على "جلاديس" معاونتها المختصة بالغرف. توقف عن الكلام فقال "بوارو":

– لقد توخيت الدقة.

– ليس بما يكفي. يبدو الآن وكان شخصية دخيلة لها علاقة بالموضوع، امرأة. ربما كان "أندرهيي" على علاقة بها في "وورمزلي فيل".

– وكانت معه في العاشرة والربع من مساء الثلاثاء؟ فقال "سبينس":

– نعم، ثم أضاف متنهداً:

– وهذا يبرئ ساحة "ديفيد هنتر".

– هل ترى ذلك؟

– نعم. فقد وافق معاليه اخيراً على الإدلاء بأقواله، بعد محاولة محاميه معه بالتعقُّل. وإليك تقريراً بتحركاته. وقرأ "بوارو" مذكرة منظمة منسوخة على الآلة الكاتبة:

"غادرت "لندن" بقطار الرابعة وست عشرة دقيقة قاصداً "وورمزلي هيث". وصلت إلى هناك في الخامسة والنصف. توجهت إلى "فاروبانك" سيراً على قدميَّ سالكًا طريق المشاة. قاطعه المراقب قائلاً:

– والسبب في مجيئه – طبقًا لأقواله – هو أن يأخذ أغراضًا معينة كان قد نسيها عبارة عن: خطابات وأوراق ودفتر شيكات، وليرى ما إذا كانت بعض قمصانه قد أعيدت من المغسلة، ولم تكن قد أعيدت بالتأكيد. رأيي أن المغاسل أصبحت مشكلة في هذه الأيام. لم يأتنا أحد منهم منذ أربعة أسابيع كاملة بحيث لم يبق ببيتنا ولا منشفة نظيفة واحدة، وتقوم الزوجة الآن بغسل جميع متعلقاتي بنفسها. بعد هذا الطرح الإنساني استأنف المراقب قراءة التقرير الخاص بتحركات "ديفيد":

"غادرت "فاروبانك" في السابعة وخمس وعشرين دقيقة. ويقول إنه ذهب للتمشي؛ لأنه لم يتمكن من اللحاق بقطار الساعة السابعة والثلث، ولأنه لن يكون هناك قطار حتى الساعة التاسعة والثلث". سأل "بوارو":

– في أي اتجاه ذهب للتمشي؟ اطّلع المراقب على مذكراته، ثم قال:

– يقول في اتجاه أيكة "دون" وجبل "باتس" و "لونغ ريدج".

– يكون بذلك قد قام بجولة على هيئة دائرة كاملة حول البيت الأبيض!

– أنت سريع في استيعاب جغرافية المنطقة يا سيد "بوارو"! ابتسم "بوارو" وهز رأسه قائلاً:

– لا، في الواقع، إنني لم أتعرف الأماكن التي ذكرتها، ولكنني كنت أخمِّن فقط. أمال المراقب رأسه جانبا وهو يقول:

– آه. كنت تخمّن، أليس كذلك؟ ثم – طبقا لأقواله – عندما بلغ "**لونج ريدج**" تبين أنه كان يغير اتجاهه بطريقة مناسبة تؤدي به إلى محطة "**وورمزلي هيث**" – عبر الريف – في توقيت مناسب، ثم لحق بالقطار في آخر لحظة حيث وصل إلى محطة "**فيكتوريا**" في العاشرة وخمس وأربعين دقيقة، وتوجّه إلى "**شبردز كورت**" حيث وصل في الحادية عشرة، وأكدت السيدة "**جوردون كلود**" هذه المعلومة الأخيرة.

– وأي تأكيد لديك على باقي هذا التقرير؟

– قدر ضئيل جدًّا، ولكن لديّ بعض التأكيد. رآه "**رولي كلود**" وآخرون لدى وصوله "**وورمزلي هيث**". لم تكن الخادمات بالمنزل في "**فاروبانك**" (معه مفتاحه الخاص بالتأكيد) لهذا لم يرينْه، ولكنهن عثرن على عقب سيجارة بحجرة المكتبة. أعتقد أنه قد سبب لهن حيرة كبيرة، كما وجدن قدراً كبيراً من عدم النظام بخزانة حفظ أغطية الفراش. ثم إن أحد العاملين بالحديقة كان يعمل بها حتى ساعة متأخرة، كان يغلق المشاتل أو يفعل شيئًا من هذا القبيل ولمحه هناك. وقابلته الآنسة "**مارتشمونت**" عند غابة "**ماردون**" عندما كان يعدو للّحاق بالقطار.

– هل رآه أحد يركب القطار؟

– لا، ولكنه اتصل هاتفيًّا من "**لندن**" بالآنسة "**مارتشمونت**" في الساعة الحادية عشرة وخمس دقائق فور عودته إلى هناك.

– هل تم التحقق من هذا؟

– نعم، كنا قد تقدمنا باستفسار عن المكالمات التي تمت من ذلك الرقم وتحققنا من صدور مكالمة خارجية في الحادية عشرة وأربع دقائق إلى "**وورمزلي فيل – 34**" وهذا هو رقم بيت آل "**مارتشمونت**". فقال "**بوارو**" متمتمًا:

– أمر مثير للاهتمام جدًّا. ولكن "**سبينس**" كان يواصل حديثه بجدية منهجية.

– ترك "**رولي كلود**" "**آردن**" في التاسعة إلا خمس دقائق، وهو واثق بأنه لم يتركه قبل ذلك. في حوالي التاسعة وعشر دقائق ترى "**لين مارتشمونت**" "**هنتر**" عند غابة "**ماردون**". لو افترضنا أنه قد قطع المسافة من الـ"**ستاج**" عدواً فهل من الممكن أن يكون قد توفر لديه الوقت الكافي لمقابلة "**آردن**" والشجار معه وقتله والوصول إلى غابة "**ماردون**"؟ لا أرى أن هذا ممكن، على أية حال إننا الآن نبدأ من جديد. بعيداً عن أن "**آردن**" قد قُتل في الساعة التاسعة، كان على قيد الحياة في العاشرة وعشر دقائق. هذا ما لم تكن السيدة العجوز التي

وافتك بهذه المعلومة كانت تحلم، وبذلك إما أن يكون قد قتل بواسطة المرأة التي سقط منها إصبع أحمر الشفاه والتي كانت تضع على رأسها شملة برتقالية، وإما بيد شخص آخر دخل الحجرة بعدما انصرفت تلك المرأة. وأيًا من كان مقترف هذه الجريمة فقد تعمّد إعادة عقارب الساعة إلى التاسعة وعشر دقائق. فقال "**بوارو**" :

– وهذا ما يعني انه لولا أن "**ديفيد هنتر**" قد التقى مصادفة بـ "**لين مارتشمونت**" في مكان غير متوقع إطلاقًا، لكان قد أصبح في موقف لا يحسد عليه؟

– نعم، هذا صحيح. قطار التاسعة والثلث هو آخر قطار من محطة "**وورمزلي هيث**"، وكان الظلام قد بدأ يحل، ودائمًا ما يستقله عدد كبير من لاعبي الجولف في طريق عودتهم. ما كان أحد سيلحظ وجود "**هنتر**". في الواقع إن العاملين بالمحطة لن يعرفوه إذا ما رأوْه رأي العين، ولم يستقل سيارة أجرة عند وصوله إلى محطة القطار، وبذلك لا يكون لدينا سوى شهادة شقيقته بأنه قد عاد إلى "**شبردز كورت**" في التوقيت الذي قال إنه قد عاد فيه. ظل "**بوارو**" صامتًا، وسأله "**سبينس**" :

– فيم تفكّر يا سيد "**بوارو**"؟ فقال "**بوارو**" :

– جولة طويلة على القدمين حول البيت الأبيض، ولقاء في غابة "**ماردون**"، واتصال هاتفي فيما بعد، و "**لين مارتشمونت**" مخطوبة لـ "**رولي كلود**". إني أتوق إلى معرفة ما قيل في هذا الاتصال الهاتفي.

– الاهتمام البشري هو الذي يلح عليك؟ فقال "**بوارو**" :

– نعم. إنه الاهتمام البشري دائمًا.

– 8 –

كان الوقت قد تأخر لكن لم تزل هناك مكالمة أخرى يريد "**بوارو**" إجراءها. واصل السير إلى منزل "**جيريمي كلود**"، وهناك أدخلته خادمة صغيرة الحجم بادية الذكاء مكتب "**جيريمي كلود**". وأخذ "بوارو" يتجول ببصره في أرجاء الحجرة باهتمام إذ إنه كان بمفرده فيها. رأى أن الرجل ملتزم بالقانون في كل شيء حتى في بيته. كانت فوق المكتب صورة نصفية كبيرة لـ "**جوردون كلود**" وصورة أخرى باهتة قليلاً لـ اللورد "**إدوارد ترينتون**" ممتطيًا صهوة جواده. كان "**بوارو**" يتأمل هذه الصورة الأخيرة عندما دخل "**جيريمي كلود**" الحجرة. قال "**بوارو**" معتذرًا وهو يعيد الصورة بقدر من الارتباك :

– آه، آسف جدًا. فقال "جيريمي" ونبرة تهنئة للذات تشوب صوته:

– إنه والد زوجتي، وهذا أحد أفضل أفراسه – "تشسْتنات ترينتون" كان ترتيبه الثاني في سباق "ديربي" عام 1924. هل لديك اهتمام بسباقات الخيل؟

– لا، إطلاقًا! فقال "جيريمي" بنبرة جافة:

– إنها تربح أموالاً وفيرة. كان اللورد "إدوارد" مولعًا بها فقد اضطر إلى السفر والحياة خارج البلاد. نعم إنها رياضة مكلّفة. ولم تزل نبرة الزهْو في صوته. كان "بوارو" ذاته يفضل أن يلقي بماله إلى الشارع على أن يستثمره في جواد، ولكنه كان يكنّ إعجابًا خفيًّا واحترامًا لمن يمارسون تلك الهواية. استطرد "كلود" قائلاً:

– ماذا يمكنني أن أفعل من أجلك يا سيد "بوارو"؟ أشعر بأننا كعائلة مدينون لك بالمعروف؛ لاهتدائك إلى الرائد "بورتر" وإقناعه بإدلاء شهادة معرفة شخصية القتيل. فقال "بوارو":

– تبدو العائلة مبتهجة بهذا. فقال "جيريمي" بنبرة جافة:

– لم يزل الوقت مبكرًا على الارتياح. لم يزل هناك الكثير من التحقيقات والإجراءات التي يتعين القيام بها؛ لأن وفاة "أندرهيي" سبق اعتمادها والتصديق عليها في "إفريقيا". على الأقل فإن الرجوع في إجراءات من هذه النوعية يستغرق سنوات، وكانت شهادة "روزالين" إيجابية تمامًا، إيجابية إلى أقصى حدٍّ في الواقع، وأتت بانطباعٍ جيدٍ كما ترى. بدا الأمر وكأن "جيريمي كلود" كان رافضًا أن يعوِّل على أي تحسين في تطلعاته. قال:

– لا أحب أن أصدر حكمًا في هذا الاتجاه أو ذاك. لا يمكنني التكهن بالمسار الذي من الممكن أن تسلكه أيٌّ من القضايا. ثم دفع جانبًا ببعض الأوراق بأسلوب مهموم، ثم قال:

– ولكنك أردت مقابلتي؟

– كنت أريد أن أستفهم منك يا سيد "كلود" عما إذا كنت واثقًا تمامًا بأن شقيقك لم يترك وصية. أعني وصية كتبها بعد زواجه. بدا "جيريمي" دهشًا وقال:

– لا أعتقد أن هناك أدنى فكرة عن شيء كهذا. من المؤكد أنه لم يكتب وصية قبل مغادرته "نيويورك".

– ربما يكون قد كتب وصية خلال اليومين اللذين قضاهما في "لندن".

– ذهب إلى محامٍ هناك؟

– أو ربما يكون قد كتبها بنفسه.

– وحصل على شهادة شاهدين عليها؟ من هما هذان الشاهدان؟ فقال **"بوارو"** مذكرًا:

– كان بالمنزل ثلاثة من الخدم. ثلاثة خدم تُوفوا في لحظة وفاته ذاتها.

– هذا صحيح لكن حتى لو كان قد كتب مثل هذه الوصية فلابد أن تكون قد دُمرت أيضًا.

– هذه هي النقطة المهمة. في الآونة الأخيرة أمكن قراءة محتويات مستندات كثيرة كان من المعتقد أنها قد هلكت كلية لتعرضها لتلف حديث. تحوَّلت إلى رمادٍ بداخل خزائن منزلية – على سبيل المثال، ولكنها لم تكن قد دمرت بحيث تستحيل قراءتها.

– فكرة رائعة هذه. ذكية بالفعل، ولكنني لا أعتقد.. لا.. لا أعتقد في الواقع أن بها أي شيء، وطبقًا لمعلوماتي لم يكن بالمنزل الكائن في **"شيفيلد تيراس"** خزانة. كان **"جوردون"** يحتفظ بجميع الأوراق ذات القيمة وما إلى ذلك بمكتبه، ومن المؤكد انه لم تكن هناك أية وصية. فقال **"بوارو"** بإلحاح:

– ولكن يمكننا أن نستفسر من السلطات المعنية بمثل هذه الأمور. على سبيل المثال، هل تفوضني في أن أقوم بهذه المهمة؟

– بكل تأكيد... بكل تأكيد. وكرم منك أن تعرض القيام بشيء كهذا، ولكن للأسف ليس لديَّ أدنى أمل في نجاحك في هذه المهمة. ومع ذلك هناك فرصة وإن كانت ضئيلة جدًا على ما أفترض. هل ستعود إلى **"لندن"** فورًا إذن؟ طرفت عينا **"بوارو"**. كانت نبرات صوت **"جيريمي"** شغوفة بما لا يدع مجالاً للخطإ. يعود إلى **"لندن"**.. هل يريد الجميع الخلاص منه؟ قبل أن تتاح له الفرصة ليجيب، فُتح الباب، ودخلت **"فرانسيس كلود"**.. استوقف **"بوارو"** أمران: أولهما أنها بدت مريضة بدرجة مذهلة، وثانيهما قرب الشبه بينها وبين صورة والدها. قال **"جيريمي"** بلا داعٍ يذكر:

– حضر السيد **"بوارو"** لزيارتنا يا عزيزتي. صافحته وسرعان ما لخَّص **"جيريمي كلود"** لها اقتراح **"بوارو"** بشأن الوصية. بدا الارتياب واضحًا عليها وقالت:

– تبدو الفرصة بعيدة جدًا.

– السيد **"بوارو"** ذاهب إلى **"لندن"**، وسوف يتفضل بالقيام بالاستفسارات اللازمة. قال **"بوارو"**:

– فهمت أن الرائد **"بورتر"** كان القيِّم المسؤول عن ذلك الحيّ في أثناء الغارات الجوية. لاح بوجه السيدة **"كلود"** تعبير غريب. قالت:

– من هو الرائد "**بورتر**". فهز "**بوارو**" كتفيه قائلاً:

– ضابط جيش متقاعد يعيش على المعاش الذي يتقاضاه.

– هل صحيح انه كان في "**إفريقيا**"؟ نظر "**بوارو**" إليها متعجباً:

– هذا مؤكد يا سيدتي، ولم لا؟ فقالت بمثل شرود الذهن:

– لا أدري، لقد سبَّب لي حيرة. فقال "**بوارو**":

– نعم يا سيدة "**كلود**"، يمكنني أن أتفهم هذا. رمقته بنظرات حادة، ولاحت بعينيها نظرة كادت أن تعبِّر عن الجزع، ثم التفتت إلى زوجها قائلة:

– "**جيريمي**"، أشعر بالأسف من أجل "**روزالين**". إنها بمفردها في "**فاروبانك**" ولابد أن تكون حزينة تماماً؛ بسبب القبض على "**ديفيد**". هل تعترض لو أنني طلبت منها أن تأتي إلى هنا وتقيم معنا؟ بدا صوت "**جيريمي**" مشوبا بالارتياب عندما قال:

– هل تعتقدين أن هذا التصرف حكيم يا عزيزتي؟

– حكيم؟ لا أدري! ولكنها مشاعر إنسانية، إنها مخلوقة عاجزة تماماً.

– أشك في أنها من الممكن أن تقبل.

– يمكنني أن أعرض الأمر عليها على أية حال، فقال المحامي بهدوء:

– افعلي هذا لو كان سيجعلك أكثر سعادة.

– أكثر سعادة! فارقت هذه الكلمة شفتيها بمرارة شديدة ورمقت "**بوارو**" بعد ذلك بنظرة ملؤها الشك، وهنا تمتم "**بوارو**" بأسلوب رسمي:

– أستاذنكما بالانصراف الآن. تبعته إلى البهو، ثم سألت:

– هل أنت ذاهب إلى "**لندن**"؟

– سأذهب إلى هناك غداً، ولكن لمدة أربع وعشرين ساعة على الأكثر. أعود بعدها إلى الـ"**ستاج**" – حيث ستجدينني يا سيدتي – إذا أردت مقابلتي. سألته بنبرة حادة:

– ولماذا أريد مقابلتك؟! لم يجب "**بوارو**" عن هذا السؤال بل اكتفى بان قال:

– سأكون في الـ"**ستاج**". في وقت لاحق من تلك الليلة تحدثت "**فرانسيس كلود**" مخاطبة زوجها من خلال الظلام بقولها:

– لا أعتقد أن هذا الرجل سيذهب إلى "**لندن**" للسبب الذي ذكره، ولا أصدق كل هذا الذي قاله عن احتمال أن يكون "**جوردون**" قد كتب وصية. هل تصدقه انت يا "**جيريمي**"؟ أجابها صوت يائس متعب قائلا:

ـ لا يا "**فرانسيس**" ، لا، إنه ذاهب لسبب ما آخر.

ـ أي سبب؟

ـ ليست لديَّ أدنى فكرة، فقالت "**فرانسيس**" :

ـ ماذا سنفعل يا "**جيريمي**" ؟ ماذا سنفعل؟ وأجابها:

ـ أعتقد يا "**فرانسيس**"، أن هناك شيئًا واحدًا ينبغي عمله.

- 9 -

حصل "**بوارو**" من "**جيريمي كلود**" على الإجابات التي كان يتطلع إليها على ما راوده من أسئلة، وأصبح متسلّحًا بالمعلومات اللازمة، فكانت الإجابات محدّدة تمامًا. كان المنزل قد لحقه الدمار الشامل، وتمت إزالة آثاره من الموقع مؤخرًا تمهيدًا لإعادة البناء. لم يكن هناك ناجون باستثناء "**ديفيد هنتر**" والسيدة "**كلود**". كان بالمنزل ثلاثة من الخدم – "**فريدريك جيم**" و"**إليزابيث جيم**" و "**إيلين كوريّجان**". وقتل ثلاثتهم على الفور. وأما "**جوردون كلود**" فكان قد أُخرج من تحت الأنقاض حيًّا، ولكنه فارق الحياة في طريقه إلى المستشفى دون أن يستردَّ الوعي. دوّن "**بوارو**" أسماء وعناوين أقرب أقارب الخدم قائلا: "ربما يكونون قد قالوا لأصدقائهم شيئًا من قبيل التعليق، أو القيل والقال من شأنه أن يعطيني مؤشرًا إلى معلومة أحتاج بشدة إليها". بدا المسؤول الذي كان يتحدث معه في الموضوع على قدر من الارتياب؛ لأن أسرة "**جيم**" كانت قد أتت أصلا من "**دورسيت**" و"**كوريّجان**" من "**كاونتي كورك**". وجّه "**بوارو**" خطاه بعد ذلك صوب مسكن الرائد "**بورتر**". تذكّر قول "**بورتر**" عن أنه كان قيّمًا في الغارات الجوية، وتساءل عما إذا كان مضطلعا بنوبة عمل في تلك الليلة بالذات، وما إذا كان قد شاهد أي شيء مما وقع في "**شيفيلد تيراس**". كانت لديه أسباب أخرى أيضًا لرغبته في الحديث مع "**بورتر**". عندما انعطف في زاوية "**إيدج ستريت**" أصابه الذهول ليرى شرطيًّا في زيه الرسمي واقفًا أمام المنزل الذي كان يقصده. وكانت هناك حلقة من صبية وأناس آخرين واقفين ينظرون إلى المنزل. خار قلب "**بوارو**" وهو يفسر المعنى الذي يوحي به هذا المشهد. اعترض رجل الشرطة طريق "**بوارو**" قائلاً:

ـ لا يمكنك الدخول يا سيدي.

ـ ماذا حدث؟

ـ أنت لست من سكان هذا المنزل يا سيدي.. أليس كذلك؟ وهزّ "**بوارو**" رأسه، فقال الرجل:

– إذن من هو الذي أتيت لزيارته؟

– أتيت لمقابلة الرائد "بورتر".

– هل أنت صديقه يا سيدي؟

– لا يمكنني أن أعتبر نفسي صديقه. ما الذي حدث؟

– فهمت أن الرجل أطلق على نفسه الرصاص. آه! ها هو المفتش. كان الباب قد فتح وخرج منه شخصان: أحدهما المفتش المحلي والآخر تعرَّفه "بوارو"، وكان الرقيب "جريفز" من "وورمزلي فيل"، وقد عرفه الرقيب "جريفز" وقدَّمه في الحال إلى المفتش. فقال المفتش:

– من الأفضل أن تتفضل بالدخول، وعاد الرجال الثلاثة إلى الداخل. هناك قال "جريفز" مفسِّرًا:

– اتصلوا بـ "وورمزلي فيل" هاتفيًّا فأوفدني المراقب "سبينس" إلى هنا.

– هل هو انتحار؟ وأجاب المفتش:

– نعم. تبدو حالة انتحار واضحة، لا أدري ما إذا كان اضطراره إلى التقدم للإدلاء بشهادته في التحقيق أمس قد أثقل على ذهنه أم لا. فبعض الناس غريب التصرفات في هذا الشأن، ولكنني فهمت أنه كان مصابًا بالاكتئاب في الآونة الأخيرة. نتيجة لصعوبة أحواله المالية وما إلى ذلك. فاطلق النار على نفسه من مسدسه الخاص. فسأل "بوارو":

– هل يُسمح لي بالصعود إلى أعلى؟

– لو رأيت ذلك يا سيد "بوارو". اصطحب السيد "بوارو" إلى أعلى يا سيادة الرقيب.

– سمعًا وطاعة يا سيدي. اصطحبه "جريفز" إلى حجرة الطابق الأول. كانت قريبة الشبه تذكرها "بوارو" بما كانت عليه.. الألوان الباهتة للطنافس القديمة والكتب. كان الرائد "بورتر" في المقعد المجنّح الكبير. كادت جلسته تكون طبيعية لولا أن رأسه كان مائلا نحو الأمام. تدلَّى ذراعه الأيمن بجانبه، ومن تحته فوق الطنفسة كان المسدَّس، وكانت هناك بقايا من رائحة البارود بالحجرة. قال "جريفز":

– يعتقدون أن هذا حدث منذ ساعتين تقريبًا. لم يسمع أحد صوت الطلقة. كانت صاحبة البيت بالخارج تشتري بعض احتياجاتها. كان "بوارو" مقطبًا وهو ينظر إلى الجسم البشري الساكن وإلى الإصابة الصغيرة التي تشبه الحرق بالصدغ الأيمن. سال "جريفز":

– هل لديك فكرة عما دفعه إلى الانتحار يا سيد "بوارو"؟ أبدى احترامًا شديداً نحو

"بوارو" ؛ لأنه رأى المراقب يتعامل معه بمثل هذا المستوى، على الرغم من أن رأيه الخاص كان أن "بوارو" لا يزيد على كونه أحد أولئك المدَّعين المتعبين. أجابه "بوارو" بذهن شارد:

– نعم، نعم، هناك مبرِّر قوي. ليست هذه هي الصعوبة. انتقلت نظرته إلى منضدة صغيرة على يسار الرائد "بورتر" . كانت عليها مرمرة زجاجية ثقيلة كبيرة بها غليون وعلبة ثقاب. لا شيء غير ذلك. تجول بصره في أرجاء الحجرة، ثم سار إلى مكتب مفتوح من النوعية القابلة للطي على الجانب الآخر من الحجرة. كان غاية في الترتيب والأوراق محفوظة به بعناية. وفي وسطه نشّافة جلدية وعلبة للأقلام بها قلم حبر وقلم رصاص، وعلبة دبابيس ورق، ودفتر طوابع بريد، والجميع في حالة تامة من النظام والترتيب. حياة منظَّمة ووفاة منظَّمة! بكل تأكيد. هذا هو الحال.. هذا ما كان ناقصًا! قال مخاطبًا "جريفز" :

– ألم يترك مذكرة.. ولا أي خطاب للمحقِّق؟ هزّ "جريفز" رأسه:

– لا، لم يترك شيئًا، كما كنا نتوقع من ضابط سابق بالجيش.

– نعم، هذا غريب جدًّا. كان "بورتر" شديد الحرص على الشكليات في حياته، ولكنه لم يكن كذلك في وفاته. رأى "بوارو" أن عدم ترك "بورتر" أية رسالة يمثل خطأ كبيرًا. وقال "جريفز" :

– يمثل هذا ضربة لآل "كلود" . تعيدهم إلى حيث كانوا. سوف يضطرون إلى إطلاق البحث عن شخص آخر كان على علاقة وثيقة بـ "أندرهيي" ، ثم ارتبك قليلاً قبل أن يسأل:

– أي شيء آخر تريد الاطلاع عليه يا سيد "بوارو" ؟ هز "بوارو" رأسه وتبع "جريفز" إلى خارج الحجرة. وعلى الدرج التقيا بصاحبة المنزل. كان واضحًا عليها الاستمتاع بحالة الإثارة التي كانت عليها وبدأت حديثًا دوَّارًا على الفور. انسحب "جريفز" بمهارة تاركًا "بوارو" يتلقى الفيض كاملاً:

– لا أستطيع التقاط أنفاسي. متاعب في القلب. هذا ما أعانيه؛ ذبحة صدرية. توفيت أمي بسبب إصابة بها. سقطت فاقدة الحياة بينما كانت تعبر السوق "الكاليدوني" . لم أتوقع شيئًا كهذا على الرغم من أنه كان مكتئبًا على مدى فترة ماضية. كان مهمومًا بالأمور المالية – على ما أرى – ولم يتناول ما يكفي من الطعام للإبقاء على حياته. ولم يقبل منا أي شيء. أو أي قدر من الطعام. وبالأمس اضطر إلى الذهاب إلى مكان ما في "أوستشاير" ، "وورمزلي فيل" للإدلاء بشهادة في تحقيق معيَّن. أثقل هذا على ذهنه.. عاد بادي التأثر. ظل ساهرًا يسير بالحجرة طوال ليلة أمس ذهابًا وعودة، ذهابًا وعودة. الموضوع يتعلق بقتيل كان صديقًا

له. مسكين! لقد تأثر بذلك بشدة. ظل طوال الليل ذهابًا وعودة، ذهابًا وعودة. وعندما خرجت لشراء بعض الاحتياجات، واضطررت إلى الوقوف في طابور طويل حتى أشتري السمك، صعدت إليه لأرى ما إذا كان يريد قدح شاي، وهكذا وجدت هذا المسكين؛ المسدس ساقط من يده وهو مستند إلى الخلف فوق المقعد. فزعت جدًّا للمشهد، ودخول الشرطة المنزل وجميع هذه الأمور، إلى ماذا سيتحول هذا العالم، هذا ما أريد أن أعرفه. فقال "بوارو" ببطء:

– العالم يتحول إلى مكان تصعب الحياة فيه إلا للأقوياء.

- 10 -

كانت الساعة قد جاوزت الثامنة عندما عاد "بوارو" إلى الـ "ستاج" وجد رسالة من "فرانسيس كلود" تطلب منه فيها أن يذهب إليها لمقابلتها فغادر الفندق على الفور. كانت تنتظره بحجرة الاستقبال. لم يكن قد شاهد هذه الحجرة من قبل. أطلّت النوافذ المفتوحة على حديقة مسوَّرة بها أشجار كمثرى مزهرة، ووضعت على المناضد زهريات محتوية على زهور التيوليب. بدت قطع الأثاث القديمة براقة ملمَّعة بالشمع مما تطلب عملاً شاقًّا، وكان نحاس الحاجز وكوَّة الفحم يعكسان بريقًا مشرقًا. رأى "بوارو" أنها حجرة جميلة جداً.

– لقد قلت إنني سوف أحتاج إليك وكنت محقًّا تمامًا. هناك شيء ما ينبغي أن يقال، وأرى أنك أفضل من يقال له.

– إنه من السهولة بمكان دائمًا – يا سيدتي – أن يقال الشيء للشخص الذي لديه فكرة واضحة جدًّا عنه.

– هل تعتقد أنك تعرف ما سوف أقوله لك؟ وأومأ "بوارو" .

– منذ متى . . . تركتْ السؤال غير مكتمل ومع ذلك أجابها على الفور:

– منذ اللحظة التي رأيت فيها صورة والدك الفوتوغرافية. ملامح عائلتك مميَّزة بدرجة كبيرة. والشبه بها قويّ جدًّا في الرجل الذي أتى إلى هنا مدعيًا أنه "إينوك آردن" . تنهدت بعمق وتعاسة قائلة:

– نعم، نعم، على الرغم من أن "تشارلز" المسكين كان ملتحيًا. هو ابن عمومة لي يا سيد "بوارو" . كان – إلى حدٍّ ما – الخروف الأسود بالعائلة. لم أعرفه قط عن قرب، ولكننا كنا نلعب معًا في طفولتنا، وقد أتيت به إلى هنا الآن ليموت، بطريقة بشعة منفِّرة. صمتت

لحظة أو اثنتين فقال "بوارو" مترفقا:

– أخبريني... فنبهت نفسها قائلة:

– نعم، لابد من رواية ما حدث. كنا في أمسّ الحاجة إلى المال، وهنا تبدأ القصة. زوجي.. كان زوجي يواجه مشكلة عويصة من أسوا أنواع المشاكل. كان في انتظاره الخزي وربما الحبس.. ولم يزل بالفعل. أرجوك أن تقدر هذا يا سيد "بوارو"، الخطة التي رسمتها وقمت بتنفيذها هي خطتي وحدي وليس لزوجي أي دورٍ فيها، فلم تكن من نوعيات تخطيطه على أية حال، وكان من الممكن أن تنطوي على مخاطر أعظم بكثير، ولكنني لم أهتم قط بالمخاطرة، وأعتقد أنني كنت دائمًا غير مراعية للضمير. دعني أخبرك بانني في بادئ الأمر لجأت إلى "روزالين كلود" أطلب قرضًا. ولا أدري ما إذا كانت من الممكن أن تعطيني إياه لو كانت قد تركت لتتصرف وفقًا لرأيها الخاص أم لا تعطيني إياه، ولكن شقيقها حضر في تلك اللحظة، وكان بحالة معنوية سيئة. كان وقحًا بلا داعٍ على حدٍّ تقديري، وعندما فكّرت في هذه المؤامرة لم أشعر باي قدرٍ من تأنيب الضمير بشأن تنفيذها. صمتت قليلاً، ثم استطردت:

– وتوضيحًا للأمور لابد أن أخبرك بأن زوجي أخبرني في العام الماضي بمعلومة كان قد سمعها بالنادي. وأنت كنت حاضراً هناك، على حدِّ علمي، لهذا لا أرى حاجة إلى تكرار تفاصيل هذه المعلومة، ولكنها فتحت أمامي احتمال ألاّ يكون زوج "روزالين" الأول قد توفّي وفي هذه الحالة لا يصبح لها أي حق مطلقًا في أي جزء من ثروة "جوردون". كان هذا احتمالاً غامضًا بالتأكيد، ولكنه موجود بأذهاننا.. كان نوعًا من الاحتمال البعيد الذي ربما يتحقق، ولاح بذهني أنه من الممكن فعل شيء ما باستخدام هذا الاحتمال. لسوء حظ "تشارلز" أنه كان بهذا البلد وسبق له أن سُجن، ولم يكن شخصية مستقيمة الخلق وإن كان قد شارك في الحرب ببسالة. طرحت الاقتراح أمامه. كانت عملية احتيال في الواقع، لا أكثر من ذلك ولا أقل. ولكننا رأينا أن الفرصة مهيأة لنا بالاستيلاء على المبلغ، وكان تقديري أن "ديفيد هنتر" – على أسوإ الفروض – سوف يرفض دفع المبلغ ولم أفكّر لحظة في أنه قد يلجأ إلى الشرطة؛ لأن أمثاله لا يحبون التعامل مع الشرطة. استطردت تقول بصوت أكثر قوة:

– سارت الخطة على خير ما يرام، وأكل "ديفيد" الطعم بأيسر مما كنا نتصور. من المؤكد أنه لم يكن من الممكن لـ "تشارلز" أن يدّعي أنه "روبرت أندرهيي"؛ لأن "روزالين" بوسعها أن تدحض هذا في غضون لحظة واحدة، ولكن لحسن الحظ أنها سافرت إلى "لندن" وأتاح

هذا لـ "**تشارلز**" فرصة لأن يلمِّح على الأقل بأنه قد يكون "**روبرت أندرهيي**". حسنًا – كما قلت – بدا أن "**ديفيد**" قد خُدع بالخطة. كان ينبغي له أن يأتي بالمبلغ في التاسعة مساء الثلاثاء، وبدلاً من ذلك... خانها صوتها وهي تقول:

– كان لابد لنا أن نعرف أن "**ديفيد**" شخصية خطرة. تُوفي "**تشارلز**" – قُتل – ولولاي أنا لكان حيًّا. بعثت به إلى موته. وبعد برهة وجيزة استطردت تقول بصوت جاف:

– لك أن تتصور ما أشعر به منذ تلك اللحظة، فقال "**بوارو**":

– ومع ذلك كنت من السرعة بما يكفي للترتيب لتطوُّر آخر للخطة؟ أنت من أوعزت إلى الرائد "**بورتر**" بأن يتعرف ابن عمومتك على انه "**روبرت أندرهيي**". انفجرت على الفور بحماس شديد قائلة:

– لا، أقسم لك على ذلك. لا، لم افعل هذا! لم يكن أحد أكثر دهشة مني... لقد صُعقنا جميعًا! عندما أدلى هذا الرجل – الرائد "**بورتر**" – بشهادته بأن "**تشارلز**".. "**تشارلز**"!... هو "**روبرت أندرهيي**". لم يمكنّي أن أستوعب الأمر، ولا زلت غير قادرة على استيعابه، ولكن شخصًا ما ذهب إلى الرائد "**بورتر**"، وأغراه أو قدم له رشوة؛ حتى يشهد بأن القتيل هو "**أندرهيي**"؟ قالت "**فرانسيس**" بنبرة قاطعة:

– لم يكن هذا أنا، ولم يكن "**جيريمي**". لا أحد منا يفعل شيئًا كهذا. يمكنني القول بان ما أقوله يبدو غريبًا لك. أتعتقد أنه حيث كنت على استعداد للقيام بعملية ابتزاز من الممكن أن أتدنّى بالقدر ذاته من السهولة وأقترف غشًّا؟ ولكن هاتين الفعلتين في تقديري مختلفتان تمام الاختلاف. وما ينبغي أن تعرفه هو أنني كنت أشعر – ولا زلت أشعر – بأن لنا حقًّا في جزء من ثروة "**جوردون**". وما أخفقت في الحصول عليه بالوسائل المشروعة كنت على استعداد للاستيلاء عليه بالوسائل غير المشروعة. أما أن أحاول عمداً تجريد "**روزالين**" من كل شيء بتلفيق دليل عل أنها ليست زوجة لـ "**جوردون**" اساسًا – لا – حقيقةً يا سيد "**بوارو**" ما كنت أُقدم على شيء كهذا. أرجوك ارجوك أن تصدِّقني. فقال "**بوارو**" ببطء:

– إنني مقرٌّ على الأقل بأن لكل إنسان خطاياه المحدَّدة. ونعم. أصدّق هذا، ثم رمقها بنظرة حادة قائلاً:

– هل تعلمين يا سيدة "**كلود**" أن الرائد "**بورتر**" انتحر بعد ظهر اليوم بطلقة من مسدسه؟ تراجعت إلى الخلف وقد اتسعت عيناها جزعًا قائلة:

– آه، لا، يا سيد "**بوارو**"، لا!

– نعم يا سيدتي، كان الرائد "**بورتر**" في قرارة نفسه رجلاً شريفًا. كان من الناحية المالية شديد الاحتياج. وعندما أتاه الإغراء لم يستطع مقاومته مثله في هذا مثل كثيرين. ربما قد بدا له أنه بوسعه أن يقنع نفسه بأن هذه الكذبة لها مبررها المعنوي وكان متحاملاً بالفعل على الصعيد الذهني ضد المرأة التي تزوجها صديقه "**أندرهيي**". اعتبر أنها تعاملت مع صديقه بطريقة مخزية، وأن هذه الباحثة عن المال عديمة الرحمة تزوجت مليونيراً، وفازت بثروة هذا الزوج الثاني حارمة منها من يمتّون إليه بصلة الدم واللحم. لابد من أنه قد استشعر إغراءً في عرقلة مصالحها، وأن هذا هو أقل شيء تستحقه. وأنه بمعرفة هوية القتيل يؤمِّن لنفسه مستقبله. فعندما يحصل آل "**كلود**" على حقوقهم يحصل هو أيضًا على جزء منها. نعم، يمكنني أن أتصور قوة الإغراء، ولكنه مثل كثيرين من أمثاله كان يفتقر إلى الخيال. بدا تعسًا جدًّا في أثناء التحقيق. كان هذا واضحًا عليه تمامًا. وكان سوف يضطر في زمن قريب جدًّا إلى أن يردد هذه الكذبة وهو تحت القسم، وليس هذا وحسب فهناك رجل أُلقي القبض عليه بعد أن وُجِّهت إليه تهمة القتل، وهوية القتيل تمثّل دافعًا قويًّا إلى ارتكاب الجريمة؛ لهذا عاد إلى بيته، وواجه حقيقة الموقف بوضوح، وبناء على ذلك سلك السبيل التي رأى أنها الأفضل له.

– أطلق الرصاص على نفسه؟

– نعم، فتمتمت "**فرانسيس**" قائلة:

– لم يذكر من.. الذي... هزَّ "**بوارو**" رأسه ببطء وقال:

– كان له دستوره، وليست هناك أية إشارة تفيد شيئًا عن شخصية الذي حرضه على أن يقسم كذبًا. راقبها بعناية. هل هناك وميض ارتياح لحظي يفيد ارتياحًا من توتر؟ نعم، ولكن من الممكن أن يكون هذا طبيعيًّا بما يكفي على أية حال. نهضت متوجهة إلى النافذة. قالت:

– بذلك عدنا إلى حيث كنا. وتساءل "**بوارو**" عما كان يدور برأسها.

- 11 -

في صباح اليوم التالي استخدم المراقب "**سبينس**" كلمات "**فرانسيس**" ذاتها تقريبًا عندما قال متنهداً:

– بذلك نكون قد عدنا إلى حيث كنا، وأصبح لزامًا علينا أن نعرف من كان ذلك الرجل

"**إينوك آردن**" حقيقة، فقال "**بوارو**" :

– يمكنني أن أخبرك يا سيادة المراقب، اسمه "**تشارلز ترينتون**" . أطلق المراقب صفيراً وهو يقول:

– "**تشارلز ترينتون**" ! أحد أفراد عائلة "**ترينتون**" ، أعتقد أنها هي التي أقنعته بأن يفعل ذلك؛ أعني السيدة "**جيريمي**" . مع ذلك لن يمكننا أن نثبت علاقتها بما حدث. "**تشارلز ترينتون**"؟ يبدو أنني أتذكر... فاومأ "**بوارو**" قائلا:

– نعم، له سجلّ.

– هذا ما ظننته، الاحتيال على الفنادق لو لم تخنّي الذاكرة. اعتاد أن يصل إلى فندق "**ريتز**" ، ويخرج ليشتري سيارة "**رولز**" على أن تخضع عملية شرائها النهائي للتجربة في خلال الفترة الصباحية، ثم يذهب بالسيارة الـ "**رولز**" إلى جميع المتاجر التي تبيع السلع الغالية ويشتري ما يشاء، ومن المؤكد أن الرجل الذي يترك سيارته الـ "**رولز**" تنتظر خارج المتجر لتحمل مشترياته وهو عائد إلى فندق "**ريتز**" ، لا تحتمل الشيكات التي يتركها ثمناً للبضاعة أي فحص أو شك! فضلاً على ذلك كان سلوكه ينم عن تنشئة راقية تدعو إلى الاطمئنان. كان يقيم بالفندق مدة أسبوع أو نحو ذلك ثم – عندما تبدأ الشكوك تثار حوله يختفي بهدوء، ويبيع السلع التي كان قد اشتراها بأسعار بخسة لمن تعرَّف إليهم من الأصدقاء. "**تشارلز ترينتون**" . نعم، ثم نظر إلى "**بوارو**" قائلاً:

– إنك تكتشف الأمور، أليس كذلك؟"

– وكيف تتقدم دعواك ضد "**ديفيد هنتر**" ؟

– سوف نضطر إلى إخلاء سبيله. كانت هناك امرأة مع "**آردن**" هناك في تلك الليلة، لسنا معتمدين في ذلك على أقوال تلك المرأة العجوز، فبينما كان "**جيريمي بييرس**" عائداً إلى البيت بعدما دفع به إلى خارج الحانة؛ لأنه يصبح ميّالاً إلى الشجار بعد تناول كأس أو اثنتين رأى امرأة تغادر الـ "**ستاج**" وتدخل كبينة تليفونات خارج مكتب البريد، كان ذلك بعد العاشرة مباشرة، قال إنها لم تكن معروفة له وظن أنها نزيلة بالـ "**ستاج**" ، ووصفها بأنها (كعكة) من "**لندن**" .

– لم يكن قريبًا منها جدًا؟

– لا، كان على الجانب الآخر من الشارع. من الممكن أن تكون هذه يا سيد "**بوارو**" ؟

– هل ذكر ماذا كانت ترتدي؟

– قال إنها كانت ترتدي معطفًا من التويد وشملة برتقالية حول رأسها، وبنطلونًا وتضع قدرًا كبيرًا من مستحضرات التجميل. يتفق قوله مع الوصف الذي ذكرته تلك السيدة العجوز. قال "بوارو" مقطبًا:

– نعم، يتفق. سأله "سبينس":

– من هذه المرأة، ومن أين اتت، وإلى أين ذهبت؟

– أنت تعلم خدمة القطارات عندنا. قطار التاسعة والثلث آخر القُطُر المتجهة إلى "لندن"، وقطار العاشرة وثلاث دقائق آخر القُطُر القادمة من الاتجاه العكسي. هل ظلت هذه المرأة تتجول طوال الليل، ثم سافرت إلى "لندن" بقطار السادسة وثماني عشرة دقيقة صباحًا؟ هل كانت معها سيارة؟ هل سافرت متطفلة؟ بعثنا بتحرياتنا في جميع الاتجاهات، لكن بلا نتيجة.

– وماذا عن قطار السادسة وثماني عشرة دقيقة؟

– إنه مزدحم دائمًا، والعدد الأكبر من راكبيه من الرجال. أعتقد أنهم كانوا سيلاحظون وجود امرأة من تلك النوعية، هذا ما أعنيه. أعتقد أنها ربما تكون قد حضرت وغادرت بسيارة، ولكن وجود سيارة من الأمور التي تحظى بالملاحظة في "وورمز فيل" في هذه الأيام. لقد انحرفنا عن المسار الرئيسي كما ترى.

– لم يُلاحظ وجود أية سيارة في تلك الليلة؟

– سيارة الدكتور "كلود" دون غيرها. كان قد خرج للعناية بإحدى الحالات بطريق "مدلينجهام". من المفترض أن يكون أحدهم قد لاحظ وجود سيدة غريبة بإحدى السيارات. فقال "بوارو" ببطء:

– ليس بالضرورة أن تكون غريبة. فالرجل شبه المخمور على مسافة مائة متر تقريبا ربما لا يمكنه أن يعرف شخصية تعيش بالمنطقة لا يعرفها جيداً. ربما تكون قد ارتدت ملابس مختلفة عما ترتدي عادة. نظر "سبينس" إليه متسائلاً فقال "بوارو":

– هل يمكن لهذا الشاب "بييرس" – على سبيل المثال – أن يتعرف "لين مارتشمونت"؟ لقد غابت عن البلاد بضع سنوات، فقال "سبينس":

– كانت "لين مارتشمونت" بالبيت الأبيض مع والدتها في هذا التوقيت.

– هل أنت واثق بذلك؟

– السيدة "ليونيل كلود" – تلك المرأة الكثيرة الكلام – زوجة الطبيب تؤكد أنها قد

اتصلت بها هاتفيًّا بالبيت في تمام العاشرة وعشر دقائق، وكانت "روزالين كلود" في "لندن" وزوجة "جيريمي" لم أرها قط مرتدية بنطلونًا، كما أنها لا تبالغ في استخدام مساحيق التجميل، وهي ليست شابة على أية حال. انحنى "بوارو" إلى الأمام قائلاً:

– يا عزيزي، في ليلة مظلمة وتحت أضواء الشارع الخافت هل يمكن لأي إنسان أن يميِّز مابين الشباب وكبير السن من خلف قناع من مستحضرات التجميل؟ فقال "سبينس":

– "بوارو" إلام ترمي؟ استند "بوارو" إلى الخلف، وعيناه نصف مغمضتين. قال:

– بنطلون ومعطف من التويد، وشملة برتقالية حول الرأس، وقدر كبير من مساحيق الوجه، وإصبع أحمر شفاه يُعثر عليه. هذا يوحي بشيء ما. فقال المراقب مزمجرًا:

– أرى أنك وسيط "دلفي" الروحي، وإن كنت لا أعلم ماذا كان وسيط "دلفي" الروحي. إنه من نوعية الأشياء التي يتباهى "جريفز" بمعرفتها، ولا تساعده بأي قدر كان على عمله الشرطي. هل هناك مزيد من البيانات الخفيَّة يا سيد "بوارو"؟ فقال "بوارو":

– لقد سبق أن أخبرتك بأن شكل هذه القضية خطأ في خطإ، ومن قبيل المثال قلت لك إن القتيل خطأ من كافة النواحي، وهكذا كان يُعتبر أنه "أندرهيي". من الواضح أن "أندرهيي" كان رجلاً شهمًا غريب الأطوار، وكان رجعيًّا متمسكًا بالتقاليد. أما الرجل الذي كان نزيلاً بالـ "ستاج" فكان محتالاً ولم يكن شهمًا ولا رجعيًّا ولا ملتزمًا بالتقاليد، كما لم يكن غريب الأطوار بوجه خاص، وبناء على ذلك لم يكن هو "أندرهيي"، ومن المستحيل أن يكون "أندرهيي"؛ لأن الناس لا يتغيرون، والأمر المثير للاهتمام بحق هو أن "بورتر" قرر أنه "أندرهيي".

– وهذا يقودك إلى السيدة "جيريمي".

–الشبه الصارخ هو الذي قادني إلى السيدة "جيريمي" قالب الوجه المميز إلى حدٍّ بعيد. الشكل الجانبي لوجه آل "ترينتون" – وسماحًا لنفسي بقدر من التلاعب بالألفاظ – كما كان "تشارلز ترينتون" بالشكل الصحيح، ولكن لم تزل هناك أسئلة تتطلب إجابات عنها. لماذا سمح "ديفيد هنتر" لنفسه بان يبتز بمثل هذه البساطة؟ هل هو من النوعية التي تسمح لنفسها بأن تُبتز بسهولة؟ لا يعتقد أحد هذا. بناء على ذلك هو أيضًا يتصرف بما لا يتفق مع شخصيته، ثم إن هناك "روزالين كلود". سلوكها غير مفهوم بوجه عام، ولكن هناك شيئًا واحدًا أتوق إلى أن أعرفه. لماذا هي خائفة؟ ولماذا تعتقد أن شيئًا ما سيصيبها الآن؛ لأن أخاها لم يصبح معها لحمايتها؛ شخص ما أو شيء ما سبَّب لها هذا الخوف، ولا يتعلق الموضوع

بخوفها من أن تفقد ثروتها، لا، فالأمر أكثر من هذا. إنها حياتها التي تخشى عليها.

– يا إلهي يا سيد "**بوارو**" ! لا تعتقد...

– لنتذكر يا "**سبينس**" أننا – كما قلت حالاً – قد عدنا إلى حيث بدأنا، بمعنى أن عائلة "**كلود**" قد عادت إلى حيث بدأت. تُوفي "**روبرت أندرهيي**" في "**إفريقيا**". وحياة "**روزالين كلود**" تحول بينهم وبين الاستمتاع بثروة "**جوردون كلود**".

– هل تعتقد بصدق أن أحدهم من الممكن أن يفعل هذا؟

– هذا ما أراه. "**روزالين كلود**" في السادسة والعشرين، وعلى الرغم من أنها ليست مستقرة ذهنيًا إلا أنها قوية وصحيحة جسمانيًا. قد تعيش حتى السبعين، وقد تعيش إلى مابعدها. لنقل أربعًا وأربعين عامًا. ألا ترى يا سيادة المراقب أن أربعًا وأربعين عامًا ربما تكون زمنًا طويلاً جدًا لا يمكن للبعض انتظار انقضائه؟

- 12 -

– عندما غادر "**بوارو**" قسم الشرطة التقته العمة "**كاثي**" فورًا وكانت تحمل عددًا من حقائب التسوُّق، وتوجهت إليه بشغف شديد ثم قالت:

– أمر بشع ذلك الذي حدث للرائد "**بورتر**" المسكين. لا يسعني سوى أن أشعر بأن نظرته إلى الحياة لابد أنها كانت مادية جدًا. حياة الجيش كما تعرف مضيِّقة جدًا، وعلى الرغم من أنه قد قضى فترة طويلة من حياته في "**الهند**" إلا أنه – للأسف – لم يغتنم الفرص الروحانية المتاحة. كانت حياته كلها حفظ نظام وتناول طعام وصيد حيوانات. لو كان قد جلس كأحد المريدين عند قدميْ معلِّم دينيّ هنديّ! آه. كم أن هذه الفرص الضائعة خسارة يا سيد "**بوارو**". هزت العمة "**كاثي**" رأسها فارتخت قبضتها على إحدى حقائب التسوق فبرزت منها قطعة من سمك القد كئيبة الشكل وانزلقت إلى البالوعة. أعادها "**بوارو**" إليها، وفي ارتباكها انزلقت منها حقيبة أخرى خرجت منها علبة عصير معدنية مذهَّبة لتبدأ رحلة تدحرج مرحة بالشارع العمومي. قالت العمة "**كاثي**" وهي تمسك بقطعة السمك بينما جرى هو للحاق بعلبة العصير:

– أشكرك شكرًا جزيلاً يا سيد "**بوارو**". أشكرك مرة أخرى، وأعبر لك عن أسفي، ولكنني في الواقع كنت منفعلة. هذا الرجل المسكين، نعم إنها لزجة، لكنني لا أحب أن أستخدم منديلك النظيف. حسنًا، هذا جميل منك، كما كنت أقول. في الحياة نحن في

موت، وفي الموت نحن في حياة، ولا يدهشني أبداً أن أرى الجسد الوهمي لأي من أصدقائي الأعزاء الذين رحلوا. قد يمر بهم المرء بالشارع. ماذا في تلك الليلة منذ... فقال "**بوارو**" :

– تسمحين لي؟ ووضع قطعة السمك في عمق الحقيبة، ثم قال:

– كنت تقولين.. نعم؟ فقالت العمة "**كاثي**" :

– الأجساد الوهمية طلبت قطعة نقدية من فئة البنسين؛ لأنه لم يكن معي سوى أنصاف البنس، ولكنني ظننت في تلك اللحظة أن الوجه مألوف، وكنت عاجزة فقط عن معرفته، ولا أزال كذلك، ولكنني أعتقد الآن أنه لا بد أن يكون شخصية رحلت، ربما منذ زمن بعيد حتى أن ذاكرتي لم تسعفني على التذكر. عظيم هذا الأسلوب الذي يُبعث به إلى المرء بالناس في وقت الحاجة، حتى لو كان الأمر يتعلق بعدد من البنسات فحسب من أجل المكالمات الهاتفية. آه يا عزيزي – طابور طويل أمام محلات "**بيكوك**". لابد أن لديهم أنواعًا من الكعك الجيد! أرجو ألا أكون قد تأخرت جداً! عبرت السيدة "**ليونيل كلود**" الشارع مسرعة، ووقفت في ذيل طابور من نساء عابسات خارج متجر المخبوزات والحلوى، وواصل "**بوارو**" السير بالشارع الرئيسي. لم ينعطف إلى الـ "**ستاج**" بل وجّه خطاه إلى البيت الأبيض. كان شديد الرغبة في أن يتحدث مع "**لين مارتشمونت**"، ورأى أنها لن تمانع في الحديث معه. كان صباحًا جميلاً؛ صباحًا صيفيًّا في الربيع، منعشًا لا يتاح لأي من أيام الصيف الحقيقية. انعطف "**بوارو**" من الطريق فرأى درب المشاة المؤدي إلى جانب الجبل أعلى "**فاروبانك**" مرورًا بـ "**لونج ويلوز**" كان "**تشارلز ترينتون**" قد سلك هذا الطريق من المحطة يوم الجمعة السابق على وفاته. وفي الطريق إلى أسفل الجبل التقى بـ "**روزالين كلود**" في طريقها إلى أعلى الجبل. لم يعرفها ولا غرابة في ذلك؛ لأنه لم يكن "**روبرت أندرهيي**". أما هي فكان من الطبيعي ألا تعرفه للسبب ذاته، ولكنها كانت قد أقسمت عند معاينة الجثة على أنها لم تر هذا الرجل من قبل. فهل قالت ذلك رغبة في الأمان؟ أم أنها كانت في ذلك اليوم شاردة الذهن مستغرقة في تفكير عميق بحيث لم تنظر حتى إلى وجه الرجل الذي مرت به على درب المشاة؟ وإذا كان هذا هو الحال فما الذي كان يشغل تفكيرها بهذه الدرجة؟ هل كانت تفكّر في "**رولي كلود**" لسبب أو لآخر؟ انعطف "**بوارو**" في الشارع الجانبي الضيق المؤدي إلى البيت الأبيض. بدت حديقة هذا المنزل رائعة الجمال؛ إذ ضمت عدداً من الشجيرات المزهرة وجنبات الليلك والقوطيسوس، وكانت في وسط المرج شجرة تفاح كبيرة مكللة بالنوّار. من تحتها كانت "**لين مارتشمونت**" ممدّدة فوق مقعد طويل من النوعية القابلة

للطيّ. قفزت مسرعة عندما حياها "بوارو" بنبرة رسمية متمنيًا لها صباحًا سعيداً. قالت:

– لقد أفزعتني يا سيد "بوارو"، لم أسمعك تمشي عبر العشب. لا تزال هنا في "وورمزلي فيل" إذن؟

– لا أزال هنا، نعم.

– لماذا؟ هز "بوارو" كتفيه قائلاً:

– إنها بقعة جميلة بعيدة عن العالم توفر للمرء الراحة والاسترخاء. وأنا باقٍ هنا للاسترخاء، فقالت "لين":

– إنني سعيدة بوجودك هنا.

– لم تقولي لي مثل باقي أفراد عائلتك: "متى تعود إلى "لندن" يا سيد "بوارو"؟ وتنتظرين ردّي بفارغ الصبر.

– هل يريدون لك أن تعود إلى "لندن"؟

– هذا ما يبدو لي.

– أما أنا فلا.

– لا، هذا ما أراه، ولكن ما السبب يا آنستي؟

– لأن هذا يعني أنك غير مقتنع. ما أعنيه هو أنك لست مقتنعًا بأن "ديفيد هنتر" هو الذي اقترف هذه الجريمة.

– وأنت شغوفة بأن تثبتي براءته؟ رأى تورُّد خجل طفيف يتسلل إلى بشرتها البرنزية. قالت:

– من الطبيعي أنني لا أريد أن أرى رجلاً يُشنق لجريمة لم يرتكبها.

– هذا طبيعي نعم!

– الشرطة متحاملة عليه ببساطة تامة؛ لأنه تحدّاهم، وهذا أسوأ ما في "ديفيد"، يحب معاداة الآخرين.

– الشرطة ليست متحاملة عليه بالقدر الذي تتصورينه يا آنسة "مارتشمونت"؟ التحامل عليه كان بذهن المحلفين. رفضوا اتباع إرشاد المحقق. أصدروا حكمهم عليه وما كان على الشرطة سوى تنفيذ الحكم بإلقاء القبض عليه، ولكنني أؤكد لك أنهم غير راضين إطلاقًا عن توجيه الاتهام إليه، فقالت بشغف:

– من الممكن أن يفرجوا عنه إذن؟ فهز "بوارو" كتفيه. سألته:

– من يعتقدون أنه ارتكب هذه الجريمة يا سيد "**بوارو**"؟ فقال ببطء:

– كانت هناك امرأة في الـ"**ستاج**" في تلك الليلة. فصاحت "**لين**":

– أنا لا أفهم شيئًا. عندما ظننا أن الرجل هو "**روبرت أندرهيي**" بدا الأمر غاية في السهولة. لماذا قرر "**بورتر**" أنه "**أندرهيي**" بينما أنه لم يكن كذلك؟ ولماذا انتحر بإطلاق الرصاص على رأسه؟ لقد عدنا الآن إلى حيث بدأنا.

– أنتِ ثالث شخصية نطقت بهذه العبارة. بدت ذاهلة:

– أنا؟ ما الذي تفعله الآن يا سيد "**بوارو**"؟

– أتحدث مع الناس، هذا ما أفعله، أتحدث مع الناس فحسب.

– ولكنك لا تسألهم عن أمور تتعلق بالجريمة! فهز "**بوارو**" رأسه قائلاً:

– لا، أصغي فقط إلى ما يقوله الناس.

– وهل يفيد هذا؟

– نعم، يفيد في بعض الأحيان. سوف يدهشك أن تعلمي القدر الذي حصَّلته عن الحياة اليومية لمنطقة "**وورمزلي فيل**" في خلال الأسابيع القليلة الماضية. أصبحت أعلم من الذي مشى وأين، وبمن التقى، وفي بعض الأحيان ما دار من حديث. فمثلاً أعلم أن الرجل "**آردن**" سلك طريق المشاة مرورًا بـ"**فاروبانك**"، وأنه سأل السيد "**رولي كلود**" عن الطريق، وأنه كان يحمل حقيبة ظهر على ظهره ولا أمتعة. وأعلم أن "**روزالين كلود**" كانت قد قضت أكثر من ساعة بالمزرعة مع "**رولي كلود**" وأنها كانت سعيدة هناك على خلاف حالتها العادية. قالت "**لين**":

– أخبرني "**رولي**" بذلك. قال إنها بدت كمن يقضي ما بعد الظهيرة خارج البيت. فقال "**بوارو**":

– آه! قال لك ذلك؟ ثم توقف لحظة استطرد بعدها قائلاً:

– نعم أعلم الكثير عن حالات المجيء والمغادرة. وقد سمعت الكثير عما أصاب بعض الناس من ضيق؛ ضائقتك أنت ووالدتك على سبيل المثال. فقالت "**لين**":

– لا سرّ في ذلك. حاول جميعنا تسوُّل المال من "**روزالين**". هذا ما تعنيه – أليس كذلك؟

– لم أقل ذلك.

– ولكنها الحقيقة! وأعتقد أنك قد سمعت أشياء عني وعن "**رولي**" وعن "**ديفيد**".

– ولكنك ستتزوجين "**رولي كلود**"؟

– سأتزوجه؟ ليتني أعلم. هذا ما كنت أريد أن أتخذ قراراً بشأنه في ذلك اليوم، عندما انطلق "**ديفيد**" من الغابة مسرعًا. كان هذا الموضوع يمثل علامة استفهام كبيرة بذهني. هل أتزوجه؟ هل أتزوجه؟ حتى القطار المار بالوادي بدا وكأنه يطرح السؤال ذاته. فقد تشكَّل الدخان المنطلق منه على هيئة علامة استفهام واضحة بالجو. بدا بوجه "**بوارو**" تعبير أخطأت "**لين**" فهمه. انطلقت تقول:

– ألا ترى يا سيد "**بوارو**" أن الموضوع غاية في الصعوبة، ولا علاقة لـ "**ديفيد**" به؟ أنا المسؤولة عنه! فقد تغيرت؛ تغيبت عن البلاد ثلاث أو أربع سنوات، والآن وقد عدت لم أصبح الشخصية ذاتها التي غادرت البلاد. هذه هي المأساة في كل مكان. العائدون إلى الوطن تغيروا، ويحتاجون إلى إعادة تعديل أنفسهم. فمن المستحيل أن يرحل المرء، ويمارس أسلوب حياة مختلفًا ولا يتغير! فقال "**بوارو**":

– أنتِ مخطئة. فمأساة الحياة هي أن الناس لا يتغيرون. دققت النظر إليه وهي تهز رأسها وقال بإصرار:

– لكن نعم. هذا صحيح، لكن، ما الذي جعلك ترحلين باديء ذي بدء؟

– ماذا؟ التحقت بكتيبة (الصَّعْو) بالخدمة العسكرية.

– نعم، نعم، ولكن لماذا التحقت بهذه الخدمة باديء ذي بدء؟ كنت مخطوبة لتتزوجي؟ كنت تحبين "**رولي**" "**كلود**"؟ كان يمكنك أن تعملي هنا في الأرض في "**وورمزلي فيل**".

– أعتقد أنه كان يمكنني ذلك، ولكنني كنت أريد...

– كنت تريدين الخروج من هنا؛ كنت تريدين السفر إلى الخارج حتى تري الحياة، وربما كنت تريدين الخلاص من "**رولي كلود**"، والآن أنت قلقة، لا تزالين تريدين الابتعاد عن هنا! لا يا آنستي، الناس لا يتغيرون! صاحت "**لين**" تدافع عن نفسها:

– عندما ذهبت إلى الشرق كنتُ شديدة الحنين إلى الوطن.

– نعم، نعم. حيث لا تكونين ما تمنَّيْته أن تكوني! ربما ستكونين على هذه الحال دائمًا. ترسمين لنفسك صورة... صورة تمثِّل "**لين مارتشمونت**" عائدة إلى البلاد، ولكن الصورة لا تتحقق؛ لأن الفتاة "**لين مارتشمونت**" التي في خيالك ليست هي "**لين مارتشمونت**" الحقيقية، وإنما هي "**لين مارتشمونت**" التي تودين أن تكونيها. فسألت بنبرة ساخرة:

– بناء على ذلك، واتساقا مع رأيك لن أكون راضية أبدًا في أي مكان أذهب إليه؟

– ليس هذا ما أريد قوله، ولكنني أقول إنك عندما رحلت عن البلاد لم تكوني راضية عن

خطبتك، وإنك الآن وقد عدت لا تزالين غير راضية عن خِطبتك. قطفت "**لين**" ورقة شجر، أخذت تمضغها متأملة. قالت:

– تكاد تكون شيطانًا في معرفتك بكل شيء. أليس كذلك يا سيد "**بوارو**"؟ فقال "**بوارو**" متواضعًا:

– هذا من مقتضيات عملي، وهناك حقيقة أخرى – على حدٍّ علمي – لم تعرفيها بعد. قالت بنبرة حادة:

– تعني "**ديفيد**". أليس كذلك؟ تعتقد أنني أحب "**ديفيد**"؟ فقال "**بوارو**" متمتمًا بحكمة:

– أنتِ التي يجب أن تحددي.

– وأنا، لا أعلم! في "**ديفيد**" شيء ما يخيفني، ولكن هناك أيضًا شيئًا ما يجذبني إليه. صمتت لحظة، ثم استطردت تقول:

– كنت أتحدث بالأمس مع قائد لوائه، أتى إلى هنا لدى علمه بأن "**ديفيد**" مقبوض عليه؛ ليستفسر عما يمكنه أن يفعله من أجله. حدثني عن "**ديفيد**" وعن مدى جرأته وشجاعته. قال إنه أحد أشجع الناس الذين كانوا تحت إمرته. ومع ذلك يا سيد "**بوارو**" – على الرغم من كل ما قال وكل ما امتدحه به – استشعرت أنه لم يكن متأكدًا تمامًا أن "**ديفيد**" لم يرتكب هذه الجريمة.

– وأنت، لست واثقة أيضا؟ ارتسمت على وجه "**لين**" ابتسامة ملتوية تنم عن شبه تعاطف:

– لا؛ لأنني لم أثق قط بـ"**ديفيد**"؛ هل يمكنك أن تحب شخصًا أنت لا تثق به؟

– لسوء الحظ، نعم.

– دائمًا ما ظلمت "**ديفيد**" لأنني لم أثق به. صدَّقت قدرًا كبيرًا من الشائعات المحلية الشرسة التي أُطلقت حوله، والتلميحات بأنه ليس "**ديفيد هنتر**" إطلاقًا، بل هو ليس سوى صديق لـ"**روزالين**"! وخجلت عندما التقيت قائد لوائه، وحدثني عن معرفته "**ديفيد**" منذ أن كان صبيًّا في "**أيرلندا**". فقال "**بوارو**" متمتمًا:

– من المؤسف أن يخطئ الناس فهم المقصود!

– ماذا تعني؟

– ما قلته بالتحديد. أخبريني، هل اتصلت السيدة "**كلود**"، أعني زوجة الطبيب بك

هاتفيًّا ليلة وقوع الحادث؟

– خالتي "كاثي"؟ نعم اتصلت بي.

– بشأن ماذا؟

– بشأن عدم دقة وارتباك كبير في بعض الحسابات.

– هل تحدثت من هاتف منزلها؟

– لا؛ لأن الهاتف كان معطلاً فاضطرت إلى الاتصال من إحدى كبائن الهاتف.

– في العاشرة وعشر دقائق؟

– في مثل هذا التوقيت ساعاتنا لا تكون مضبوطة تمامًا أبدًا. فقال "بوارو" مفكرًا:

– في مثل هذا التوقيت، ثم استطرد قائلاً بنبرة رقيقة:

– لم يكن هذا هو الاتصال الهاتفيّ الوحيد الذي تلقيته في ذلك المساء؟ فقالت "لين" باقتضاب:

– لا.

– اتصل "ديفيد هنتر" بك هاتفيًّا من "لندن"؟

– نعم، ثم ثارت فجأة قائلة:

– أفترض أنك تريد أن تعرف ما قاله؟!

– في الواقع إنه لا ينبغي...

– لا مانع لديّ من أن تعرف! قال إنه سيغادر البلاد، ويخرج من حياتي نهائيًّا. قال إنه لا يصلح لي، وإنه لن يكون أبدًا رجلاً مستقيم الخلق حتى لو كان هذا من أجلي، فقال "بوارو":

– وحيث إن هذه ربما كانت الحقيقة، لم ترق لك.

– أتمنى لو أنه يرحل. أعني في حالة الإفراج عنه، أتمنى لو أن كليهما يرحلان إلى "أمريكا" أو إلى أي بلد آخر. عندئذ ربما يمكننا التوقف عن التفكير فيهما، ونتعلم كيف نقف على اقدامنا، ونتوقف عن مشاعر الحقد.

– الحقد؟

– نعم، شعرت به في أول ليلة بمنزل الخالة "كاثي". اقامت حفلاً من نوع ما، ربما بمناسبة عودتي من خارج البلاد. كنت متوترة إلى حدٍّ ما، ولكنني استشعرته في الجو المحيط بنا. الحقد عليها – هي – "روزالين". الا ترى أننا كنا نتمنى لها الموت، جميعنا! كنا نتمنى لها

الموت، ومن البشاعة أن يتمنى المرء الموت لإنسان لم يسبب له أي ضرر. تحدَّث "بوارو" بنبرة عملية كئيبة قائلا:

– لأن موتها هو الحالة الوحيدة التي تعود عليكم بالفائدة.

– تعني أنه يفيدنا ماديًّا؟ إن وجودها هنا فحسب قد ألحق بنا أذى من كافة الوجوه ذات الأهمية! الحقد على الآخرين ورفضهم وكراهيتهم ومحاولة استغلالهم، كل هذا لا فائدة منه. والآن ها هي بمفردها تمامًا في "فاروبانك"، وتبدو كالشبح، خائفة على نحو قاتل. تبدو وكأنها قد فقدت صوابها، ولا تسمح لنا بمساعدتها! ولا لأي واحد منا! حاولنا جميعًا فقد عرضت أمي عليها أن تأتي وتقيم معنا، وطلبت الخالة "فرانسيس" منها ذلك أيضًا، وحتى الخالة "كاثي" حذت حذوهما وعرضت عليها أن تبقى معها في "فاروبانك"، ولكنها رفضت أية علاقة معنا الآن، ولا ألومها على ذلك. رفضت أيضًا مقابلة "كونرُوي" قائد اللواء. إني أعتقد أنها لابد أن تكون مريضة... مريضة بكثرة الهموم والخوف والتعاسة، وليس بإمكاننا أن نفعل لها شيئًا؛ لأنها غير متقبلة منا أية مساعدة.

– هل حاولت أنت بنفسك؟ أجابت "لين":

– نعم، ذهبت إلى هناك بالأمس. قلت لها: "هل هناك شيء يمكنني أن أفعله؟" فنظرت إليّ... توقفت "لين" عن الكلام فجاة، وارتعد جسدها، ثم استطردت تقول:

– أعتقد أنها تكرهني. فقد قالت: "أنت دون الجميع". أعتقد أن "ديفيد" قد طلب منها أن تبقى في "فاروبانك" وهي تفعل دائمًا ما يقوله لها "ديفيد". حمل "رولي" إليها بيضًا وزبداً من "لونج ويلوز". أعتقد أنه الوحيد منا الذي تأنس إليه. شكرته قائلة إنه عطوف دائمًا. و "رولي" عطوف بالفعل. قال "بوارو":

– هناك أناس يكن المرء لهم تعاطفًا كبيرًا، مشاعر شفقة، أناس ممن تثقل عليهم الأعباء. لـ"روزالين كلود" أكن مشاعر الشفقة، وأود مساعدتها لو أمكنني. حتى في هذه اللحظة يمكنني ذلك لو تجاوبت معي... ثم بتصميم مفاجئ نهض على قدميه قائلا:

– هيا يا آنستي، هيا بنا نصعد إلى "فاروبانك".

– تريدني أن أذهب معك؟

– لو كنت على استعداد لأن تكوني كريمة الخلق ومقدُرة... فصاحت "لين" قائلة:

– إنني على استعداد صادق... إنني على استعداد.

- 13 -

استغرق الوصول إلى "**فاروبانك**" منهما حوالي خمس دقائق فقط. امتد الطريق إلى أعلى منعطف من خلال أحواض مملوءة بعناية بالجنبات الورديّة الجميلة. فلم يدخر "**جوردون كلود**" جهداً ولا مالاً ليجعل من "**فاروبانك**" نموذجًا من نماذج الجمال والفن الربيعي. بدت الدهشة واضحة على الخادمة التي فتحت الباب الخارجي لرؤيتهما، الدهشة المشوبة بقدر من الارتياب فيما إذا كان يمكنهما مقابلة السيدة "**كلود**" قالت: "إن السيدة لم تنهض من فراشها بعد". إلا أنها أدخلتهما حجرة الاستقبال، وذهبت إلى الطابق العلوي حاملة رسالة "**بوارو**". أخذ "**بوارو**" ينظر من حوله مقارنا ما بين هذه الحجرة وحجرة الاستقبال بمنزل "**فرانسيس كلود**" التي بدت دافئة حميمية تليق بشخصية صاحبتها، أما حجرة الاستقبال في "**فاروبانك**" فكانت مجرّدة من الإيحاءات بدرجة كبيرة، لا تنطق سوى بالثروة المطوَّعة بفعل الذوق السليم، فقد حرص "**جوردون كلود**" على إبراز هذه السمة الأخيرة، كان كل شيء بالحجرة من نوعية متميزة وذي فنية، لكن لم يكن به أية علامة على حسن الانتقائية ولا أية إشارة إلى الذوق الشخصي لسيدة الحجرة. بدا أن "**روزالين**" لم تترك بالمكان أية بصمة تفرُّد خاص بها. كانت قد عاشت في "**فاروبانك**" كما يقيم أي زائر أجنبي في الـ"**ريتز**" أو الـ"**سافوي**". قال "**بوارو**" محدثًا نفسه: "إنني أتساءل عما إذا..." وقطعت "**لين**" حبل أفكاره بسؤالها إياه: فيم يفكر ولماذا يبدو مكتئبًا بهذه الدرجة؟ وأجاب قائلاً:

– قيل – يا آنستي – إن أجرة الخطيئة هي الموت، لكن يبدو في بعض الأحيان أن الأجرة هي البذخ. هل هذا محتمل باي قدر كان؟ إنني أتساءل. أن يُفصَل الإنسان من حياته البيتية الخاصة، وأن يحصل ربما على نظرة واحدة إليها بينما يكون طريق العودة إليها قد أُوصد...

توقف عن الكلام؛ إذ دخلت الخادمة مسرعة إلى الحجرة طارحة عنها أسلوب التعالي جانبًا فبدت امرأة في منتصف العمر شديدة الجزع تتلعثم، وتختنق بكلمات لا تستطيع النطق بها.

– إنها الآنسة "**مارتشمونت**".. آه يا سيدي، سيدتي بالطابق الأعلى بحالة سيئة جدًا، لا تتكلم ولا أستطيع إيقاظها ويدها باردة جدًا! استدار "**بوارو**" مسرعًا وجرى إلى خارج الحجرة وتبعته "**لين**" والخادمة، أسرعوا إلى الطابق الأعلى وأشارت الخادمة إلى الباب المفتوح المواجه لقمة الدرج. كانت الحجرة جميلة تنساب أشعة الشمس فيها من خلال النوافذ المفتوحة لتنسكب على الطنافس الجميلة ذات الألوان الرقيقة. كانت "**روزالين**" راقدة فوق الفراش الفسيح الفاخر تبدو مستغرقة في النوم. استقرت أهدابها القاتمة الطويلة فوق

وجنتيها، ورأسها مستدير بطريقة طبيعية في الوسادة. كان بيدها منديل متغضّن بشدة. بدت كطفلة حزينة ظلت تبكي حتى استغرقت في النوم. أمسك "**بوارو**" بيدها وجسّ نبضها. كانت اليد باردة كالثلج وأنبأته بما كان قد خمنه بالفعل. قال بصوت خافت مخاطبًا "**لين**":

– تُوفيت منذ فترة في أثناء النوم، وانفجرت الخادمة باكية:

– يا سيدي.. ماذا عسانا أن نفعل؟

– من هو طبيبها؟ وأجابت "**لين**":

– خالي "**ليونيل**". فقال "**بوارو**" مخاطبًا الخادمة:

– اذهبي واتصلي بالدكتور "**كلود**" هاتفيًّا. غادرت الخادمة الحجرة ناشجة. وانتقل "**بوارو**" إلى هنا وإلى هناك في أرجاء الحجرة. كان بجوار الفراش علبة صغيرة من الكرتون الأبيض مكتوب عليها: "برشامة مسحوق واحدة تؤخذ قبل النوم مباشرة". فتح العلبة باستخدام منديله. كان بها ثلاث برشامات مملوءة بالمسحوق. انتقل إلى رف المدفأة، ثم إلى المكتب بالجانب الآخر من الحجرة. كان المقعد الذي أمام المكتب مُزاحًا جانبًا والنشافة مفتوحة. كانت هناك ورقة مكتوب عليها بيد طفولية غير مدرَّبة:

– "لا أدري ماذا أفعل... لا يمكنني الاستمرار... كنت شريرة جدًّا. لابد لي من أن أعترف إلى شخص ما حتى يصبح لي سلام... لم يكن هدفي في بادئ الأمر أن أكون شريرة بهذه الدرجة، ولم أعلم شيئًا عن كل ما كان سيترتب على ذلك. لابد لي من أن أدوِّن". وانتهت الكلمات بخط مستقيم. وكان القلم موضوعًا حيث كان قد أُلقي به. وقف "**بوارو**" ينظر إلى تلك الكلمات المكتوبة، وكانت "**لين**" واقفة بجوار الفراش تنظر إلى الفتاة المتوفاة. عندئذٍ دُفع الباب وفُتح بعنف. ودخل "**ديفيد هنتر**" الحجرة لاهثًا. أسرعت "**لين**" نحوه قائلة:

– "**ديفيد**"! هل أطلقوا سراحك؟ كم أنا سعيدة! تجاهل قولها وتجاهلها هي أيضًا بل وطرحها بعيدًا عن طريقه بعنف حتى ينحني من فوق الجسد الأبيض الساكن وينادي:

– "**روزا**"! "**روزالين**". لمس يدها، ثم استطرد مواجها "**لين**" ووجهه متوهج غضبًا. وجاءت كلماته عالية متعمَّدة:

– قتلتها إذن. أليس كذلك؟ تخلصتم منها في النهاية، وتخلصتم مني بالزج بي إلى السجن بتهمة ملفقة، ثم اشتركتم معًا في الخلاص منها! جميعكم أم أحدكم لا يهمني مَنْ

منكم! ولكنكم قتلتموها. كنتم وراء الثروة الملعونة، وحصلتم الآن عليها! وفاتها تجعل الثروة تؤول إليكم! ستغادرون جميعًا حيّ "**كوير ستريت**" الآن. ستصبحون أثرياء، مجموعة قذرة من القتلة واللصوص أنتم! لم يمكنكم إيذاؤها طالما كنت أنا معها. كنت أعلم كيف أحمي شقيقتي، فلم تكن قادرة على حماية نفسها، لكن عندما أصبحت هنا بمفردها عرفتم فرصتكم واغتنمتموها، ثم توقف عن الكلام قليلا وتردد بقدر طفيف ثم قال بصوت مرتعش خافت:

– قتلة! فصاحت "**لين**":

– لا يا "**ديفيد**". لا، أنت مخطئ. لا أحد منا يُقدم على قتلها، لا أحد منا يفعل شيئًا كهذا.

– أحدكم قتلها يا "**لين مارتشمونت**"، وأنت تعلمين ذلك كما أعلمه أنا تمامًا!

– أقسم لك على أننا لم نفعل هذا يا "**ديفيد**"، أقسم على أننا لم نفعل شيئًا كهذا. هدأت شراسة نظرته قليلاً وقال:

– ربما لست أنت يا "**لين**"...

– لم يفعل أحد شيئًا يا "**ديفيد**"، أقسم لك على هذا... تقدم "**هيركيول بوارو**" نحو الأمام بمقدار خطوة وسعل فاستدار "**ديفيد**" نحوه قائلاً:

– أوه، هذا أنت! ماذا تفعل هنا؟ فقال "**بوارو**":

– أعتقد أن ادعاءاتك مبالغ فيها قليلاً، ولماذا تتسرع بالحكم بأن شقيقتك قد قتلت؟

– تقول إنها لم تُقتل؟ هل تسمي هذا – ثم أشار إلى الجسد الذي فوق الفراش – موتًا طبيعيًا؟ كانت "**روزالين**" تعاني متاعب الأعصاب – هذا صحيح، ولكنها لم تشكُ قط من ضعف عضوي. قلبها سليم بما يكفي، فقال "**بوارو**":

– في الليلة الماضية، قبل أن تأوي إلى الفراش جلست هنا تكتب... سار "**ديفيد**" إلى المكتب مارًا به، وانحنى فوق الورقة، فقال "**بوارو**" محذرًا:

– لا تلمسها. فاستعاد "**ديفيد**" يده، وقرأ الكلمات المكتوبة بينما وقف بلا حركة. أدار رأسه بحركة عنيفة، ونظر إلى "**بوارو**" باسلوب فاحص وقال:

– هل تقترح أنها حالة انتحار؟

– ولماذا تنتحر "**روزالين**"؟ ولم يكن الصوت الذي أجاب عن هذا الاستفسار هو صوت "**بوارو**"، بل كان صوت المراقب "**سبينس**" الهادئ الذي جاء عبر الباب المفتوح قائلا:

– لنفترض أنه في مساء يوم الثلاثاء الماضي لم تكن السيدة "**كلود**" في "**لندن**" بل كانت في "**وورمزلي فيل**"؟ ولنفترض أنها قد ذهبت لمقابلة الرجل الذي كان يبتزها؟ ولنفترض أنها في إحدى نوباتها العصبية قد قتلته؟ استدار "**ديفيد**" نحوه ورمقه بنظرات قاسية غاضبة. وقال:

– كانت شقيقتي في "**لندن**" في مساء الثلاثاء، كانت موجودة بالشقة هناك عندما دخلتُ في الحادية عشرة. فقال "**سبينس**":

– نعم، هذه هي أقوالك يا سيد "**هنتر**" وأعتقد أنك ستتمسك بها، ولكنني لست مضطرًّا إلى أن أصدِّق ما قلت، وعلى أية حال أليس الوقت متأخرًا بعض الشيء؟ ثم أشار في اتجاه الفراش قائلاً:

– لن تُنظر القضية بالمحكمة الآن.

- 14 -

قال "**سبينس**":

– لن يعترف بذلك، ولكنني أعتقد أنه يعلم أنها هي التي فعلت هذا. كان جالسًا بحجرة مكتبه بقسم الشرطة. نظر عبر المكتب إلى "**بوارو**" قائلاً.:

– والأمر الغريب هو أننا أولينا أقواله دقة البحث بينما لم ننتبه لما كانت قد قررته مطلقًا، ومع ذلك ليس ثمة تأييد يؤكد أنها كانت بالشقة في "**لندن**" في تلك الليلة. كل ما لدينا هو قسمه على أنها كانت هناك. نعلم طوال الوقت أن فردين فقط يتوفر لديهما الدافع على القضاء على "**آردن**": "**ديفيد هنتر**" و"**روزالين كلود**". ركزت جهودي فيه ولم أنتبه لها؛ لأنها بدت في الواقع مخلوقة بالغة الرقة؛ تكاد تكون محدودة الذكاء أيضًا. ربما لهذا السبب أغفلتها بالكامل. من المحتمل أن يكون "**ديفيد هنتر**" قد أسرع بإيفادها إلى "**لندن**" لهذا السبب بالذات، فربما يكون قد تبين أنه من الممكن أن تفقد السيطرة على نفسها، وربما أنه يعلم أنها من النوعية التي تصبح خطرًا على الآخرين إذا ما غضبت. والأمر الغريب الآخر هو أنني كثيرًا ما رأيتها في ثوب من التيل البرتقالي، فهو اللون المحبب إلى نفسها والشملات البرتقالية، وثوب ذي أقلام برتقالية، وقلنسوة صغيره برتقالية، ومع ذلك حتى عندما وصفتها السيدة "**ليد بيتر**" العجوز بانها فتاة تغطي رأسها بشملة برتقالية لم يخطر ببالي قط أنها ربما تكون السيدة "**جوردون**" ذاتها. لا زلت أعتقد أن الفتاة لم تكن في كامل الوعي، لم تكن

مسؤولة تمامًا عن أفعالها. الأسلوب الذي تحدثت به عن ذهابها إلى كنيسة الروم الكاثوليك يصورها وكأنها شبه فاقدة الصواب بفعل مشاعر الندم والذنب، فقال "**بوارو**" :

– كانت بادية الإحساس بالذنب، نعم. فقال "**سبينس**" مفكرًا:

– لابد من أنها هجمت على "**آردن**" في إحدى نوباتها العصبية، لا أعتقد أنه قد كانت لديه أدنى فكرة عما كان سيصيبه. فمن غير الممكن أن يكون حذرًا في وجود فتاة ضعيفة كهذه، ثم استغرق في التفكير لحظة أو اثنتين، واستطرد قائلا:

– أمر واحد لم يزل غامضًا أمامي. من الذي توصَّل إلى "**بورتر**"؟ تقول أنت إنها ليست السيدة "**جيريمي**"؟ أؤكد لك أن لا فرق فيمن كان هذا. فقال "**بوارو**" :

– لا، لم تكن السيدة "**جيريمي**" . أكّدت لي هذا وأنا اصدّقها لقد كنت غبيًّا فيما يتصل بهذا، وكان ينبغي أن أعرف من كان. أخبرني الرائد "**بورتر**" به بنفسه.

– أخبرك؟!

– نعم ولكن بطريق غير مباشر، ولم يدرك حتى أنه قد فعل ذلك.

– حسنًا. ومن هو؟ أمال "**بوارو**" رأسه جانبًا بقدر طفيف، ثم قال:

– هل تسمح لي أولاً بأن أطرح عليك سؤالين؟ بدا المراقب دهشًا:

– سل عن أي شيء تريده.

– البرشام المحتوي على المساحيق المنوِّمة الموجود بالعلبة بجوار فراش "**روزالين**" ؛ ممّ يتكون؟ بدا المراقب دهشًا بقدر أكبر:

– تلك؟ لا ضرر منها على الإطلاق. "**برومايد**" مهدِّئ للأعصاب. كانت تتناول برشامة واحدة في كل ليلة. قمنا بتحليلها بالتأكيد. وجدناها سليمة.

– من الذي وصفها لها؟

– الدكتور "**كلود**" .

– متى وصفها لها؟

– منذ فترة مضت.

– ما المادة السامة التي أودت بحياتها؟

– حسنًا، في الواقع إننا لم نتلق التقرير بعد، ولكن لا أرى هناك شكًّا بشأنها: مورفين، وجرعة زائدة منه.

– هل وُجد ضمن مقتنياتها أيّ قدر من المورفين؟ نظر "**سبينس**" إلى "**بوارو**" بفضول

واضح وقال:

– لا، ما الذي ترمي إليه يا سيد "**بوارو**"؟ فقال "**بوارو**" متهربًا:

– أنتقل الآن إلى سؤالي الثاني. اتصل "**ديفيد هنتر**" بـ "**لين مارتشمونت**" هاتفيًا من "**لندن**" في الساعة الحادية عشرة وخمس دقائق مساء يوم الثلاثاء المذكور. تقول إنك استعلمت عن المكالمات. وكانت هذه هي المكالمة الوحيدة الصادرة من الشقة الكائنة في "**شبردز كورت**". هل كانت هناك مكالمات واردة إلى هناك؟

– مكالمة واحدة. في العاشرة والربع من "**وورمزلي فيل**" أيضًا. وردت من كبينة هاتف عمومي. فقال "**بوارو**":

– نعم، ثم صمت لحظة أو اثنتين. سأله "**سبينس**":

– ما هي الفكرة الرائعة يا سيد "**بوارو**"؟

– هل تم الرد على هذه المكالمة؟ ما أعنيه هو: هل حصل عامل السنترال على إجابة من الخط بـ "**لندن**"؟ فقال "**سبينس**" بتأنٍ:

– فهمت ما تعنيه. لابد أنه يوجد بالشقة شخص ما. من المستحيل أن يكون "**ديفيد**"؛ لأنه كان بالقطار في طريق عودته. يبدو – بناء على ذلك – كما لو كان ينبغي أن تكون "**روزالين**" هي التي هناك، وفي هذه الحالة من غير الممكن أن تكون "**روزالين**" في الـ "**ستاج**" قبل ذلك ببضع دقائق.

– ما تريد إثباته يا سيد "**بوارو**" هو أن المرأة المرتدية الشملة البرتقالية لم تكن "**روزالين كلود**". وبالتالي لا تكون "**روزالين كلود**" هي التي قتلت "**آردن**"، ولكن لماذا انتحرت إذن؟ فقال "**بوارو**":

– الرد على هذا السؤال غاية في البساطة، وهو أنها لم تنتحر. "**روزالين كلود**" قُتلت!

– ماذا؟!

– قُتلت عمدًا وبأسلوب هادئ.

– لكن من الذي قتل "**آردن**". لقد استبعدنا أن يكون "**ديفيد**".

– لم يكن "**ديفيد**".

– والآن تستبعد أن تكون "**روزالين**"؟ ولكن هذين الاثنين هما دون غيرهما من توفر لديهما شبح دافع إلى ذلك! فقال "**بوارو**":

– نعم. الدافع. هذا ما ضلَّلنا. إذا كان لدى (أ) دافع إلى قتل (جـ) وكان لدى (ب) دافع

إلى قتل (د) فلا يبدو معقولاً أن يقوم (أ) بقتل (د) ويقوم (ب) بقتل (جـ) . أليس كذلك؟ قال "سبينس" مزمجراً:

– تمهل علينا يا "بوارو"، تمهَّل علينا، لم أبدأ حتى أفهم ما تعنيه باستخدام هذه الرموز. فقال "بوارو":

– العملية معقدة.. معقدة جدًّا؛ ذلك لأننا بصدد نوعين مختلفين من جرائم القتل، وبالتالي، فإننا لابد لنا أن نكون أمام قاتلين مختلفين. "يدخل القاتل الأول" و "يدخل القاتل الثاني". زمجر "سبينس" قائلاً مرة أخرى:

– لا تقتبس من كتابات "شكسبير"؛ لأننا لسنا أمام مسرحية من عصر الملكة "إليزابيث".

– لكن نعم. تبدو هذه القضية شكسبيرية إلى أبعد حد – لدينا هنا جميع الأحاسيس والانفعالات البشرية التي كانت لتثري كتابات شكسبير: مشاعر الغيرة والأحقاد والتصرفات الانفعالية السريعة، ولدينا أيضًا مبادئ الانتهازية الناجحة: "هناك في أمور الرجال حركة مدّ، فرص مهياة.. إذا اغتُنمت في التوقيت الصحيح – في زمن الذروة – تؤدي بهم إلى الثراء..." فقد تصرف أحدهم وفقًا لهذا المبدإ يا سيادة المراقب. اقتناص الفرصة وتطويعها للأهداف الشخصية، هذا ما تم إنجازه بنجاح وأمام أعيننا، كما يقولون! حكّ "سبينس" أنفه بحيرة ثم قال راجيًا:

– كن متعقلاً يا "بوارو" إن أمكنك. أخبرني بما تعنيه.

– سيكون الأمر غاية في الوضوح. لدينا هنا ثلاث وفيات. أليس كذلك؟ تتفقون معي في ذلك. أليس كذلك؟ ثلاثة أشخاص مُتوفوْن. رمقه "سبينس" بنظرات الفضول قائلا:

– ينبغي أن أقرر ذلك بطريقة مؤكدة؛ لأنه لن يمكنك إقناعي بأن أحد هؤلاء الثلاثة لم يزل حيًّا؟ فقال "بوارو" مبتسمًا:

– لا، لا، إنهم أموات، ولكن كيف ماتوا؟ أعني كيف تصنِّف أسباب وفاتهم؟

– حسنًا، فيما يتصل بذلك يا سيد "بوارو" أنت على علم برأيي. جريمة قتل واحدة وحالتا انتحار، ولكن طبقا لرؤيتك أنت فإن حالة الانتحار الأخيرة ليست انتحاراً، بل جريمة قتل أخرى. فقال "بوارو":

– طبقا لرؤيتي أنا، لدينا واقعة انتحار وحادث وجريمة قتل.

– حادث؟ هل ما تعنيه هو أن السيدة "كلود" سممت نفسها خطأً؟ أم تعني أن إطلاق

الرائد "بورتر" الرصاص على نفسه كان بطريق الخطإ؟ فقال "بوارو" :

- لا، الحادث هو ذلك الذي أودى بحياة "تشارلز ترينتون" - أو "إينوك آردن" . انفجر المراقب قائلا :

- حادث! حادث؟! تقول إن جريمة قتل وحشية بكل المقاييس تهشم فيها رأس رجل إلى الداخل بفعل بضع ضربات متتالية - حادث!! لم يحرِّك "بوارو" ساكنًا في مواجهة حماس المراقب بل أجاب بهدوء :

- عندما أقول حادثًا أعني أنه لم تكن هناك نية للقتل.

- لا نية للقتل، ورأس الرجل مهشم إلى الداخل! هل ما تعنيه هو أنه كان ضحية هجوم عليه من شخص فاقد الصواب؟

- أعتقد أن هذا هو أقرب شيء من الحقيقة، وإن لم يكن بالمعنى الذي تقصده.

- السيدة "جوردون" هي الشخصية الوحيدة التي يمكن وصفها بالعته في هذه القضية. رأيتها تبدو غريبة تماما في بعض الأحيان، ومن المؤكد أن السيدة "ليونيل كلود" لا تخلو تمامًا من لمسة عته، ولكنها لا تلجأ إلى العنف أبدًا، أما السيدة "جيريمي" فإنها راجحة العقل جدًّا! وبذكر هذه السيدة تقول إنها ليست هي من رشت "بورتر" ؟

- لا، أعلم من الذي فعل هذا، وكما قلت لك فإن "بورتر" بنفسه هو الذي صرَّح. لي ملاحظة صغيرة بسيطة تستحق أن ألوم نفسي ما أمكنني؛ لأنني لم أنتبه لها في حينها. بدا صوت "سبينس" أكثر وأكثر ارتيابًا عندما قال :

- ثم قتل مجنونك المجهول (أ ب جـ) "روزالين كلود" ؟ هز "بوارو" رأسه بشدة :

- إطلاقا؛ عند هذه النقطة يخرج القاتل الأول، ويدخل القاتل الثاني، جريمة من نوعية مختلفة تمامًا هذه، لا ثورة ولا انفعال، قتل عمد بهدوء أعصاب، وأعتزم، يا سيادة المراقب "سبينس" أن أشاهد قاتلها، وهو يُشنق بسبب الجريمة. نهض في أثناء حديثه متوجهًا إلى الباب فصاح "سبينس" :

- هاي! لابد من أن تعطيني بعض الأسماء. لا يمكنك أن تتركني هكذا.

- في غضون برهة وجيزة سوف أخبرك، ولكن ثمة شيئًا أنتظره: إنه على وجه التحديد خطاب من عبر البحر.

- لا تتحدث كقارئ الطالع يا "بوارو" ! ولكن "بوارو" كان قد غادر الحجرة مسرعًا. توجه إلى الجانب الآخر من الميدان، وضغط زر جرس منزل الدكتور "كلود" . جاءت زوجته إلى

الباب وأطلقت لهاثها المعتاد عندما رأت "بوارو". أما هو فلم يُضع وقتًا بل بادرها قائلاً:

– سيدتي، ينبغي أن أتحدث معك.

– بالتأكيد. تفضل بالدخول. يؤسفني أن وقتي لم يتسع لإزالة الغبار...

– أريد أن أسألك عن شيء معين. منذ متى أدمن زوجك تعاطي المورفين؟ انفجرت العمة "كاثي" باكية على الفور.

– يا إلهي! كم كنت أرجو ألا يعرف أحد ذلك! بدأ إدمانه له في أثناء الحرب. كان مرهقًا جدًا، وكان يعاني آلامًا عصبية مبرحة، ومنذ ذلك الحين يحاول خفض الجرعة، وقد خفضها في الواقع، ولكن هذا هو ما يصيبه بالاضطراب في بعض الأحيان.

– وهذا هو أحد الأسباب التي دعت إلى حاجته إلى المال. أليس كذلك؟

– أعتقد ذلك. يا إلهي يا سيد "بوارو"! ولقد وعدني بالذهاب للعلاج...

– اهدئي يا سيدتي وأجيبيني عن سؤال صغير آخر. في الليلة التي اتصلت فيها بالآنسة "مارتشمونت" هاتفيًا ذهبت إلى كبينة الهاتف الكائنة خارج مكتب البريد، هل فعلت ذلك؟ وهل التقيت أحدًا بالميدان في تلك الليلة؟

– لا يا سيد "بوارو" ولا نفسًا واحدة.

– ولكنني فهمت أنك قد اضطررت إلى أن تقترضي قطعة من فئة البنسيْن؛ لأنه لم يكن معك سوى أنصاف البنس.

– نعم، اضطررت إلى أن أطلبها من امرأة كانت تغادر الكبينة. أعطتني البنسين مقابل نصف بنس واحد...

– كيف كانت تبدو تلك المرأة؟

– كانت تبدو كممثلة، لو كنت تفهم ما أعني. شملة برتقالية حول رأسها. والأمر الغريب هو أنني أكاد أكون واثقة بأنني قد التقيت بها في مكان ما. بدا وجهها مألوفًا جدًا. أعتقد أنها لابد أن تكون امرأة متوفاة، ومع ذلك لم يمكنّي أن أتذكر أين عرفتها وكيف. فقال "هيركيول بوارو":

– أشكرك يا سيدة "كلود".

- 15 -

خرجت "لين" من المنزل، ورفعت بصرها تعاين الجو. كانت الشمس قد بدأت رحلة الغروب، ولم يكن هناك احمرار بالجو بل وهج ضوء غير طبيعيّ إلى حدٍّ ما. أمسية ساكنة خالية من النسمات. ارتأت أنه ربما تكون هناك عاصفة فيما بعد. حسنًا، لقد حان الوقت الآن. لا يمكنها أن ترجئ الأمور أكثر من هذا. لابد لها أن تتوجه إلى "لونغ ويلوز" وتخبر "رولي"؛ فهي مدينة له بهذا على أقل تقدير، مدينة له بأن تخبره بنفسها لا أن تختار إخطاره بوسيلة الكلمة المكتوبة السهلة. كانت قد اتخذت قرارها وأقنعت نفسها بأنها قد اتخذته، ولكنها استشعرت مضضًا غريبًا في أن تفعل ذلك. نظرت حولها وحدثت نفسها: "إنه وداع لكل هذا، وداع لعالمي ولأسلوب حياتي الخاص". لأنها لم تكن واهمة فالحياة مع "ديفيد" مقامرة ومغامرة قد تسفر عن تعاسة أو سعادة. كان هو ذاته قد لفت نظرها إلى ذلك في ليلة الجريمة عبر الهاتف. والآن منذ بضع ساعات قال لها: "كنت أعتزم الخروج من حياتك، ولكنني كنت أحمق عندما ظننت أنه يمكنني أن أتركك. سوف نذهب إلى "لندن"، ونتزوج بعقد خاص، نعم؛ لأنني لن أتيح لك فرصة السفر إلى هنا وإلى هناك. لك جذور في هذا البلد.. جذور تعوق حركتك؛ لهذا يجب أن أقتلعك من جذورك"، ثم أضاف قائلاً: "سنخبر "رولي" بذلك بعدما تصبحين السيدة "ديفيد هنتر" بالفعل. مسكين ذلك الشيطان! هذه أفضل وسيلة يمكننا أن نخبره بها بما حدث"، ولكنها لم توافقه على ذلك، وإن لم تكن قد أخبرته برأيها آنذاك. لا، لابد لها أن تخبر "رولي" بنفسها، وكانت ذاهبة إلى "رولي" في تلك اللحظة! بدأت العاصفة تهب في اللحظة التي كانت "لين" فيها تطرق باب "لونغ ويلوز". ففتح "رولي" الباب وبدا دهشًا لرؤيتها.

– أهلا بك يا "لين"، لماذا لم تتصلي هاتفيًّا وتخبريني بأنك قادمة؟ كان من المحتمل ألا أكون بالبيت.

– أريد أن أتحدث معك يا "رولي". وقف جانبًا حتى يسمح لها بالدخول، ثم تبعها إلى داخل المطبخ الفسيح. كانت بقايا عشائه على المنضدة. قال:

– أعتزم إجراء عدد من التغييرات في هذا المكان، وأن أستبدل بالحوض آخر جديداً من الصلب... فقاطعته قائلة:

– دعك من الخطط يا "رولي".

– تعنين لأن هذه الفتاة المسكينة لم يتم دفنها بعد؟ أرى أنه ليس من اللائق، ولكنها لم

تبدُ لي سعيدة قط. كانت تبدو كمريضة دائمًا لم يمكنها تجاوز تلك الغارة الجوية. على أية حال هذا ما جرى، تُوفيت ووُضعت في القبر، وفيم يعنيني هذا أو يعنينا...؟ التقطت **"لين"** أنفاسها قائلة:

– لا يا **"رولي"**. لن يكون هناك "نا" بعد الآن. هذا ما جئت لأخبرك به. دقق النظر إليها فقالت بصوت خافت رغمًا عنها، ولكن بإصرار على موقفها:

– سأتزوج **"ديفيد هنتر"** يا **"رولي"**. لم تعلم بالتحديد ماذا كان لها أن تتوقع؛ اعتراضًا أم ربما انفجاراً غاضبًا، ولكنها لم تتوقع بالتأكيد أن يكون وقع هذا على **"رولي"** كما كان. ظل يحملق إلى وجهها دقيقة أو اثنتين، ثم توجه إلى الموقد ليقلِّب الجمرات، ثم استدار أخيراً بأسلوب يدل على ذهن شارد. قائلاً:

– حسنًا. لنتفاهم. ستتزوجين **"ديفيد هنتر"**. لماذا؟

– لأنني أحبه.

– بل انت تحبينني.

– نعم، كنت أحبك عندما رحلت عن البلاد، ولكن كان هذا منذ أربع سنوات وقد تغيرت، كلانا تغير، فقال بهدوء:

– أنت مخطئة. أنا لم أتغير.

– حسنا، ربما لا تكون قد تغيرت بدرجة كبيرة.

– أنا لم أتغير مطلقًا. لم تتح لي الفرصة حتى أتغير. كل ما فعلته هو التجوُّل هنا وهناك. لم أهبط بالباراشوت، ولم أتسلق الصخور ليلاً، ولم أطوِّق بذراعي رجلا في الظلام ثم أطعنه...

– **"رولي"**...

– لم أذهب إلى الحرب ولم أحارب ولا أعرف للحرب معنى! عشت حياة آمنة مريحة هنا بالمزرعة. كنت **"رولي"** السعيد الحظ! ولكنك تخجلين منى كزوج لك!

– لا يا **"رولي"** لا... ليس هذا هو السبب إطلاقًا.

– ولكنني أؤكد لك أنه السبب! ثم اقترب منها والدماء تتدفق إلى عروق رقبته حتى برزت عروق جبينه على نحو ملحوظ. والنظرة التي لاحت بعينيه كانت قد شاهدتها ذات مرة لدى مرورها باحد الثيران بالحقل، حيث كان يدفع رأسه ويدق الأرض بقدمه ثم يخفض رأسه ذا القرنين الكبيرين ببطء. تحوَّل **"رولي"** إلى ثورة عارمة وغضب أعمى. وقال:

– اصمتي يا "لين"، وأصغي إليّ مرة من قبيل التغيير. لقد ضاع مني ما كان يجب أن يكون لي، وضاعت مني فرصة القتال دفاعًا عن بلدي. رأيت صديقي الحميم يذهب إلى الحرب ويُقتل. رأيت فتاتي – فتاتي أنا – ترتدي الزيَّ العسكري وتسافر إلى خارج البلاد، وظللت الرجل ذاته الذي تركته هنا عندما سافرت. كانت حياتي – ولا تزال – جحيمًا... ألا تقدرين هذا يا "لين"؟ عشت جحيمًا. ثم عدت ومنذ عودتك كانت الحياة جحيمًا أسوأ من ذي قبل. منذ تلك الليلة بمنزل العمة "كاثي" عندما رأيتك تنظرين إلى "ديفيد" عبر المائدة، ولكنك لن تكوني له. هل تسمعين؟ فإن لم تكوني لي فلن تكوني لأحد. ماذا تظنينني؟

– "رولي"... كانت قد نهضت، وبدأت تتراجع إلى الخلف خطوة بعد أخرى لشدة خوفها. لم يصبح هذا الرجل رجلاً بل حيوانًا مفترسًا. قال "رولي كلود":

– لقد قتلت اثنين حتى الآن، فهل تظنين أنني سأتردد في قتل ثالث؟

– "رولي"... انقض عليها وكانت يداه تطوقان عنقها... ويقول لها:

– لا يمكنني احتمال المزيد يا "لين". أحكم قبضته حول عنقها فدوَّمت الحجرة وحلَّ الظلام. كان ظلامًا مدومًا ثم اختناقًا وكل شيء تحوَّل إلى ظلام... ثم سمع سعالاً فجأة.. سعالاً مهذبًا مصطنعًا. فتوقف "رولي" مرخيًا قبضته، وعادت يداه إلى جنبيه. وأما "لين" فبعدما تخلى عنها سقطت على هيئة كومة على الأرض. وقف بداخل الباب مباشرة "هيركيول بوارو" يسعل اعتذارًا عن الإزعاج وقال:

– أرجو ألا أكون متطفِّلاً عليكما.

– قرعت الباب؟

– نعم قرعت ولكن أحدًا لم يجب. أعتقد أنك كنت مشغولاً. توتر الجو بل تكهرب لحظة، وظل "رولي" واقفًا يحدِّق ببصره. بدا على مدى لحظة وكأنه من الممكن أن ينقض على "هيركيول بوارو"، ولكنه استدار بعد ذلك، وقال بصوت فاتر خالٍ من أي انفعال:

– لقد حضرت... في آخر لحظة.

– 16 –

تعمَّد "هيركيول بوارو" تهدئه الجو المتاجج بالخطر. فسأل:

– هل الإبريق يغلي؟ وأجاب "رولي" بنبرة غبيَّة مثقلة:

– نعم، إنه يغلي.

– ربما أنك ستعد بعض القهوة أو الشاي إذا كان هذا أكثر سهولة لك؟ وأطاع "**رولي**" الأمر مثل إنسان آليّ. أخرج "**بوارو**" من جيبه منديلاً نظيفًا كبيرًا بلله بالماء البارد وعصره، ثم تقدَّم من "**لين**" وقال لها:

– خذي هذا يا آنستي، لو وضعته حول عنقك.. نعم هكذا، ومعي دبوس أمان. نعم. هذا سيخفف الألم فوراً. شكرته "**لين**" بصوت مختنق خشن. كان المطبخ في "**لونغ ويلوز**" يمثل كابوسًا فظيعًا لها. أحسَّت بإعياء شديد وكانت حنجرتها تؤلمها بشدة. ترنحت ناهضة على قدميها بصعوبة وقادها "**بوارو**" برفق إلى مقعد وساعدها على الجلوس عليه قائلا:

– هكذا. ثم من فوق كتفه سأل:

– القهوة؟ وقال "**رولي**":

– جاهزة. أحضر "**رولي**" القهوة فملأ "**بوارو**" منها قدحًا حمله إلى "**لين**". وقال "**رولي**":

– اسمعني. لا أعتقد أنك تفهم ما جرى. حاولت خنق "**لين**". فقال "**بوارو**" بنبرة غاضبة:

– تشا تشا تشا. وبدا بذلك راثيًا لهفوة من جانب "**رولي**". فقال "**رولي**":

– ضميري مثقل بوفاتين، وكانت وفاتها ستكون ثالثتهما لولا مجيئك. فقال "**بوارو**":

– لنشرب قهوتنا ولا نتحدث عن الوفيات. فهذا لا يناسب أذن الآنسة "**لين**". فقال "**رولي**":

– يا إلهي! وظل ينظر إلى "**بوارو**". احتست "**لين**" قهوتها بصعوبة. كانت ساخنة ومركّزة. شعرت بان آلام حلقها قد سكنت قليلاً وبدأ مفعول القهوة المنشط يؤثر فيها. فسألها "**بوارو**":

– أانت أحسن حالاً الآن. أليس كذلك؟ فأومات. وقال "**بوارو**":

– يمكننا الآن أن نتحدث. وعندما اقول هذا أعني – وبحق – انني سوف أتكلم. قال "**رولي**" بنبرة مثقلة:

– ما هو مقدار علمك؟ هل تعرف أنني قتلت "**تشارلز ترينتون**"؟ فقال "**بوارو**":

– نعم عرفت هذا منذ فترة. فُتح الباب على مصراعيه وكان "**ديفيد هنتر**" به. صاح:

– "**لين**" – لم تخبريني قط... ثم توقف عن الكلام وأخذته الحيرة، وظلت نظراته تنتقل

من الواحد إلى الآخر.

– ما الذي أصاب حلقك؟ وقال "**بوارو**":

– قدح آخر. فأخرج "**رولي**" قدحًا من الخزانة. أخذه "**بوارو**" وملأه قهوة وقدمه إلى "**ديفيد**"، وبذلك سيطر "**بوارو**" على الموقف مرة أخرى. قال مخاطبًا "**ديفيد**":

– اجلس، سوف نجلس هنا ونتناول القهوة وسوف يصغي ثلاثتكم إلى "**هيركيول بوارو**" وهو يحاضركم عن الجريمة. نظر إليهم الواحد بعد الآخر ثم أومأ. تصوّرت "**لين**" ان ما يجري حلم مزعج خياليّ وليس واقعًا! بدوْا جميعًا تحت سلطان هذا الرجل الغريب القصير القامة الكثيف الشاربيْن. جلسوا في أماكنهم مطيعين؛ "**رولي**" القاتل وهي.. ضحيته، و "**ديفيد**" الرجل الذي يحبها، وجميعهم يحملون أقداح قهوتهم، وهم يصغون إلى هذا الرجل القصير القامة الذي استطاع بأسلوبه الغريب السيطرة عليهم جميعًا. طرح "**بوارو**" سؤالاً بيانيًّا:

– ما أسباب ارتكاب الجرائم؟ هذا هو السؤال. ما الدافع اللازم إلى ارتكابها؟ وما الميل الفطري المفترض توفُّره؟ وهل كل إنسان قادر على ارتكاب الجرائم، أو نوعية معينة منها؟ وماذا يجري؟ هذا ما سالت نفسي عنه منذ البداية، وماذا يحدث للناس الذين اعتادوا الحماية من واقع الحياة – من ظلمها وجورها – ماذا يحدث لهم عندما يحرمون من هذه الحماية فجأة؟ إن حديثي – كما تعلمون – عن آل "**كلود**". ليس هنا منهم سوى فرد واحد، ولهذا يمكنني أن أتكلم بحرِّية تامة. شدَّتني هذه المشكلة منذ البداية. أمامنا هنا عائلة حالت الظروف دائمًا دون اضطرارهم إلى الاعتماد على أنفسهم. وعلى الرغم من أن لكل فرد في هذه العائلة حياته الخاصة ومهنته إلا أنهم لم يهربوا قط من ظل حماية الإحسان. كان لهم دائمًا التحرر من الخوف وعاشوا في أمان، ولكنه كان أمانًا مصطنعًا غير طبيعيّ؛ لأن "**جوردون كلود**" كان من خلفهم دائمًا... ما أحب أن اقوله لكم هو هذا: لا يمكن تحديد الشخصية البشرية حتى يكون هناك اختبار. ياتي الاختبار للعدد الأكبر منا في وقت مبكّر من حياته. يفاجأ المرء سريعًا جداً بضرورة الاعتماد على نفسه ومواجهة المخاطر والصعاب واتخاذ أسلوب خاص به في التعامل معها. ربما يكون هذا الأسلوب هو الطريق المستقيم وربما يكون الطريق المعوج، وأيًّا كان ذلك يعرف المرء في وقت مبكّر عادةً مكوناته... ولكن آل "**كلود**" لم تتح لهم فرصة معرفة نقاط ضعفهم حتى لحظة حرمانهم فجاة من حمايتهم حيث اضطروا إلى مواجهة الصعاب وهم غير مهيئين لذلك مطلقًا. شيء واحد، واحد فقط، وقف حائلاً بينهم وبين استعادة أمانهم؛ حياة "**روزالين كلود**". أنا واثق تمامًا بأن كل فرد

واحد في عائلة "**كلود**" قد حدَّث نفسه في وقت أو في آخر قائلاً: "لو كانت "**روزالين**" تموت". ارتعشت "**لين**"، وتوقف "**بوارو**" عن الكلام حتى يمنحهم فرصة لاستيعاب ما قال. استطرد بعد ذلك قائلاً:

– فكرة الموت – أعني موتها – لاحت بذهن كل واحد، وأنا واثق بهذا. هل لاحت أيضًا فكرة القتل؟ وهل تجاوزت هذه الفكرة في حالة معينة ما حدود التفكير لتصبح فعلاً؟ ثم بلا تغيير في نبرات صوته التفت إلى "**رولي**" قائلاً:

– هل فكَّرت في قتلها؟ وأجاب "**رولي**":

– نعم، كان هذا في اليوم الذي أتت فيه إلى المزرعة. لم يكن هناك أحد معنا. فكَّرت عندئذ في أنه يمكنني ان اقتلها بسهولة. بدت ضعيفة.. وفاتنة جدًّا مثل العجول الصغيرة التي كنت قد بعثت بها إلى السوق. يمكنك أن تتصور كم تستحق هذه العجول منا الشفقة ومع ذلك نبعث بها إلى الذبح. تعجبت بصدق من أنها لم تكن خائفة. كانت ستخاف لو أنها عرفت ما يدور بذهني. نعم. كنت أفكِّر في قتلها عندما أخذت القدَّاحة منها لأشعل لها سيجارتها.

– ونسيتْها عندك – كما أتصور – وبذلك أصبحت بحوزتك. فأومأ "**رولي**" قائلاً بدهشة:

– لا أدري لماذا لم اقتلها. فقد فكّرت في أن اقتلها، وكان من الممكن لي بسهولة أن أصور الأمر على أنه حادث أو شيء من هذا القبيل. فقال "**بوارو**":

– لم تكن هذه هي نوعية الجرائم التي يمكنك اقترافها، هذه هي الإجابة. أما الرجل الذي قتلته، فقد قتلته في ثورة غضب، وأتصور أنك لم تكن تعني قتله؟

– يا إلهي! لا. سددت لكمة إلى فكّه فاندفع إلى الخلف وارتطم رأسه بذلك الحاجز الرخامي. لم أصدِّق ما حدث عندما تبينت أنه قد مات. وفجأة القى بنظرة جزعة إلى "**بوارو**" وقال:

– وكيف علمت ذلك؟ فقال "**بوارو**":

– أعتقد أنه أمكنني أن أتصور ما حدث بكل دقة، ولك أن تخبرني بما إذا كنتُ قد أخطأت في إعادة تركيب أي جزء من هذا السيناريو. توجهت إلى الـ "**ستاج**" وأخبرتْك "**بياتريس ليبينكوت**" بالحوار الذي كانت قد سمعته مصادفة. بناء على ذلك توجهت – كما سبق لك أن قررت – إلى منزل عمك "**جيريمي كلود**" لأخذ رأيه في الوضع بصفته

محاميًا. وحدث هناك شيء ما، شيء يجعلك تغيِّر رأيك بشأن استشارته. أعتقد أنني أعلم ماذا كان ذلك الشيء. رأيت صورة فوتوغرافية... فهز "رولي" رأسه وقال مقاطعًا:

– نعم. كانت على المكتب. فجأة تبينت الشبه وتبينت أيضًا السبب في أن وجه هذا الرجل قد بدا لي مألوفًا جدًّا. خمنت أن "جيريمي" و "فرانسيس" قد استخدما أحد أقاربهما في ممارسة هذه الخدعة للحصول على المال من "روزالين". أثار هذا غضبي بشدة. توجهت على الفور إلى الـ "ستاج" وإلى الحجرة رقم (5) وواجهت الرجل بهذا الاحتيال. ضحك واعترف به وأخبرني أن "ديفيد هنتر" سوف يأتيه بالمال في ذلك المساء. اشتد غضبي؛ إذ تبينت أن أقاربي – طبقا لتفسيري لهذا الموقف – يخونونني. سببْتُه ولكمته فسقط كما ذكرت. ساد الصمت لحظه قال "بوارو" بعدها:

– ثم؟ فقال "رولي" ببطء:

– كانت القداحة قد سقطت من جيبي. كنت أحملها معي دائمًا حتى أعيدها إلى "روزالين" عندما ألتقيها. سقطت فوق الجثة فرأيت الحرفين الأولين المحفورين عليها د. هـ. تبينت أنها لـ "ديفيد" وليست لها. توقف لحظة، ثم استطرد قائلاً:

– منذ ذلك الحفل بمنزل العمة "كاثي" تبينت... حسنًا... لا داعي إلى كل ذلك. ظننت في بعض الأحيان أنني سوف أفقد صوابي، وربما أكون فاقد الصواب بقدر ما. فأولاً، ذهب "جوني" وبعد ذلك كانت الحرب – لا – لا يمكنني الحديث عن هذه الأمور، ولكنني أشعر في بعض الأحيان بغضب شديد – والآن "لين" وهذا الرجل. سحبت الرجل المتوفَّى إلى وسط الحجرة، وقلبته بحيث يرقد على وجهه. أمسكت بعد ذلك بذلك الملقط الفولاذي الثقيل – حسنًا – لن أدخل في التفاصيل. محوْت من عليه البصمات، ونظفت الحاجز الرخامي، ثم ضبطت عقربي ساعة اليد على التاسعة وعشر دقائق وقمت بكسرها. أخذت معي بطاقة تموينه وأوراقه؛ لأنني رأيت أنه من الممكن معرفة هويته من خلالها، ثم غادرت الفندق. بدا لي أنه من أقوال "بياتريس" عما كانت قد سمعته مصادفة ستحوم الشبهات حول "ديفيد" تلقائيًّا. فقال "ديفيد":

– أشكرك. ثم قال "بوارو":

– وبعد ذلك أتيت إليَّ. كانت مسرحية ظريفة تلك التي لعبتها عندي. ألم تكن كذلك؟ طلبت مني إيجاد شاهد كان يعرف "أندرهيي". كان واضحًا أمام عينيَّ أن "جيريمي كلود" قد قصَّ على العائلة تلك الرواية التي كان الرائد "بورتر" قد رواها، وأنه على مدى عامين

تقريبًا راود جميع أفراد الأسرة أمل خفيّ في أن يظهر "**أندرهيي**" فجأة. تأثرت السيدة "**ليونيل كلود**" بهذه التمنيات لا إراديا في تعاملها مع لوحة الويجا، ولكن الواقعة كانت كاشفة جدًّا. حسنًا، هأنذا أمارس "حيلة التخمين". وأهنئ نفسي على أنني أثير فيكم كل هذا الإعجاب بي بينما أنني أنا في واقع الأمر هو الساذج بجدارة. نعم. هناك في حجرة الرائد "**بورتر**" يقول بعدما قدَّم لي سيجارة، يقول لك: "إنك لا تدخِّن أليس كذلك؟" كيف علم أنك لا تدخِّن؟ من المفترض أن يكون قد التقى بك للمرة الأولى في تلك اللحظة فقط. كم أنا غبيّ. كان ينبغي أن أدرك حقيقة ما يجري عندئذ – أنك أنت والرائد "**بورتر**" قد أتممتما ترتيباتكما معًا! ولا عجب في أنه كان متوتر الأعصاب في ذلك الصباح. نعم. وكنت أنا الساذج.. الذي أقنع الرائد "**بورتر**" بالذهاب كي يعرف الجثة، ولكن كان يستحيل عليّ أن أظل هذا الساذج إلى الأبد. لا. لست أنا ذلك الساذج الآن. ألا ترونْ ذلك؟ نظر حوله غاضبًا ثم واصل حديثه قائلاً:

– ولكن بعد ذلك تراجع الرائد "**بورتر**" عن ذلك الاتفاق. لم يرغب في أن يكون شاهداً تحت القسم في محاكمة تتعلق بجريمة قتل تعتمد قوة اتهام "**ديفيد هنتر**" فيها إلى حدٍّ بعيد على هوية القتيل؛ لهذا السبب يتراجع الرائد "**بورتر**" عن الاتفاق. وهنا قال "**رولي**" بصوت غليظ:

– لقد بعث إليّ برسالة أخبرني فيها بأنه لن ينفِّذ الاتفاق. ذلك الأحمق الملعون، ألم يرَ أننا قد قطعنا فيه شوطًا طويلاً بحيث لا يمكننا التوقف أو التراجع؟ ذهبت إليه في محاولة لأن أعيده إلى صوابه، ولكن بعد فوات الأوان كان قد أخبرني بأنه يفضل أن يطلق النار على نفسه على أن يدلي بشهادة كاذبة في قضية تتعلق بجريمة قتل. لم يكن الباب الخارجيّ مغلقًا، صعدتُ إلى حجرته ووجدتُه. لا يمكنني أن أصف لك شعوري. بدا الأمر لي وكأنني قاتل للمرة الثانية. لو كان قد انتظر، لو كان قد أعطاني فرصة لأحدِّثه! سأل "**بوارو**":

– كانت هناك رسالة ما؟ وأخذتها أنت معك؟

– نعم؛ لأنني لم أصبح مهتمًّا بما تنتهي إليه الأمور. كانت الرسالة موجهة إلى المحقِّق. قال فيها ببساطة تامة إنه قد أدلى بشهادة كاذبة في التحقيق وإن القتيل ليس "**روبرت أندرهيي**". أخذت هذه الرسالة ومزَّقتها، ثم ضرب "**رولي**" المنضدة بقبضته مستطرداً:

– كان كل شيء أشبه بحلم مزعج، كابوس بشع! كنت قد بدأت هذا المشوار وكان عليّ أن أمضي فيه حتى النهاية. كنت أحتاج إلى المال حتى تكون "**لين**" لي، وأردت لـ "**هنتر**" أن

يُشنق. وبعد ذلك – لم يمكنني أن أفهم شيئًا – انهار الاتهام الموجَّه إليه، وكانت هناك قصة عن امرأة؛ امرأة كانت مع "آردن" في توقيت لاحق. لم يمكنني أن أفهم ما يجري، ولا يزال لا يمكنني. أية امرأة؟ كيف كان من الممكن أن تكون هناك امرأة تتحدث مع "آردن" بعد أن مات؟ فقال "بوارو":

– لم تكن هناك امرأة... فقالت "لين" بصوت مختنق:

– لكن يا سيد "بوارو"، تلك السيدة العجوز رأتها وسمعتها، فقال "بوارو":

– آه.. ولكن ماذا رأت؟ وماذا سمعت؟ رأت إنسانًا يرتدي بنطلونًا ومعطفًا من التويد. رأت رأسًا مغلَّفًا بشملة برتقالية على هيئة عمامة ووجهًا مغطًّى بمستحضرات التجميل وفمًا مطليًّا بأحمر الشفاه. رأت هذا في ضوء خافت، وماذا سمعت؟ رأت تلك الخليعة تعود إلى داخل الحجرة رقم (5)، من داخل هذ الحجرة سمعت صوت رجل يقول: "اخرجي من هنا يا فتاتي". حسنًا. كان رجلاً ذلك الذي رأته وكان رجلاً ذلك الذي سمعته! ثم أضاف "بوارو" ملتفتًا إلى "ديفيد" بهدوء:

– ولكنها فكرة نابغة يا سيد "هنتر"، فسأله "ديفيد" غاضبًا:

– ما الذي تعنيه؟

– أروي لك القصة الآن. تأتي إلى الـ "ستاج" في التاسعة أو نحو ذلك. تأتي، لا لتقتل بل لتدفع. وماذا تجد؟ تجد الرجل الذي كان يبتزك ملقى على الأرض، مقتولاً بطريقة وحشية. أنت قادر على سرعة التفكير يا سيد "هنتر"، وتتبين على الفور أنك في خطر محلّق. لم يكن أحد قد رآك وأنت تدخل الـ "ستاج" – طبقا لمعلوماتك – وكان أول ما لاح بذهنك هو أن تجلو عن المكان بأسرع ما يمكنك وتلحق بقطار التاسعة وعشرين دقيقة عائداً إلى "لندن" وأن تقسم بكل قوة على أنك لم تكن قريبًا من منطقة "وورمزلي فيل"، وحتى يمكنك اللحاق بذلك القطار لم يكن أمامك بديل عن العدو عبر المزارع. وبصدد ذلك تلتقي مصادفة بالآنسة "مارتشمونت" وتتبين أيضًا أنه لن يمكنك اللحاق بالقطار. تشاهد دخان القطار في الوادي. وهي أيضا – على الرغم من أنك لا تعلم ذلك – رأت الدخان، ولكنها لم تتبين وعييًّا أنه يشير إلى أنه لا يمكنك اللحاق بالقطار، وعندما أخبرتها أن الساعة كانت التاسعة والربع صدَّقت ما قلت بلا أدنى شك. توقف "بوارو" لحظة ثم استطرد قائلا:

– وحتى تقنعها بأنك ستلحق بالقطار بالفعل ابتكرت خطة غاية في النبوغ. أصبحت في واقع الأمر تحتاج إلى أن تبتكر خطة جديدة تمامًا تحوِّل عنك الشكوك. تعود إلى "فاروبانك"

وتدخل المنزل بهدوء مستخدمًا المفتاح الخاص بك وتأخذ شملة شقيقتك وأحد أصابع أحمر الشفاه الخاص بها. ثم تضع على وجهك زينة استعراضية لافتة للنظر، وتعود إلى الـ "**ستاج**" في توقيت مناسب، وتتعمد أن تراك السيدة المسنّة الجالسة بالحجرة المخصصة للنزلاء فقط، تلك التي يتحدث جميع العاملين بالفندق عن غرابة سلوكها وتصرفاتها، وتحرص على أن تترك عليها انطباعًا معينًا، ثم تصعد إلى الحجرة رقم (5)، وعندما تسمعها ذاهبة إلى الفراش تخرج إلى الممر ثم تتراجع إلى الداخل مسرعًا وتبدأ القول بصوت مسموع: "من الأفضل أن تخرجي من هنا يا فتاتي". توقف "**بوارو**" قليلاً ثم قال:

– أداء مسرحي هائل. فصاحت "**لين**":

– هل هذا صحيح يا "**ديفيد**"؟ هل هو صحيح؟ ارتسمت على وجه "**ديفيد**" ابتسامة عريضة وقال:

– أعتبر نفسي بارعًا في أداء الأدوار الأنثوية. يا إلهي! كان ينبغي أن تري ذلك الوجه الفرعوني البشع! فسألته "**لين**" غاضبة:

– ولكن كيف كان من الممكن أن تكون هنا في الساعة العاشرة وتتصل بي هاتفيًا من "**لندن**" في الحادية عشرة؟ فانحنى "**هنتر**" لـ "**بوارو**" قائلاً:

– جميع الإيضاحات يقوم بها السيد "**بوارو**" الرجل العليم بكل شيء. كيف فعلت أنا ذلك؟ فقال "**بوارو**":

– الأمر غاية في البساطة. اتصلت بشقيقتك بالشقة من كبينة الهاتف العمومي، وأصدرت إليها تعليمات محدَّدة معينة. في الحادية عشرة وأربع دقائق تحديدًا أجرتْ مخابرة خارجية مع "**وورمزلي فيل**" 34. وعندما أجابت الآنسة "**مارتشمونت**" الهاتف تحقق عامل السنترال من الرقم، ثم قال بلا شك: "مكالمة من "**لندن**" " أو "الاتصال جارٍ يا "**لندن**"، أو شيئًا من هذا القبيل. فأومأت "**لين**" بينما التفت "**بوارو**" إلى "**ديفيد**" مستطردًا:

– عندئذ أعادت "**روزالين**" السماعة إلى موضعها، ثم قمت أنت في التوقيت المحدد بطلب الرقم 34 ورد الرقم عليك فضغطت الزر "أ" وقلت: " "**لندن**" تتصل بك". بصوت متغيِّر قليلاً ثم تحدثت. وانقضاء دقيقة أو اثنتين ليس بالأمر الغريب في الاتصالات الهاتفية في هذه الأيام، ولن تعتبره الآنسة "**لين**" إلا إعادة اتصال، فقالت "**لين**":

– لهذا السبب إذن اتصلت بي يا "**ديفيد**"؟ شيء في نبرة صوتها على الرغم من شدة هدوئه جعلت "**ديفيد**" يرمقها بنظرات حادة، ثم التفت إلى "**بوارو**" آتيًا بحركة تدل على

الاستسلام حيث قال:

– ما من شك في أنك تعرف كل شيء! في الواقع كنت خائفًا جدًا، وكان لابد لي أن أفكّر في وسيلة ما. بعدما اتصلت بـ "**لين**" مشيت مسافة ثمانية كيلومترات إلى "**ديلزبي**" وسافرت إلى "**لندن**" بقطار الحليب (اللبَن) المبكّر. دخلت الشقة في وقت مناسب لأشعّث الفراش، وأتناول فطوري مع "**روزالين**". لم يلحْ بذهني قط أن الشرطة ستعتقد أنها قد اقترفت هذه الجريمة، كذلك لم تكن لديّ أدنى فكرة عمن قتله! لم يمكنّي ببساطة أن أتصور مَن من الممكن أن يكون قد أراد قتله. لا أحد على الإطلاق كان لديه الدافع – وفقًا لرؤيتي – باستثنائي أنا و "**روزالين**". فقال "**بوارو**":

– كانت هذه هي الصعوبة الكبرى. الدافع. أنت وشقيقتك كان لديكما الدافع لقتل "**آردن**"، وكل فرد في عائلة "**كلود**" كان لديه الدافع لقتل "**روزالين**". وهنا قال "**ديفيد**" بنبرة حادة:

– لقد قُتلت إذن؟ لم يكن موتها انتحارًا؟

– لا. كانت جريمة قتل عمد مع سبق تصميم بعناية. فقد تم إحلال المورفين محل البروميد بإحدى برشامات المسحوق المنوِّم، برشامة قرب قاع العلبة. فقال "**ديفيد**" مقطِّبًا:

– في برشام المسحوق! إنك لا تعني، لا يمكن أن تعني "**ليونيل كلود**"؟ فقال "**بوارو**":

– آه. لا. أي فرد تقريبا من عائلة "**كلود**" كان يمكنه أن يضع المورفين بدلاً من البروميد. العمة "**كاثي**" كان يمكنها العبث بالمساحيق قبل أخذها من حجرة الجراحة، و "**رولي**" أتى إلى هنا حاملاً بيضًا وزبدًا لـ "**روزالين**"، والسيدة "**مارتشمونت**" أتت إلى هنا، وكذلك السيدة "**جيريمي كلود**"، حتى "**لين مارتشمونت**" أتت إلى هنا، وكان لدى كل منهم الدافع. فقال "**ديفيد**":

– لم يكن لدى "**لين**" دافع، فأجابت "**لين**" قائلة:

– كانت الدوافع لدينا جميعًا. أليس هذا ما تعنيه؟ فقال "**بوارو**":

– بلى، وهذا ما جعل القضية صعبة. كان لدى "**ديفيد هنتر**" و "**روزالين كلود**" الدافع لقتل "**آردن**"، ولكنهما لم يقتلاه، وكان لدى جميع أفراد عائلة "**كلود**" الدافع لقتل "**روزالين كلود**"، ولكن أحدهم لم يقتلها. هذه القضية معكوسة الأوضاع والافتراضات. إن قاتل "**روزالين كلود**" هو الخاسر الأكبر بوفاتها، ثم أدار رأسه بقدر طفيف قائلا:

– أنت الذي قتلتها يا سيد "**هنتر**". فصاح "**ديفيد**" متسائلاً:

– أنا؟! ولماذا بحق السماء أقتل شقيقتي؟

– قتلتها؛ لأنها ليست شقيقتك. "**روزالين كلود**" قُتلت في العدوان على "**لندن**" منذ عامين تقريبًا. والمرأة التي قتلتها خادمة ايرلندية شابة اسمها "**إيلين كوريجان**"، وقد تلقيتُ صورة فوتوغرافية لها من "**أيرلندا**" اليوم. وبينما كان يتكلم أخرجها من جيبه وبسرعة البرق اختطفها "**ديفيد**" من يده وقفز إلى الباب ثم إلى خارجه، وأغلقه من خلفه ولاذ بالفرار. وبزمجرة غاضبة اندفع "**رولي**" على الفور في أعقابه. وبقي "**بوارو**" و"**لين**" وحدهما. قالت "**لين**" بانفعال:

– هذا غير صحيح. من المستحيل أن يكون صحيحًا.

– أي نعم. صحيح تمامًا. رأيت أنت نصف الحقيقة ذات مرة عندما تصورت أن "**ديفيد هنتر**" ليس شقيقها. انظري إلى الموضوع من الزاوية الأخرى فيتسق كل شيء تمامًا. كانت هذه الـ "**روزالين**" كاثوليكية بينما لم تكن زوجة "**أندرهيي**" كاثوليكية. كانت معذبة الضمير ومخلصة لـ "**ديفيد**" تمامًا. تصوري مشاعره في تلك الليلة التي وقع فيها الانفجار: لقيت شقيقته مصرعها و "**جوردون كلود**" يحتضر. كل حياة الترف الجديدة تلك والمال يُنتزع منه، ثم يقع بصره على هذه الفتاة التي تقارب سن شقيقته إلى حدٍّ كبير – وهي الناجية الوحيدة باستثنائه – يجدها فاقدة الوعي من آثار الحادث. من المؤكد أن يكون قد مارس الحب معها بالفعل، ولا يشك في أنه قادر على أن يجعلها تفعل ما يشاء. توقف "**بوارو**" قليلاً، ثم استطرد قائلاً بنبرة جافة دون أن ينظر إلى وجه "**لين**" المتورِّد خجلاً:

– كان له أسلوبه مع النساء. إنه انتهازيّ يقتنص الفرص للثراء. يسجل هويتها على اعتبار أنها شقيقته. تستعيد وعيها فتجده بجوار فراشها. يغريها ويحملها على قبول القيام بهذا الدور، ولكن تصوري الذعر الذي أصابها عند وصول أول خطاب ابتزاز. كنت طوال الوقت أحدِّث نفسي قائلاً: "هل "**هنتر**" بالفعل من نوعية الرجال الذين يسمحون لأحد بأن يبتزهم بمثل هذه السهولة؟" وبدا أيضًا أنه كان غير واثق بالفعل بما إذا كان الرجل الذي يبتزه هو "**أندرهيي**" أم لا. ولكن كيف كان له أن يتأكد؟ كان باستطاعة "**روزالين كلود**" أن تخبره فورا بما إذا كان هذا الرجل زوجها أم لا. لماذا أسرع بإبعادها إلى "**لندن**" قبل أن تتاح لها فرصة رؤية الرجل؟ لأنه كان من الممكن أن يكون هناك سبب واحد وهو أنه لم يمكنه أن يخاطر بأن يلقي الرجل نظرة عليها. فإذا كان هذا الرجل هو "**أندرهيي**" فما كان ينبغي أن يكتشف أن "**روزالين كلود**" هذه ليست "**روزالين كلود**" مطلقًا. لا. لم يكن أمامه سوى حل واحد: أن

يدفع ما يكفي لإسكات المبتز، وبعد ذلك يسرع بالفرار إلى "**أمريكا**". توقف "**بوارو**" عن الكلام ثانية، ثم استطرد قائلاً:

– ثم على غير المتوقع يقتل المبتزّ، ويعرف الرائد "**بورتر**" الجثة ويقول إنها جثة "**أندرهيي**". لم يقع "**ديفيد هنتر**" طوال حياته في مازق خطير كهذا! والأسوأ من كل هذا أيضا، أن الفتاة كانت قد بدأت تنهار. تزايدت صحوة ضميرها وبدت عليها علامات الانهيار العصبي، وأصبح لابد لها – إن عاجلاً أو آجلاً – أن تعترف بكل شيء وتفضح القصة كاملة وتعرّضه لمحاكمة جنائية. وفضلاً على ذلك يجد أنها مثقلة في مطالبها على شخصه بينما انه قد وقع في غرامك أنت؛ لهذا يقرر وضع حد لخسائره. وأن "**إيلين**" لابد أن تموت. يضع المورفين في إحدى برشامات المسحوق الذي كان الدكتور "**كلود**" قد وصفه لها، ويحثها على تناول برشامة في كل ليلة، ويوحي إليها بالمخاوف من عائلة "**كلود**"، ولن تحوم الشبهات حول "**ديفيد هنتر**" حيث إن وفاة شقيقته تعني أن تعود ثروتها إلى آل "**كلود**". كانت هذه هي ورقته الرابحة: غياب الدافع. كما سبق أن أخبرتك كانت هذه القضية مقلوبة الأوضاع دائمًا. فُتح الباب ودخل منه المراقب "**سبينس**". سأله "**بوارو**" بنبرة استعجال:

– حسنًا؟ فقال "**سبينس**":

– كل شيء على ما يرام. تمكنّا من إلقاء القبض عليه، وسالت "**لين**" بصوت خافت:

– هل قال أي شيء؟

– قال إنه قد خاض سباقًا مريرًا من أجل الحصول على ثروته... فقاطعه المراقب قائلاً:

– الأمر الغريب هو أنهم دائمًا يتكلمون حيث لا مجال للكلام. قمنا بتحذيره، ولكنه قال: "لا عليك يا رجل. انا مقامر، ولكنني أعلم عندما أكون قد خسرت المغامرة الأخيرة". فتمتم "**بوارو**" قائلاً:

– هناك في أمور الرجال حركة مدّ – فرص مهيأة – إذا اغتُنمت في التوقيت الصحيح في وقت الذروة تؤدي بهم إلى الثراء... نعم، يكتسح المد ويجرف كل ما يصادفه، ولكنه سرعان ما يتحول إلى جزر حاسر، قد يجرف المرء معه إلى عرض البحر.

- 17 -

في صباح أحد أيام الأحد عندما توجه "**رولي كلود**" ليجيب قارعًا على باب المزرعة وجد "**لين**" تنتظر بالخارج. تراجع بمقدار خطوة إلى الخلف قائلاً:

- "لين" !

- هل تسمح لي بالدخول يا "رولي"؟ تراجع إلى الخلف قليلاً فدخلت، وتوجهت إلى المطبخ. كانت بالكنيسة وكانت ترتدي قبعة. رفعت يديها بأسلوب كاد يكون طقسيًا وخلعت القبعة ووضعتها فوق قاعدة النافذة. قالت:

- ها قد عدت إلى البيت يا "رولي".

- ماذا تعنين بحق السماء؟

- ما قلته وحسب. لقد عدت إلى البيت. هذا هو البيت، هنا، معك أنت. كنت حمقاء ألاّ أعلم هذا من قبل.. ألاّ أعلم نهاية الرحلة وهي أمام عينيّ. ألا تفهمني يا "رولي"، لقد عدت إلى البيت!

- إنك غير مدركة لما تقولين يا "لين". أنا... أنا حاولت قتلك.

- أعلم. ثم أتت "لين" بحركة امتعاض بفمها، ورفعت أصابعها كارهة إلى حلقها ثم استطردت تقول:

- واقع الأمر أنني في اللحظة التي ظننت فيها أنك قد قتلتني بدأت أتحقق من مدى حماقتي! فقال "رولي":

- لا أفهم ما تعنينه.

- لا تكن غبيًا. كنت دائمًا راغبة في الزواج بك، أليس كذلك؟ ثم بعد ذلك انقطع الاتصال بيننا... بدوْت لي هادئًا جدًا، ووديعًا جدًا، فشعرت بأن الحياة ستكون آمنة معك.. لا تغيير فيها. فاعجبت بـ "ديفيد" بسبب خطورته وجاذبيته، ولأكون صادقة؛ لأنه يعرف جيداً كيفية التعامل مع النساء، ولكن لا شيء من كل هذا كان حقيقيًا. عندما قبضت على حنجرتي، وقلت إنني إن لم أكن لك فلن أكون لأي رجل آخر - حسنًا - علمت في هذه اللحظة أنني امرأتك! لسوء الحظ أنه قد بدا لي أنني سوف أعرف هذا بعد فوات الأوان، لكن لحسن الحظ؛ أتى "هيركيول بوارو" في التوقيت المناسب لينقذ الموقف. وهأنذا امرأتك يا "رولي"! هز "رولي" رأسه قائلاً:

- هذا مستحيل يا "لين". قتلت رجلين؛ قتلتهما... فصاحت "لين" مقاطعة:

- هراء... لا تكن عنيداً مبالغًا. إذا حدث بينك وبين رجل ضخم كبير الحجم مشادة، فلكمته على أثرها. فسقط وارتطم رأسه بسياج المدفأة، فلا يعتبر هذا قتلاً، ولا يعتبر قتلاً من الناحية القانونية أيضًا.

– إنه قتل غير متعمّد عقوبته السجن.

– ربما يكون هذا صحيحًا. وفي هذه الحالة ساكون جالسة فوق العتبة عندما تخرج.

– وهناك أيضًا "بورتر". أنا المسؤول عن موته أدبيًا.

– لا، لست مسؤولاً. كان رجلاً مسؤولاً يافعًا، كان يمكنه أن يرفض اقتراحك. لا يمكن لأحد أن يلوم غيره على ما قرر أن يفعله وهو مفتوح العينين. عرضت عليه أن يكذب قبل ذلك، ثم ندم وسلك طريقًا قصيرًا إلى خارج الموضوع؛ لأنه كان ضعيف الشخصية. هز "رولي" رأسه بعناد قائلا:

– لا فائدة يا فتاتي. من غير الممكن أن تتزوجي أليف سجون.

– لا أعتقد أنك سوف تُسجن؛ لأنه لو كان الأمر كذلك، لكان أحد رجال الشرطة قد أتى في طلبك قبل الآن. دقق "رولي" النظر إليها قائلاً:

– اللعنة على كل هذا – القتل ورشوة "بورتر"...

– ما الذي يجعلك تعتقد أن الشرطة تعلم أي شيء عن كل هذا، أو من الممكن أن تعلم به مستقبلاً؟

– ذلك الرجل "بوارو" يعلم.

– ليس هو الشرطة. سأقول لك ما يعتقده رجال الشرطة. يظنون أن "ديفيد هنتر" قتل "آردن" كما قتل "روزالين". تأكدوا الآن أنه كان في "وورمزلي فيل" في تلك الليلة. لن يوجهوا إليه هذا الاتهام؛ لأنه لا ضرورة له. وفضلاً على ذلك أعتقد أنه لا يمكن أن يقبض عليك مرتين للتهمة نفسها، ولكن طالما كانوا يظنون أنه قد اقترف هذه الجريمة فلن يبحثوا عن أي فاعل آخر.

– ولكن ذلك الرجل "بوارو"...

– أقنع المراقب بأنه حادث وفهمت أن المراقب اكتفى بالضحك عليه. وأنا من جانبي واثقة بأن "بوارو" لن يبوح بشيء لأي إنسان. إنه رجل ظريف...

– لا يا "لين". لا يمكنني أن أعرّضك لهذه المخاطر. وبعيدًا عن كل شيء آخر – هل يمكنني أن أأتمن نفسي؟ ما أعنيه هو أنك لن تكوني في أمان معي.

– ربما لا، ولكن صدّقني يا "رولي"، أنا أحبك، وقد عانيت أنت كثيرًا، بينما أنا لم أهتم قط بأمر الأمان.

تمت بعون الله